دراسات استراتيجية

الخمينيون والاستخدام السياسي للحج

واقع الحرمين الشريفين وادعاءات التدويل

الناشر

الصلاح للدراسات والانتاج الاعلامي
باريس

الخُمينيُّون
وَالاستخدام السِّياسِي لِلحَجّ

دراسات استراتيجية

الخمينيون والاستخدام السياسي للحج

واقع الحرمين الشريفين وادعاءات التدويل

الناشر

الصلاح للدراسات والانتاج الاعلامي

باريس

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م

دار الصلاح للدراسات والانتاج الاعلامي
باريس

بسم الله الرحمن الرحيم

« أدْعُ إلى سَبِيلِ رَبِكَ بالحِكمةِ والموعِظةِ الحسَنَةِ وجَدِلهُم بالتي هِيَ أحسَنُ
إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِه وهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهتَدِينَ».

صدق الله العظيم

(آية ١٢٥ من سورة النحل)

تقديم

منذ حدوث الثورة الخمينية عـام ١٩٧٩ ومنطقة الخليـج العربي تعيش سلسلة من المتغيرات ذات التواصل الزمني. وكان المعتقد في السابق بـأن ما اصطلح على تسميته في الصحافـة العالميـة بـ«الثورة الاسـلامية» في ايـران، سيشكل مرحلة لانبثاق معطيات ايجابية داخل المنطقة وليس حلقات متصلة من الأضطرابات التي يناسل بعضها بعضا بشكل حدثي.

كما كان من المعتقد ايضا ان يكون حدث الثورة الخمينية ذا مردود اصلاحي على المستوى الايراني الداخلي بحيث تكون الهموم الداخليـة بالنسبـة لقادة الثورة هي الهدف ذا الأولوية، اي بعبارة اخرى ان تكون الثورة التي قامت نتيجة لرفض ظروف وضع معين في ايران الشاه متجهة بإهتمامها الى الداخل لتغييـر هذا الـوضع الـذي كـان مصـدر الـرفض بعـد تحقق اسقـاط الحكم الشاهنشاهي ، وبداية مرحلة عهد جديد.

هذا على الصعيـد الداخـلي الذي كـان ينبغي للثورة الخمينيـة ان تنجزه وتنحصر داخل حدودها لهضم مرحلـة من التغييرات الجـديدة والضـرورية الواجب تخطيها عن طريق التحقيق الفعلي لها.

اما على الصعيد الخارجي فقد كان التوقع مبني على اسس متفائلة، ولاسيما من قبل الدول الاسلامية المجاورة داخل منطقة الخليج. فبعد سنوات طويلة كان الشاه يعتبر نفسه خلالها «شرطي الخليج» وكان جيشه يشكل اكبر ترسانة

عسكرية في المنطقة يلوّح بها مهدداً الدول العربية الاسلامية المجاورة بحيث شكل مع اسرائيل نمطاً من محور عسكري ذا تنسيق مشترك في أهدافه العليا او على الأقل غير متناقض في اعتبار الدول العربية المجاورة هي الخصم او مركز الحذر. فانه بعد سقوط الشاه كان هنالك تفاؤل لدى دول المنطقة بأن تكون العلاقات وطيدة بين ايران وجيرانها وان تختفي تلك الحساسيات الصامتة وذلك السلم المشوب بالحذر وسوء النية الذين كانا يسودا المنطقة في عهد الشاه.

إلا ان التوقعات لم تكن في موضعها الصحيح؛ فقد انبثقت متغيرات مستمرة لم تتوقف عن التفاعل مع وضع المنطقة وتسبب اقلاق لها وقدراً من الإضطرابات السياسية والعسكرية غير المحدودة.

فان انظار قادة الثورة الخمينية ومنذ الاشهر الأولى لقيام نظامهم الجديد توجهت الى الخارج في حين لم يحظ الوضع الداخلي لديهم بالاهتمام الكافي.

وكان هدفهم الاول هو «تصدير الثورة»، ولم يكن هذا الهدف الذي اصبح شعار الحكومة الخمينية ينطوي على اية اسس من الدراسة والتدقيق. فأية «ثورة» يريد النظام الخميني الجديد تصديرها؟... والى اين يتم هذا التصدير؟

فالثورة بالمعنى العلمي باعتبارها موجة من الاصلاح الجذري التي تجتاح البلاد الحادثة فيها وتنقلها الى مرحلة افضل من المرحلة السابقة على جميع المستويات، ان هذا المعنى للثورة لم يحدث داخل ايران. بل حدث العكس.

فان النظام الخميني الذي اعقب سقوط الشاه لم يحقق اي من الاهداف، بل نرى إنهياراً على جميع الاصعدة قد حدث في عهده وداخل كل مرافق الدولة الايرانية، فهنالك انهيار في القطاع الزراعي وتدمير للقطاع الصناعي، وانهيار اقتصادي قد خلق ازمة خانقة لم تخرج منها إيران حتى الآن، ناهيك عن تدمير الجيش والقوة العسكرية مقارنة بوضعها الذي كانت عليه في عهد الشاه، ثم

دخول النظام الخميني في حرب دامت ثماني سنوات مع العراق تمخضت عن مقتل حوالي المليون ايراني اضافة الى التدمير الذي لحق بكل مرافق الدولة. هذا علاوة على التخلف الذي اصاب المؤسسات العلمية والتعليمية والتربوية داخل البلاد.

وإذا كان هدف قادة الثورة الخمينية هو تحقيق نمط من الحكم الديمقراطي بعد حالة مصادرة الحريات التي سادت عهد الشاه، فان هؤلاء القادة قد مارسوا قمعاً واضطهاداً ومصادرة للحريات تتفوق أضعاف المرات على تلك التي سادت في العهد الشاهنشاهي السابق على الثورة.

وفق هذا الواقع العملي لم تحدث اية ثورة في ايران بل حدث تراجع وتخلف كبيرين، فهل هذا الوضع المأساوي الذي تغرق فيه ايران حاليا هو «الثورة» التي يريد قادتها تصديرها.

وعلى مستوى جهة التصدير، فالى اية دولة يمكن تصدير ذلك، هل الى الدول المجاورة العربية منها والاسلامية، ان ذلك مثير للتساؤل لأن إيران تعتبر «ثورتها الاسلامية» جديرة بالتصدير الى هذه الدول، متناسية انها دول اسلامية ولا تنتمي الى دين آخر او الى انظمة إلحادية، وانها دول يسودها الاستقرار والنمو الاقتصادي والاجتماعي والعلمي.

ضمن هذه السلسلة المتشابكة من متناقضات العهد الخميني في ايران، طرحت القيادة الخمينية فكرة اخرى وذلك ضمن سياق برنامجها السياسي العام الهادف الى خلق اقلاق واضطراب مستمرين داخل منطقة الخليج، هي فكرة تدويل الحرمين الشريفين في مكة والمدينة. واخراجهما من تحت الهيمنة والرعاية العربية الاسلامية السعودية.

ان هذه الفكرة من الخطورة ومن التعقيد والتناقض في مضمونها الداخلي بحيث تستدعي بحث الدوافع التي تختفي ورائها، ولاسيما الدوافع الطائفية

الموجهة ضد اسلامية دول المنطقة، وكذلك الدوافع الشعوبية، وفي الوقت الذي تغرق فيه ايران بالمتناقضات والمشكلات والازمات الداخلية تحاول ان تصدر هذا الوضع المأساوي الى بقية الدول المجاورة المستقرة وتبعث الاضطراب في اكثر المقدسات مكانة ورسوخا في قلب المسلمين وهما الحرمين الشريفين، اللذين يحظيان برعاية لا مثيل لها داخل المملكة العربية السعودية.

ان الهدف من هذه الدراسة سيكون سائراً في اتجاهين: الاتجاه الاول مناقشة فكرة التدويل الخمينية ودوافعها الطائفية والشعوبية والسياسية وكذلك البحث فيها من جميع الوجوه، التاريخية والقانونية والدينية.

اما الاتجاه الثاني الذي سيقتفيه الكتاب فهو تصوير ما هي عليه الاماكن المقدسة من واقع راهن وما تحظى به من رعاية وتنظيم متقدمين وعصريين، وما تتطلبه عملية الحج واستقبال الحجيج سنوياً من مسؤوليات ومن طاقات ضخمة لا تتأتى الى اية دولة الا بعد طول ممارسة تاريخية وتنظيمية عريقة. ان هذه العملية تتطلب في الاساس ان تكون الدولة القائمة بها دولة متماسكة ومستقرة وذات نظام سياسي واقتصادي صلب، وكل هذه الصفات لا تتمتع بها الدولة الخمينية الحالية التي يعمها التشتت والضعف والاضطراب على شتى المستويات.

وفي الوقت الذي نأمل فيه بأن تكون مهمتنا قد أنجزت في جانبها العلمي على الوجه الأكمل والصحيح، نسأل الله الموفقية والسداد في مسعانا هذا.

الناشر

طرح المشكلة وحدودها.

ثنائية الممارسة في السياسة الخمينيـة، بهدف احـداث قلق سياسي للمملكـة العربية السعودية كانت هي الاتجاه التطبيقي داخل بنية الاحداث التي تفجرت على ارضية الواقع بعد ذلك وبشكل متتابع. فالهدف الذي وضعته حكومة طهران امامها هو القيام بعمليات عنفية داخل أراضي المملكة العربية السعودية لأجل إقلاق الوضع الداخلي فيها، وبعد عملية الإقلاق هذه تطرح فكرة تدويل الاماكن المقدسة على اساس ان هذه الاماكن «لا تحظى» بحماية امنية وتنظيمية من قبل الدولـة السعودية بمستوى يليق بها كأماكن تهم عامة المسلمين في العالم. فالثنائيـة في العمل السياسي الخميني كانت متجسدة هنا.. في هذه التطبيقية المزدوجة للفعل السياسي والعنفي في آن واحد. وعلى مرأى من عامة المسلمين في العالم، إتخذت السلطات الخمينية من موسم الحج فترة زمنية مؤاتية لممارسة هذه الثنـائية في العمل. وذلك لاسباب عدة.

منها ان موسم الحج يعتبر فترة يجتمع خلالها المسلمـون من مختلف الدول الاسلامية وغير الاسلامية. وان ما يمكن اثارته من احداث خلال هذه الفترة يمكن ان تنتقل تفاصيله الى عامة انحاء العالم الاسلامي عبر شهود عيان واقعيين هم الحجاج الآتيين من الدول الاسلامية، وسوف تُلحق هذه العملية، التي من شأنها ان (تُحرِج) الحكومة السعودية، بطرح فكرة تدويل الاماكن المقدسة ووضع سيادة إسلاميةٍ عليها بدلاً من سيادة المملكة فقط بدعوىٰ أن الحكومة السعودية (غير قادرة)، كما يدعي الخمينيون، على حماية هذه الاماكن التي تهم مسلمي العالم، علاوة على ان طرح فكرة: ان الاماكن اسلامية وان المملكة غير قادرة على صيانتها

امنيا سوف تلحق من قبل النظام الخميني بادعاء مضاعف في تطرفه يقر بأن الهيمنة الدولية على الاماكن المقدسة هي (ضرورة دينية) سوف يكون لكافة الدول الاسلامية حق المشاركة في ادارتها وصيانتها.

هذا هو المنظور الثنائي الذي تضمنته ممارسات الخمينيون خلال موسم الحج. وكانت هذه المواسم هي المفتاح المناسب لذلك بالنسبة لملالي إيران لأنه الفترة التي يجتمع فيها كل الحجاج المسلمين من ناحية ولانها ايضا، الموسم الوحيد الذي يمكن لإيران فيه ان تكون متمثلة الحضور عن طريق أشخاص إيرانيين داخل المملكة. فان المملكة العربية السعودية ذات هيمنة وسيطرة امنية واقليمية صارمة على اراضيها ولا تسمح لعناصر الشغب بالتغلغل الى حدودها عبر اشخاص مخصصين لهذا الغرض من ناحية، ولأنها من ناحية اخرى تدرك المسؤولية الاسلامية الكبيرة التي تمارسها خلال فترة الحج بحيث انها تسمح لكل المسلمين من مختلف بقاع العالم ومن ضمنهم المسلمين في ايران لان يؤدوا فريضة الحج بكل حرية وبتوفير كل المتطلبات التي ينبغي عليها توفيرها كدولة اسلامية تمتلك داخل اراضيها وداخل ترابها الاقليمي شرف المسؤولية على اقدس الأماكن في العالم الاسلامي اي الحرمين الشريفين في مكة والمدينة.

وفق هذه المعادلة إتبع الخمينيون سياستهم ذات الحد الثنائي، اي ممارسة اعمال العنف والشغب في المملكة واثناء موسم الحج من جانب، ثم طرح فكرة تدويل الاماكن المقدسة من جانب آخر. ومن ضمن الاهداف التي إبتغاها الخمينيون عبر هذا الاسلوب الثنائي الذي يكمل بعضه بعضاً، هو جعل الهدف النهائي الذي تبتغيه اي التدويل، مقترنا بالحدث او الممارسة العملية للعنف التي تقوم بها اثناء موسم الحج، وذلك لاخفاء نوع من الجبر او الفرض العملي على المملكة لأن تكون امام امر واقع لا تستطيع الانفلات منه امام الأمة الاسلامية.

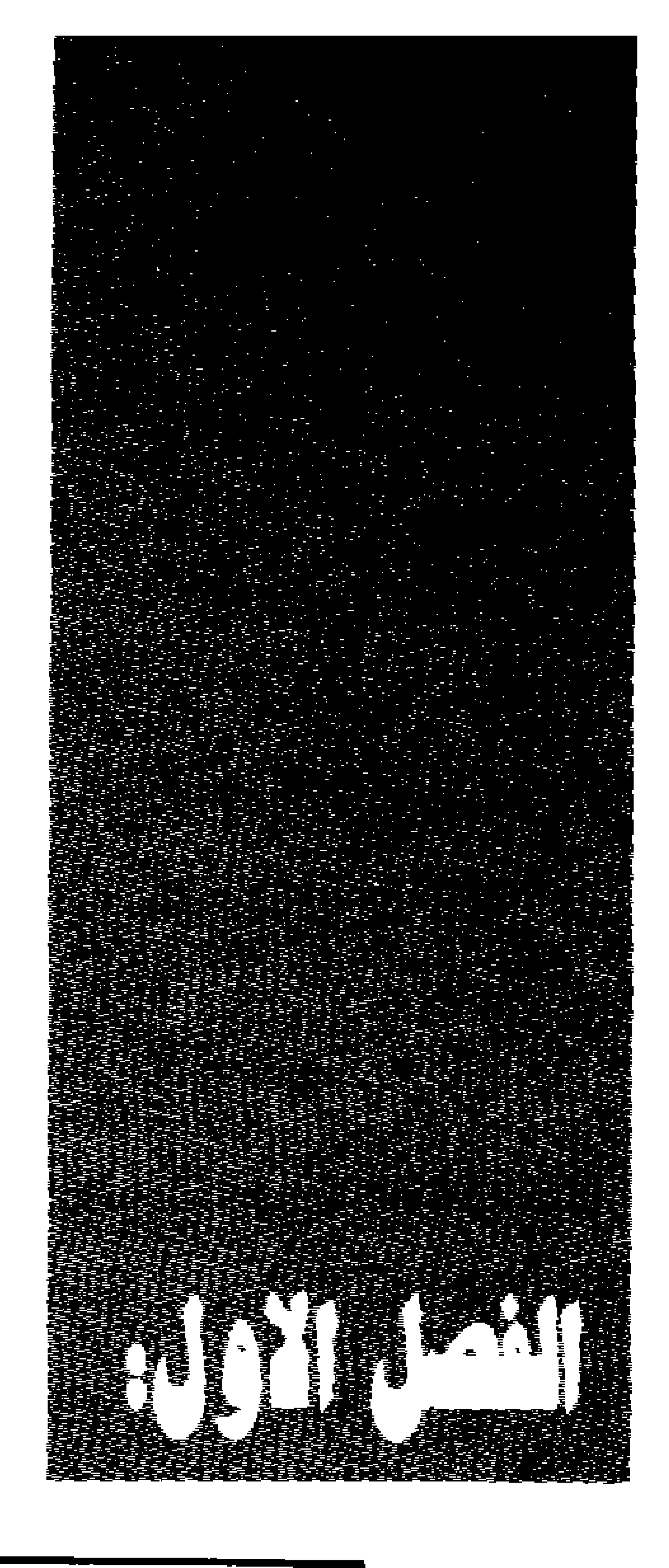
كانت البداية لهذه الممارسات تتركز خلال السنوات السابقة على عام الحوادث العنفية والدموية التي حدثت في صيف عام ١٩٨٧، وكان المسؤولين السعوديين، خلال كل هذه الفترة يعون الأهداف التي تبتغيها السياسة الايرانية من خلال

الاختراقات المتعددة للاصول وللقوانين المرعية في مواسم الحج داخل الحدود الاقليمية للمملكة.

لكن الدولة السعودية قد التزمت الهدوء والعقلانية طيلة هذه المدة دون التصريح بالاهداف الخمينية مع امتلاكها للدلائل على الغايات البعيدة لحكومة ايران.

غير ان مرحلة الصمت قد انتهت بعد ان بلغ الاستفزاز الخميني حداً يخل تماما بالأمن الإقليمي للمملكة وبمناسك الحج وشعائره الاسلامية المرعية. وكانت هذه الحدود قد اختُرقت بشكل صريح خلال عام ١٩٨٧ الذي اجبر القيادة السعودية ان تخرج من تحفظها الاعلامي الى طرح الحقائق كما هي.

ولذلك كان موسم الحج عام ١٩٨٧ هو الفاصلة التي طرحت نفسها كمحطة تغير كبيرة لا يمكن التراجع معها ازاء الاهداف الخمينية التي بلغت اقصى حدود التطرف في ممارساتها. وهنا ينبغي التوقف عند احداث صيف ١٩٨٧ لسرد تفاصيله بكل ابعادها. فسرد التفاصيل والتأمل في دلالاتها يغدو الضوء الذي يكشف المضامين والغايات النهائية للسلطات الخمينية التي اتبعت هذا الاتجاه السياسي الذي إتخذ شكلا ثنائياً في التنظير والتطبيق العملي لبلوغ اهدافه القصوى. من هذه النقطة ينبغي الشروع في بحث موضوع ادعاءات تدويل الاماكن المقدسة عبر بداية منطقية هي رصد الأحداث الواقعية وتطورها.



الفصل الاول:

المحاولات الايرانية لاقلاق عملية الحج وموقف السلطات السعودية منها

اعداد : حيدر صادق

نقطة التازم، أحداث مكة عام ١٩٨٧:

بدأ موسم الحج في عام ١٩٨٧ الموافق لعام ١٤٠٧ هجرية بشكل عادي ظاهرياً امام كل الحجاج المسلمين الآتين من كل بقاع العالم. لكن سلطات المملكة العربية السعودية كانت تمتلك دلائل خاصة حول وفد الحج الايراني. وقد استقت هذه الدلائل والمعلومات من فصول الحج في السنوات السابقة. اما ايران وبعثتها من الحجاج فكانت قد رسمت خطة لاحداث اضطرابات معينة اثناء الموسم، تخدم أهدافاً سياسية لصالحها.

ففي شهر آب (أغسطس) عام ١٩٨٧ شهد موسم الحج اعنف مصادمة مسلحة لم تشهدها مدينة مكة منذ عدة قرون ومنذ غزو القرامطة لها عام ٣١٧ هجرية. ولا بد من ألايغال في دلالات الاحداث من خلال التفاصيل المطروحة امامنا.

ففي موسم الحج المذكور قام نفر من الحجاج الايرانيون وكان يتراوح عددهم بعشرات الآلاف بمحاولة خلق مظاهرة سياسية عنيفة داخل مكة وفي وسط مئات الآلاف من الحجاج المسلمين الذين أتوا من بقاع مختلفة من العالم لتأدية هذه الفريضة المقدسة، وكان هؤلاء الايرانيين يحملون اسلحة يدوية تتمثل بالسكاكين والخناجر وما اليها، وكان الهدف الاساسي من الاضطرابات التي يسعون لأثارتها هو الوصول الى المسجد الحرام للاستيلاء عليه واحداث بلبلة كبيرة داخله تتضمن اغتيال كبار العلماء الدينيين هناك ثم التبشير بالأفكار السياسية التي ارسلتهم

الحكومة الايرانية من اجل المناداة بها (١).

وقد ابدى الحجاج الايرانيون مظاهر استفزازية كبيرة تجاه سلطات المملكة العربية السعودية، حيث حملوا صور الخميني وعلقوها في الشوارع، بل انهم ازالوا وحطموا بعض علامات المرور وأعمدته المعدنية لكي يضعوا صور الخميني بدلا منها، كما رفعوا لافتات واسعة كانوا قد اتوا بها معهم من ايران ليكتبوا عليها شعارات تمجد الثورة الخمينية في ايران وتهاجم شخصيات سياسية داخل المملكة العربية السعودية، استمرت هذه المظاهرات بدون اي تصد امني من قبل السلطات السعودية، ويمكن هنا ان نفترض فيما لو كانت هذه المظاهرات المضادة قد حدثت في بلد عربي اسلامي آخر فهل سيسمح بها دون القيام بقمعها بعنف منذ اللحظات الأولى؟ لكن في المملكة العربية السعودية وفي موسم الحج تنبثق الكثير من القواعد التي ينبغي احترامها. وذلك مراعاة لموسم هذه الفريضة الاسلامية التي يؤديها اكثر من مليون مسلم كل عام، فالأمر لم يعد متعلقا بحساسية سياسية ازاء بلد آخر بل بالتزام شعائري ديني يهم ملايين المسلمين في العالم.

في هذه المظاهرات الايرانية خلال موسم الحج بقيت اعصاب السلطات السعودية هادئة، ولم يحدث اي تدخل رادع لها الا بعد ان بدأ المتظاهرون الايرانيون باستخدام العنف وطعن الكثير من الحجاج بالسكاكين التي يحملونها معهم ، عندها اخذت قوات الأمن السعودية بالتدخل لعدم الاخلال بموسم الحج وسقط على أثر ذلك عدد من القتلى الايرانيون وكذلك الكثير من الحجاج الابرياء الذين لم يشتركوا في هذه المظاهرة سلبا او ايجاباً.

لقد اثار هذا الحدث خلال موسم الحج الكثير من ردود الفعل وجعل المملكة العربية السعودية لأول مرة في تاريخ وسائلها الاعلامية تخرج عن تحفظها المعهود وتطرح القضية بشكلها الواضح والصريح اي انها قد شنت هجوما عنيفا على السلطات الخمينية، بعد ان كانت تسعى منذ عام ١٩٨٥ الى جعل العلاقات مع ايران علاقات طبيعية يسودها التفاهم وحسن الجوار (٣). لكن السلطات الخمينية

قد خالفت ذلك وسعت نحو اتباع نهج آخر هو الاستفزاز واثارة المشكلات بشكل عنيف مع السعودية بغية تحقيق اهداف سياسية دينية تهيمن عبرها على العالم الاسلامي وتحصل لها على مكانة مؤثرة فيه.

كانت احداث عام ١٩٨٧ مسبوقة بمقدمات واضحة ادركتها المملكة العربية السعودية وشعرت بالخطر الذي تريد ان تولده ايران عبر ارسالها لاعداد مضاعفة من الحجاج الى مكة في كل موسم حج. وقد اثبتت تحريات قوى الامن في المملكة ان هذه الوفود من الحجاج كانت في غالبيتها تتكون من (الحرس الثوري) الايراني اضافة الى اعداد كبيرة اخرى من فصائل سياسية وعسكرية ايرانية تبغي تحقيق هدف عسكري وارهابي خلال الموسم.

اما الحجاج الحقيقيون فلا تتجاوز نسبتهم الخُمس من المجموع الكلي للحجاج الايرانيين.

وقد توصلت سلطات المملكة العربية الى هذه الحقائق من خلال مراقبتها الامنية للحجاج الايرانيين الوافدين خلال الموسم. وبدأت الشكوك تصبح يقينا لا يقبل الجدل خلال حج عام ١٩٨٦.

حيث عثرت سلطات الأمن السعودية في صيف عام ١٩٨٦ داخل حقائب الحجاج الوافدين من ايران على مواد متفجرة وذلك بشكل مخفي عبر طبقة قماش اضافية داخل الحقيبة (٤) وعندما استجوب هؤلاء الحجاج الايرانيين عن سبب وجود هذه المواد المتفجرة في حقائبهم، انكروا بأن لهم اي علم في هذا الموضوع وصرحوا بأن السلطات الايرانية هي التي فرضت عليهم اخذ هذه الحقائب خالية لكي يستخدموها لوضع امتعتهم. وكان مجموع وزن المواد المتفجرة التي عثر عليها في حقائب هؤلاء الحجاج تبلغ ٥١ كيلوغراما. هذا علاوة على مواد أخرى سريعة الانفجار في درجات حرارية عادية واسلحة ومخدرات ومنشورات سياسية مضادة للسلطات السياسية في المملكة (٥).

وقد القت السلطات السعودية القبض على كل هذه الحيازات وصادرتها وكتبت بها تقاريراً خاصة الى الحكومة الخمينية لكي تنبهها الى هذا الامر، الا ان الحكومة الخمينية لم تستجب لهذا النداء السلمي بل حتى لم تعط أي تعهد بهذا الصدد. ومن جانب آخر فان الحكومة السعودية لم تصرح بشكل علني وعبر وسائل اعلامها عن هذه الحادثة وذلك لاعتبارات اسلامية ودبلوماسية خاصة بما يتعلق بموسم الحج وبالأهمية التي يحظى بها هذا الموسم بالنسبة لملايين المسلمين في العالم. لكنها احتفظت مع ذلك بكل الافلام والوثائق السياسية المصورة التي لا تقبل الشك.

وكان من المقرر ان يكون موسم حج عام ١٩٨٧ هادئا الا ان الآمال قد خابت بايران مرة اخرى، فان عملية التسامح والعقلانية السياسية التي اتبعتها المملكة العربية السعودية قد فُهمت من قبل السلطات الخمينية على انها حالة ضعف وعجز عن الرد. ولذلك فان بعثات الحج الخمينية قد تضاعفت عددا خلال السنة التالية ١٩٨٧ وان الاهداف كانت واضحة تماما هذه المرة فقد اكتشفت قوات الأمن الوطني السعودية ان غالبية (الحجاج) هم اناس من قوات الحرس الثوري وقوات سياسية اخرى خاصة بتنفيذ عمليات عسكرية وسياسية ايرانية داخل المسجد الحرام. ومع ذلك فان السلطات السعودية لم تبد اية حالة من التحفظ العلني الذي يدين الحجاج الايرانيين عبر الصحف ووسائل الاعلام السعودية، بل تفادت الامر منتظرة نمطا من حسن النية الذي قد يخالف تحسباتها وتوقعاتها المنطقية، غير ان ايران كانت على عكس كل هذه التوقعات الحسنة فقد بدى موكب الحجاج الايرانيين منذ البداية يسعى لأن يتجاوز كونه موكبا دينيا يقوم بفريضة اسلامية الى مرحلة متقدمة هي القيام باحداث اضطراب سياسي من شأنه ان يقلق عملية الحج. ومن هنا حصلت احداث شهر (اغسطس) ١٩٨٧. وعبر ما حصل تبرز خلفية تاريخية مليئة بالتهيئة والتخطيط لتحقيق هذا الغرض.

فبعد حوادث هذا الموسم اتضحت بعض الحقائق التي سبقت التهيئة لهذه العملية وهي حقائق تنم عن مدى الجهد الخميني المبذول لأجل تنفيذ عمليات

ارهابية وبث الاضطراب في مواسم الحج. فالتفاصيل التي كشف النقاب عنها هي: ان طهران حشدت ٧ آلاف مقاتل ايراني تلقوا تدريبات خاصة في معسكرات تقع جنوب العاصمة، تمهيدا لايفادهم الى مكة تحت ستار الحج، وكانت العملية التي اوفدوا من اجل تنفيذها اكبر بكثير مما جرى فعلا واحبطت بفضل تنبـه الامن السعودي وقضائه على الفتنة في مهدها. وبعض هؤلاء الحجاج ـ الجنود ـ حضروا من بيروت على رحلة طيران الشرق الاوسط التي تمت بعد ظهر يوم ١٩٨٧/٧/٢٤ المتوجهة الى قبرص، وكان من بين هؤلاء مسؤول ايراني عسكري (٦).

وفي قبرص نقلت مجموعة الحقائب من طائرة بيونغ اردنية عاملة على خط جدة تحت بوليصة شحن جوي رقم ٢٥٤/٦٠ بتاريخ ١٩٨٧/٧/٢٤. وقد استبدلت هذه الحقائب بغيرها ووضعت على متن طائرة طيران الشرق الاوسط المتجهة الى جدة، وبلغ عدد المجموعة التي حضرت من بيروت ٣٠ شخصا وكـانت مهمتهم الاساسية انتحارية تبدأ في المطار السعودي وتعطي شكل حركة انقلابية داخلية. وتوالت بعد ذلك الاحداث، ففي مساء ٨٧/٧/٢٨ جرى اتصال بين مسؤول عربي ورئيس مجلس الشـورى الايراني هـاشمي رفسنجـاني حـول سفـر الحجـاج الايرانيين. وصباح يوم ٨٧/٧/٢٩، القت قـوات الامن السعودي القبض عـلى بعض العناصر المشبوهة وجرى التحقيق معها لمدة ساعات، وفي مساء اليوم نفسه جرى اتصال بالشيفرة بين جهات الامن السعودي وجهات امن دولة عربية وثيقة الصلة بايران للتشاور حول موضوع الحجاج الايرانيين. وكان حجة الاسلام علي محتشمي وزير الداخلية الايرانية قد تلقى تقريراً عاجلا حول الاستعدادات التي تجري في مطار بيروت لترحيل بعض الجنود التابعين للحرس الثوري كحجاج الى الاراضي المقدسة، واكد التقرير الذي رأى فيـه محتشمي قاعـدة لبدء التحـرك والتنفيذ، ان الجانب السعودي قد تسربت اليه معلومات مضللة تؤكد سير امور الحجيج اثناء تأديتهم مناسك الحج في خير ووئام وان إيران الخميني لا تنوي بحال زعزعة الثقة اكثر من الجانب السعودي.

وبعد ذلك وصل الحجاج الايرانيون الى مكة واعلنوا عن قيام مسيرة وتظاهرة

سلمية وقد انذرت الحكومة الايرانية بعدم التعرض الى هذه المسيرة. ولعل السلطات الخمينية وهي تعلن عن المسيرة وتهدد بعدم التعرض لها تصورت ان الحكومة السعودية ستبقى مكتوفة الايدي مقيدة بالحرج من الحجاج وموسم الحج امام الاعتداءات الخمينية (٦). لم تتوقع السلطات الخمينية ان الشرطة السعودية قادرة على تطويق الاحداث والسيطرة على الموقف لاعادة الأمن والطمأنينة الى المسجد الحرام والى من يؤمه من حجيج وقامت السلطات السعودية بالقضاء على هذه الفتنة الخمينية التي بلغت الذروة بعد ستة اعوام متوالية من محاولات الخميني لاقلاق الحج في الأراضي المقدسة. وكانت هذه الاحداث سببا لأن تخرج وسائل الاعلام السعودية لأول مرة في تاريخها عن تحفظها وهدوئها المعهودين لتنقل للعالم بشكل تفصيلي ما حدث في مكة مدعوماً بالوثائق والافلام والاشرطة المتلفزة بما لا يقبل مجالا للشك امام الجميع. وقد علقت المصادر السعودية على احداث مكة بما يلي: «ان المملكة حرصت على ان تتفادى الدخول معهم «اي مع الحجاج الايرانيين» في اي شكل من اشكال المصادمات ولذلك فان جنديا واحدا لم يتصد لهم طوال اكثر من ساعة لكنهم، حين بالغوا في تحديهم وارادوا الوصول الى الحرم لتحقيق اغراضهم، وجد ابناء مكة المكرمة واعداد اخرى من حجاج الدول الاسلامية الاخرى ان مسؤوليتهم التاريخية تقتضي الوقوف امام ١٥٥ مستهتر بمقدسات الله وحرمه. ولكنهم بدل ان يستجيبوا لرجاءات الحجاج ويتوقفوا بدأوا في قتلهم والحاق كل اصناف الأذى بهم. وعندها لم تجد قوى الامن بدأ من التدخل السلمي لفض تجمعهم وايقاف عدوانهم على ضيوف الرحمٰن وابناء الوطن، وكان ما كان منهم وقتل من قتل من ابنائنا ومن الحجاج الآمنين من جراء رعونتهم. وقد امكن ايقاف المؤامرة عند هذا الحد ولولا عون الله ولولا ارادته في حماية المسلمين من الحجاج والمواطنين... لدخلوا الى الحرم(٨).

وكانت الحكومة الخمينية قد تلقت قبل ذلك الكثير من التنبيهات من قبل المملكة العربية السعودية حول ما ضبط... وما القي القبض عليه من اسلحة ومتفجرات في

عام ١٩٨٦، وبدل ان تتبع الحكومة الخمينية اسلوب التعقل والتراجع عن مخططها القاضي باقلاق عملية الحج فانها قامت على العكس من ذلك باثارة الشغب والفزع بين الحجاج وتسيير مظاهرات بعشرات الالوف، في شوارع مكة والمدينة ووسط زحام الحجاج، تهتف هتافات لا تتصل بعبادة الحج ولا باداء نُسُكِهِ غير مكترثة بتحذيرات الدولة المسؤولة ومن هذه المظاهرات تلك التي ضمت ١٥٧ الفا من الحجاج الايرانيين حيث تصدت لها الحكومة المسؤولة عن الامن حفاظا على الحرم وحجاجه وقياما بواجباتها كحكومة دولة لها هيبتها وسلطاتها على اراضيها ولاسيما ارض الحرمين الشريفين (٩).

على اثر احداث مكة عام ١٩٨٧ انفجرت ضجة في الصحافة العربية تكشف الكثير من التفاصيل وتطرح رأيها في المجزرة وتجدر هنا الاشارة الى بعض المقالات التي تضمنت جزءاً اضافياً من المعلومات حول هذا الحادث. فحسب ما جاء في تقارير وتقديرات وزارة الحج والاوقاف السعودية كانت المظاهرة التي قام بها الايرانيون في مكة تضم ١٥٠ الف متظاهرا، وهي التظاهرة الثانية بعد تلك التي قامت في (المدينة المنورة) حيث هتف المتظاهرون فيها بالموت لأميركا ولفرنسا وما الى ذلك من شعارات لكن السلطات السعودية قد سيطرت على نفسها الى ابعد الحدود ازاء هذا الاستفزاز السافر ولم يبدر منها اي تدخل حتى مرت المظاهرة بسلام واعلنت السلطات السعودية بأن مثل هذه المظاهرة لن تتكرر بعد ذلك. الا ان الخمينيين قد كرروا ذلك بعد اسبوع وفي مدينة مكة مع الكثير من العنف. حيث قام المتظاهرون الخمينيون في مكة باختراق الحاجز الذي اقامته قوى الامن السعودية للحول دون توجه المتظاهرين الى داخل المدينة واسواقها او بلوغ المؤسسات الرسمية. وعندما صمد الحاجز ومنع المتظاهرين، حدث هرج واضطراب بين الارهابيين الذين أرادوا تجاوز رجال الأمن وبين الحجاج الذين لا اغراض او اسباب سياسية لهم فصعد الحجاج الايرانيون وضاعفوا من ضغطهم، الامر الذي قوبل بمعارضة الحجاج الآخرين، فتدخلت قوى الامن السعودية للفصل بين المتظاهرين مما ادى الى بلبلة في الخضم البشري الهائل وسط الحر اللاهب، تبعتها

حركة تدافع وكر وفر مما تسبب بوفاة حوالي ٣٥٠ حاجا، وكان مشهد التدافع بين المتظاهرين اشبه بما يحدث في ملاعب كرة القدم المحتشدة (١٠). ولم تتدخل الشرطة السعودية، التي كانت تقوم بحفظ الأمن والنظام في سير عملية الحج الا بعد ان بدا الايرانيون باشعال النيران في السيارات ومهاجمة الواقفين في مكان الاحداث وقد اتخذت السلطات السعودية آنذاك اجراءات امنية واسعة لمواجهة احتمال تجدد الاحداث من قبل الحجاج الايرانيين. وعلى اثر هذه الاحداث ادرك كل المراقبين العرب والعالميين بأن حوادث مكة المكرمة تعكس التصعيد في سخونة الموقف في الخليج، فانها قد جاءت اثر التوتر الذي خيم على منطقة الخليج بعد ضرب السفينة الاميركية من قبل القطعات الجوية العراقية وبعد التهديدات الايرانية للكويت (١١).

وكان قبل حوادث مكة هذه من الصعوبة ان يقال بأن لايران اهداف تحاول من خلالها اهانة موسم الحج واهانة الاماكن المقدسة لاهداف سياسية، لكن هذه الاحداث ودفع ايران بكل قواها لاثارتها قد حط ايران في موضع نقد عنيف على الصعيدين الاسلامي والعالمي. فان ابسط مبادىء الاسلام تقر بأن الحج فريضة مقدسة، وهنا يكون «التزام» الخمينيون بالاسلام كدين وكعقيدة... كقرآن وكسنّة امراً مشكوكا فيه. ويمكن من خلال هذه الاحداث التوصل الى نتيجة واقعية هي ان الخمينيين كانوا يريدون من خلال احداث مكة حرق المدينة المقدسة التي شرفها الله في كتابه بالحديث عنها وعن اول بيت وضع فيها ليكون هدى للناس. وهذا ما رآه الكثير من المسلمين ورأته الكثير من وسائل الاعلام العربية كتفسير واقعي للاحداث (١٢).

وبوصف تفصيلي لأحداث مكة قال مصدر اعلامي عربي آخر ما يلي: «بعد صلاة الجمعة بدأت المؤشرات الأولى للتدبير الايراني للاعتصام بالحرم المكي... وبعد العصر قامت تجمعات الحجاج الايرانيين بتشكيل مسيرة صاخبة بالآلاف كانت ترفع صور الخميني وخليفته منتظري.. فأشاعت الفوضى بين حجاج بيت الله... وظهرت النوايا حينما سدت المظاهرة بطريقة غوغائية منافذ الطرق الى

الحرم وعرقلت مسالك المرور.. وحالت المسيرة الصاخبة دون تمكن الحجاج وأهالي مكة ساعات طويلة من الأتجاه الى مصالحهم وشؤونهم ومنعت الحجاج من الطواف حول الكعبة أو القيام بالمناسبك في المسجد الحرام. وعندما ضاقت صدور الحجاج وأهالي مكة الممنوعين عن التحرك بسبب المسيرة الغوغائية حاولوا التدخل بالتفاهم السلمي مع الحجاج الايرانيين لفض المظاهرة التي تردد الهتافات السياسية المعادية... وألحوا في الرجاء على مقدمة المسيرة لافساح الطريق أمام النساء والأطفال المحتجزين في سياراتهم وتحت الحر الشديد. الا ان الايرانيين أصروا على مواصلة المسيرة وسط الصخب والهتافات الى بيت الله الحرام وأخذوا يدفعون الحجاج الآخرين والمواطنين السعوديين بالقوة والعنف عندما حاولوا منعهم بسد الطريق الى ساحة الحرم المكي. وهنا تدخل رجال الأمن الذين كانوا يقفون على جوانب طريق المسيرة لمنع المواطنين السعوديين وبقية الحجاج من الصدام مع الايرانيين المتظاهرين حرصاً على سلامتهم وأمنهم. خصوصاً بعدما بدت طبيعة العنف في سلوك الايرانيين. حتى لا يتفاقم الموقف ويؤدي الى مذبحة مروعة.

وما كان من المتظاهرين الا ان استخدموا ضد رجال الأمن ما كانوا يحملونه في أيديهم وبين ملابسهم من السكاكين والمدي والعصي وأخذوا يقذفونهم بالحجارة. وعندها صدرت الأوامر الى سلطات الأمن السعودية بالتصدي للمسيرة الايرانية حرصاً على أرواح الحجاج الآخرين وأمنهم واعادة فتح الطرق بدون اطلاق الرصاص أو استخدام الأسلحة ضد الايرانيين مهما بلغت درجة العنف من جانبهم. على اثر ذلك تراجع الايرانيون في اندفاع فوضوي الى الوراء حيث سقط العشرات من النساء اللواتي كنَّ وسط المسيرة تحت اقدام المتظاهرين، كما تساقط الرجال المسنين الذين زج بهم القائمون على المسيرة من رجال الدين الايرانيين. وسرعان ما اختلط رجال الأمن والمواطنين بالمتظاهرين، واخذ الايرانيون في ممارسة العنف وحرق السيارات وعربات الامن كما حاولوا تحطيم المتاجر والمباني الكائنة في المنطقة واشعال النار فيها لولا تدخل قوات الامن والدفاع المدني (١٣).

وقد ثبت من التقارير الأمنية والوثائق المسجلة بالصوت والصورة ان احداً من قوات الأمن او المواطنين السعوديين لم يطلق الرصاص على اي من الحجاج الايرانيين، رغم العنف والفوضى أثناء الاشتباك. بل ان الذي ثبت فعلا هو ان عدداً من رجال الأمن والمواطنين السعوديين والحجاج الآخرين قد اصيبوا بطعنات من السكاكين التي كان الايرانيون يخبؤونها تحت ملابسهم وجلابيبهم... وسقط اربعمائة واثنين من القتلى وستمائة وتسع واربعين من الجرحى نتيجة للعنف الأيراني الغوغائي في ساحة المسجد (١٤).

اثارت احداث مكة الكثير من ردود الفعل داخل العالمين العربي والاسلامي وذلك من خلال الصحافة واجهزة الاعلام او من خلال الشخصيات السياسية الرسمية والتنظيمات الأسلامية. فان هذه الاحداث التي خلقتها ايران علاوة على كونها ضد الاسلام فهي من ناحية اخرى تفصح بشكل كامل عن الهدف الثاني والاساسي الذي يهدف حكام طهران اليه وهو طرح فكرة تدويل الاماكن المقدسة داخل المملكة العربية السعودية.

كما ان الكثير من الجهات العالمية المتخصصة بدراسة قضايا الشرق الاوسط والعالم الاسلامي لم تخف عليها النوايا والاهداف الخمينية بعد هذه الاحداث، فقد اكدت صحيفة «الديلي ميل» البريطانية الواسعة الانتشار: «ان الخميني شخصيا نظم واشرف على تنفيذ المؤامرة في مكة المكرمة التي نجم عنها مقتل ٤٠٠ شخصا» واضافت الصحيفة بأن الخميني قد جند اكثر من تسعة عشر الفا من افراد ما يسمى بـ«الحرس الثوري» الايراني لينضموا الى الحجاج الايرانيين الذين بلغ عددهم حوالي ١٥٥ الفا ذلك العام (أي ١٩٨٧) ووزعهم بين هؤلاء الحجاج لاغوائهم على احداث الشغب داخل مكة (١٥).

كما صدرت الكثير من الادانات الرسمية العنيفة للسلوك الخميني داخل الاماكن المقدسة واثناء تأدية فريضة الحج، تجسدت في تصريحات وبيانات تأييد للمملكة العربية السعودية وادانة للسلطات الايرانية، اتت من السودان وتركيا ومصر وتونس والمملكة المغربية وماليزيا والباكستان ومن مسلمي الهند في كراتشي

ومن البنجـاب ومن بلدان وتنظيمـات وشخصيات اسـلاميـة في مختلف انحـاء العالم (١٦).

موقف الحكومة السعودية من الاستفزازات الايرانية:

منذ قيام الثورة الايرانية ومجيء الخميني الى السلطة عام ١٩٧٩، ونوايا ايران السياسية واضحة داخل منطقـة الخليج وازاء جيـرانها من البلـدان العربيـة الاسلامية. فالسلطات الخمينية قد وضعت كهدف اساسي امامها تصدير الثورة الإيرانية الى الدول العربية الاسلامية المجاورة لها. كما كـان مسعاهـا واضحا لتصدير الفكر الشيعي الى هذه البلدان واسقاط انظمتها السياسية الاسلاميـة السنية لاقامة انظمة شيعية بدلها معتمدة على الأقليات الشيعية الموجودة في منطقة الخليج، حيث يحتوي العراق على اكثر نسبة عددية من الشيعة في المنطقة الخليجية بينما يبلغ عدد الشيعة في البلدان الخليجية الاخرى نسبة ضئيلة لا تتجاوز عُشر السكان.

على هذين الاساسين كان النظام الخميني يطمح للاستيلاء على منطقة الخليج برمتها من خلال احداث انقلابات متوالية داخلها، تجعل السلطة السياسية فيها تؤول الى حكومات شيعية تدين بالولاء لايران. وبذلك تصبح ايران هي مركز القرار السياسي والعسكري الشامل داخل منطقة الخليج عبر سيطرتها على الحكومات الشيعية التي هدفت الى اقامتها في كافة بلدان المنطقة.

وكـانت في طليعة الـدول التي تشكل منـافسا لايـران هي المملكة العـربيـة السعودية، فهي أقوى دولة عربية اسلامية داخل منطقة الخليج من جهة وداخل العالم الاسلامي من جهة اخرى. اما العراق الذي كان يشكل بالنسبة لايران ثاني اقوى دولة في الخليج فقد انخرطت معه في صراع عسكري استمر ثمانية سنوات، أما من ناحية المملكة العربية السعودية فقد ارتأت السلطات الخمينية بأن تواجهها وفق نسق آخر من الممارسات السياسية والعسكرية غير المباشرة.

وكانت الهيبة والمكانة التي تمتلكها المملكة العربية السعودية داخل العالم الاسلامي منذ تأسيسها على يد جلالة الملك عبد العزيز بن سعود وحتى الآن مصدر تحدٍ وتقزيم بالنسبة لنظام الملالي في ايران وما تدعيه سلطتهم السياسية من طموحات على صعيد الدين الاسلامي. فلن يمكن لايران بحكم تكوينها التاريخي ـ القومي من جهة وبحكم خصوصيتها الاجتماعية وموقعها الجغرافي من جهة اخرى ان تحتل موقعا قياديا داخل العالم الاسلامي كما تمثله اليوم المملكة العربية السعودية. فالمملكة تقع في الارض التي ظهر فيها الاسلام وانطلقت منها الموجات العربية الاسلامية لنشر الرسالة في بقاع اخرى من العالم، كما انها تقع في قلب شبه الجزيرة العربية اي انها تشكل القلب الجغرافي الذي انبثق فيه العرق القومي العربي واتخذ خصوصيته وبنيانه الحضاري الأول. ثم ان المملكة الآن تشكل قلب العالم الاسلامي لوجود الأماكن المقدسة في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة وفي مقدمتها قبلة المسلمين وقبر الرسول الأعظم محمد بن عبدالله ﷺ.

ان هذه الاسس التي تتمتع بها المملكة العربية السعودية لا تمتلك ايران اي شيء منها وكان من الاستحالة على السلطات الخمينية ان تكتسب ولو جزء أو ان تسلب المملكة العربية السعودية بعضا من الجوانب التي ترسخ من مكانتها في العالم الاسلامي من خلال نص شرعي اسلامي يتماشى مع تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية والشريعة الاسلامية. ولذلك فقد اختلقت السلطات الخمينية موضوع تدويل الاماكن المقدسة داعمة هذا الادعاء بأعمال تخريبية من شأنها ان تحرج السلطات السعودية أو «تضعفها».

وكانت المملكة العربية السعودية تدرك أتم الأدراك أهداف السياسة الايرانية منذ البداية أي منذ قيام الثورة ووصول الخميني الى سدة الحكم عام ١٩٧٩. وكذلك تدرك الخطط والوسائل التي سوف تتبعها ايران لبلوغ اهدافها داخل منطقة الخليج، لكن هذا الادراك قد اقترن من قبل السلطات السعودية باتباع نهجا هادئاً ومتعقلا في السياسة تجاه الخمينيون، وذلك تماشيا مع خط التسامح

والاتزان الذي درجت السعودية على اتباعه ازاء الاصدقاء وازاء الخصوم ادراكا منها للمكانة التي تحتلها داخل العالم الاسلامي، وان سياسة المواجهات الحادة او المهاترات الكلامية التي تتبعها الانظمة السياسية الأخرى من شأنها ان تؤثر على صورة الاسلام داخل العالم فيما لو اقتفت السعودية السياسة الانفعالية نفسها.

ولذلك كان الساسة السعوديون يسعون منذ البداية على تطبيع العلاقات مع ايران وجعلها علاقة حسن جوار لا يشوبها شيء من الخلاف والتوتر، على الرغم من النوايا الايرانية التي اسفرت عن نفسها منذ وصول الخميني الى السلطة، حيث بدأت وسائل الاعلام الخمينية تشن حملات على العديد من الانظمة السياسية داخل منطقة الخليج العربي، وقد نالت المملكة العربية السعودية جزءا كبيراً من هذه الحملة الموجهة ضدها لكنها، واجهت ذلك بالصمت المتعقل.

وحاولت السياسة السعودية ان تطور علاقاتها الدبلوماسية مع ايران بل سعت القيادة السعودية ايضا ان تكون وسيطا بين العراق وايران لايقاف الحرب الدائرة بين البلدين والتي تمخضت عن نتائج تدميرية سواء في الاقتصاد او في القوى البشرية للطرفين.

ومن هنا قام وزير الخارجية السعودي سمو الامير سعود الفيصل بزيارة لطهران في في شهر أيار (مايو) ١٩٨٥ لتصفية جو العلاقات بين البلدين وتحقيق تقارب بينهما. وهي أول زيارة يقوم بها مسؤول سعودي كبير وعلى هذا المستوى الرسمي لايران منذ قيام ثورتها عام ١٩٧٩. وعلى الرغم من التعتيم الذي مارسته وسائل الاعلام الأيرانية على الزيارة في البداية (١٧) فان من الاهداف والموضوعات التي تناولتها محادثات الامير سعود الفيصل مع كل من وزير الخارجية الايراني علي أكبر ولايتي من جهة ومع رئيس وزراء الايراني آنذاك محسن موسوي هي الحرب العراقية الايرانية الأمر الذي لاقى رفض الساسة الايرانيين لايقاف الحرب مع العراق (١٨). وعلى الرغم من عدم تحقيق هذا الهدف فان الزيارة قد لعبت دوراً في تصفية الاجواء بين كل من العربية السعودية وايران.

وكانت خطوة متعقلة وناضجة من قبل السلطات السعودية على الرغم من معرفتها بحقيقة النوايا الخمينية، وبما تدبّرهُ ايران من مساع مستمرة ضد امنها في كل فصل حج. ولكن التكتم على هذه الافعال الايرانية قد بدأ يفعل فعله اذ قام من جانبه علي أكبر ولايتي وزير خارجية ايران بزيارة للمملكة العربية السعودية في شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٦ وتباحث مع وزير الخارجية الامير سعود الفيصل في موضوعات تهم منطقة الخليج والعلاقات بين البلدين، كما التقى بجلالة الملك فهد إبن عبد العزيز. وكانت هذه الزيارة هي اول زيارة يقوم بها مسؤول ايراني وعلى مستوى وزير الى المملكة منذ عام ١٩٧٩، والظاهر ان نتائج الزيارة كانت مثمرة على صعيد تطوير العلاقات بين السعودية وايران، حيث صرح علي أكبر ولايتي قبل مغادرته للمملكة بأن الزيارة كانت تهدف إعلام السلطات السعودية التطورات الحاصلة في الحرب العراقية الايرانية وان قرار ايران هو ان تستمر في الحرب حتى يزول مصدر التوتر داخل منطقة الخليج عن طريق ازالة النظام الحاكم في العراق (٢٠).

وقالت صحيفة (كيهان) الايرانية الناطقة الرسمية بلسان الحكومة الخمينية في ايران، تعليقا على زيارة وزير الخارجية الايراني الى المملكة: (ان مضي سنوات كانت مسألة ضرورية من اجل ان يفهم السعوديون بأن القوات العسكرية الاسلامية «ويقصد بها القوات الايرانية» ليس لها اية اهداف او اطماع بالاراضي الاقليمية للشعوب الأخرى «اي شعب منطقة الخليج وبلدانها»، والآن تبدو ان السماء قد غدت اكثر صفاءا بين طهران والرياض) (٢١). هذا ما قالته صحيفة كيهان وهو يعبر عن نية ظاهرية في تحسين العلاقات مع المملكة لكن من ناحية اخرى كانت التنظيمات الاسلامية الشيعية التابعة للدولة الخمينية تقوم بتطبيقات سياسة اخرى هي سياسة الكواليس، ضد المملكة العربية السعودية والتي توالت مظاهرها العنيفة اثناء مواسم الحج.

وكان عدد الحجاج الايرانيين قد ازداد بشكل ملحوظ بعد وصول الخميني الى

سدة السلطة على اثر الثورة الخمينية عام ١٩٧٥. وقد اتخـذت نسب الزيـادة الشكل التالي في تصاعدها، فالنسبة العامة للزيارة قد بلغت ١٧,٧٪ في عام ١٩٨٧ عنها في العام السابق هذا مع اتباع الزيادة السلم التصاعدي التالي منذ السنوات القليلة السابقة على قيام الثورة الايرانية ثم السنوات اللاحقة لها. ففي عام ١٩٧٧ كان عدد الحجاج الايرانيين ٣٤٩٠٩ حاجا من بين ٧٣٩٣١٩ حاجا قدموا لاداء فريضة الحج من مختلف انحاء العالم، أي ان نسبة الايرانيين كانت ٤,٧٪ من المجموع الكلي للحجاج اما عام ١٩٧٨ فقد بلغ عدد الحجاج الايرانيين ٤٨٢٦٨ حاجا من اصل ٨٣٠٢٣٦ حاجا من كل انحاء العالم، اي ان النسبة قد كانت ايضا ٤,٧٪ اما عام ١٩٧٩ فقد ارتفع عدد الحجاج الايرانيين الى ٧٤٩٦٣ في الوقت الذي بلغ العدد الاجمالي ٨٦٢٢٥٠ حاجا، وهذا يعني ان نسبة الحجاج الايرانيين قد قفزت الى ٨,٦٪ في العام الأول للثورة (٢٢).

وتلك كانت البداية التي اقترنت بمجموعة من التقارير الامنية والسياسية من قبل السلطات السعودية حول المطامع والاحلام الخمينيـة العريضـة في منطقة الخليج من ناحية وعلى مستوى العالم الاسلامي من ناحية اخرى. وقد وجدت هذه التقارير ترجمة عملية لها في سلوك الحجاج الايرانيين بصورة عامة، حيث كانوا يأتون الى مكة والمدينة المنورة بهدف الحج او العمرة لكنهم يجلبون معهم مشكلات ومتاعب لا حصر لها من خلال تصرفاتاهم. وسجل عام ١٩٨٢ تصعيدا ملحوظا في هذه التصرفات وعرف العام ١٩٨٣ المزيد من التصعيد على مستوى التظاهر كما ظهر ايضا على مستوى عمليات العنف حيث قفز عـدد الحجاج الايـرانيين الى ٧٥٣٩١ في العام الأول، ثم ١٠٣,٠٤٤ في العام الثاني. ووصل عددهم عام ١٩٨٤ الى ١٥٤٩٥٨ اي الى نسبة ١٦,٨٪ من المجموع العام للحجاج في تلك السنة وفي عام ١٩٨٥ وصل الى المملكة ١٥٢,٢٢٧ مواطنا ايرانيا باسم الحج من مجموع العدد الاجمالي لحجاج العالم الذي بلغ ٨٥١٧٦١ ذلك العام. وفي عام ١٩٨٦ كان عـدد الحجاج الايـرانيين ١٥٢١٤٩ وهـو العام الـذي اكتشفت فيه السلطـات السعودية موادا متفجرة في قعر حقائب الكثير من هؤلاء الحجاج وتكتمت الحكومة

السعودية على الأمر تسامحا منها ولعدم اثارة مشكلات مع دولة اسلامية او تسبيب قلقا لموسم الحج. اما في عام ١٩٨٧ فقد وصل عدد الحجاج الايرانيين الى ١٥٥ الف حاج وهو العام الذي حصلت فيه احداث العنف وحاول الايرانيون مهاجمة المسجد الحرام واحتلاله (٢٣).

ان هذه الزيادة في عدد الحجاج الايرانيين قد جعلت السلطات السعودية تدرك دلالاتها السياسية وكانت اجهزة الأمن تراقبها بدقة حينما حصلت على معلومات دقيقة تبين بأن ٢٥٪ من الايرانيين المرسلين الى موسم الحج ينتمون الى (الحرس الثوري) و٤٠٪ منهم هم من المتطوعين الانتحاريين و١٣٪ منهم ممن يسمون بـ(جيل الثورة)، اما النسبة الباقية وهي ٢٢٪ فتمثل الحجاج الحقيقيين.

وفق هذه التطورات كلها كانت المملكة العربية السعودية تلتزم الصمت وسياسة ضبط النفس ازاء كل هذه الاستفزازات من قبل الجانب الايراني ودرج قادتها منذ البداية على اتباع اسلوب متعقل في التعامل مع ايران ومد الجسور معها ومن هنا كانت ـ كما تقدم ذلك ـ زيارة الامير سعود الفيصل وزير الخارجية الى ايران في شهر أيار/ مايو ١٩٨٧. كما ان خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود قد مارس سياسة ضبط النفس والتسامح مع ايران في عدة خطب وتصريحات له بهذا الصدد، حيث قال في خطاب له في شهر تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٨٨: (لم يكن للمملكة العربية السعودية في يوم من الايام دور سيء في أي بلد في العالم سواء كان عربيا او اسلاميا أم غير ذلك بل دائما تجد المملكة نفسها تترفع عن ان توجد مشكلات لاية جهة كانت. فما بالك بدولة مسلمة مثل ايران، لا أعتقد انها بحاجة الى شيء من زيادة حتى تضيف الى رقعتها بلدانا أخرى... وأملي أن لا تكون ايران لها هدف التوسع على حساب دول مجاورة لها. نحن نريد في الواقع ان تنتهي هذه المشكلات بالطرق المحببة للنفس وأنا اقول هذا الكلام وانا اعنيه بالضبط) (٢٥).

لكن هذا الاتجاه المتعقل في السياسة السعودية ازاء الاستفزازات الخمينية لم يفهمها الخمينيون واعتبرته عجزاً أو ضعفا وتمادت في ممارستها العدائية، وقد أكد

خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ذلك في خطاب آخر له حينما قال بأن الايرانيين قد أخطأوا فهم سماحتنا فظنوها ضعفا (٢٦). وأضاف: (ان المملكة العربية السعودية لن تكون دولة معتدية بيد أنها لا تسمح لاحد ان يعتدي على شبر من ارضايها... وان المملكة لا يمكن ان تسمح لدولة ما ان تستغل موقفا معينا لابراز امور معينة لها رغبة فيها). وهذه الاشارة واضحة من قبل الملك فهد الى المحاولات الخمينية خلال السنوات الماضية لادخال مفاهيم دخيلة هي المفاهيم الشيعية الى الاسلام وتحوير الشعائر والتعاليم المقدسة التي اقرها الله في القرآن الكريم وأقرها رسوله ﷺ في أحاديثه الشريفة، والشعارات الايرانية المطروحة كانت تتضمن هدفا اساسيا يكون لصالح الثورة الخمينية ولاجل الوصول الى هذه الاهداف السياسية فان ايران تطرح شعارات دينية تشوه العقيدة الاسلامية واضاف الملك فهد حول ما قامت به ايران من استفزازات: «ان المملكة قد تحملت الكثير ليس عن عدم مقدرة او عدم ادراك ولكن لاننا كنا نقول ـ لعل وعسى ان يفهم الطرف الآخر المنطق المعقول» (٢٧).

وكذلك ولابراز سياسة التعقل والهدوء السعودية بشكل اكثر نورد حديثا هاما جدا لوزير الاعلام السعودي الاستاذ علي الشاعر تناول فيه الاحداث التي جرت في موسم حج ١٩٨٦ عندما القت قوات الأمن في المملكة القبض على أسلحة ومتفجرات من الحجاج الايرانيين كما سبق لنا وان تحدثنا عن ذلك في موضع سابق من هذا الفصل حيث يقول الوزير موضحا هدوء الدبلوماسية السعودية وعمق الاستفزازات الخمينية الاحداث في هذا الحديث الشديد الأهمية: (لقد حاول خادم الحرمين الشريفين جاهدا طوال السنوات الماضية ان يدرأ السيئة بالحسنة لا وهناً ولا خوفاً الا من الله العزيز الحميد وانما اراد بذلك ان يحافظ ما استطاع على استتباب الأمن بين الحجيج وتطويق الخلاف بكل الاساليب الهادئة وعدم تصعيد الامور مع المسؤولين الأيرانيين، حتى كان حج ١٤٠٦ هـ عندما فوجيء رجال الأمن في مطار الملك عبد العزيز بجدة وفي اليوم الثالث من شهر ذي الحجة بوصول طائرة حجاج ايرانية وعلى متنها خمس وتسعون حقيبة فيها مخازن سرية ملئت

بمادة شديدة الانفجار تكفي لنسف المعابر في المشاعر ومن عليها من الحجاج الابرياء. وقال رؤساء هذه الحملة المدمرة من حراس الثورة في اعترافاتهم التي اسمعناها للعالم بأسره بعد ذلك قالوا: لقد جئنا بهذه الحقائب لتنفيذ اوامر حكومة طهران فاسألوها ولا تسألونا فانما نحن أداة تنفيذ...

وأضاف الوزير علي الشاعر: لو حدث هذا الامر لاي بلد في الدنيا يحافظ على امنه ويمارس حق سيادته على ارضه لاتخذ من الاجراءات الفورية ما يراه لفرض العقوبات القاسية والرادعة لمنفذي هذه الجريمة ولأعلنها للملأ في حينه وسلط عليها الاضواء ليقف العالم بأسره على فداحة الجرم وخاصة في مثل هذا الحشد الاسلامي العظيم. فبماذا قابل خادم الحرمين الشريفين بوصفه الراعي المؤتمن على ارواح المسلمين ذلك الحدث... وكيف تعامل معه.. لقد قابله بضبط النفس وتحكيم العقل وحقن دماء المسلمين وتعامل معه بأخلاقية المسلم الواعي لمسؤوليته... وما ان اطلع حفظه الله على التحقيقات بجميع براهينها المسموعة والمصورة حتى اصدر أوامره الى سمو أخيه وزير الداخلية بحفظ التحقيق مع كامل اداة الجريمة من الحقائب ومحتوياتها حرصا منه على عدم اشاعة الخوف والقلق بين الحجاج.

وفوق هذا امر القائمين على شؤون الحج بتمكين ركاب الطائرات من اداء فريضة الحج وزيارة المسجد النبوي ضيوفا على الدولة معززين مكرمين لأنهم لم يكونوا على علم او ادراك بما كانوا يحملونه معهم من مواد الموت والدمار لأخوانهم ضيوف الرحمٰن... كما امر خادم الحرمين الشريفين بعد ذلك باطلاق سراح رؤوس الحملة بعد وساطة اشقائه من قادة الدول الاسلامية والعربية.

فعل ذلك ملك البلاد أملا في ان يتعظ حكام طهران بما قابلتهم به حكومة المملكة العربية السعودية من كرم ونبل وتسامح فلعلهم يتوبون ويرجعون الى صوابهم ولكنهم مع شديد الأسف اخطأوا المقاصد الى غير ما ترمي اليه فجاؤوا في العام الذي يليه وهو حج (عام ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ ميلادي) بجريمة أدهى وامر اذ قاموا بعد عصر يوم السادس من شهر ذي الحجة لعام ١٤٠٧ هـ رغم كل المحاولات

السلمية معهم قاموا بمظاهرة صاخبة يزيد تعدادها على سبعين الف رجل من حراس الثورة وأجرائها فقفلوا منافذ الطرقات وحبسوا مئات الآلاف من الحجاج والمواطنين عن عبادتهم ومصالحهم تحت اشعة الشمس المحرقة ومنهم النساء والأطفال.

ولما حاول البعض التفاهم مع المتظاهرين بالحسنى لفتح الطرقات اخذوا يدمرون ويحرقون كل ما يصادفونه في طريقهم من السيارات والدراجات واشعلوا النار في عدد من المباني لبث الرعب في قلوب الآمنين في مكة. وعندما وصلت هذه الغوغائية الجنونية الى منعطف يؤدي الى بيت الله الحرام متجاوزين بذلك كل الحدود، فراحوا ينادون عبر مكبرات الصوت (الى الحرم... الى الحرم)، هنا كان لا بد من حسم المقف فصدرت الأوامر فورا الى قوات الأمن بسرعة التدخل لمنعهم من الوصول الى الحرم... وهنا تراجع المتظاهرون على اعقابهم في سرعة جنونية مما تسبب في سقوط العشرات من نسائهم وشيوخهم تحت اقدام بعضهم بين قتيل وجريح كما استشهد من جنودنا ومواطنينا ومن الحجاج الآخرين في ذلك اليوم ثلاثمائة وستون... ولا تزال نفوسنا تعتلج بالحزن والأسى على كل روح ازهقت بسبب هذه المظاهرة في رحاب مكة المكرمة).

ان هذه الاحاديث التي صدرت عن مسؤولين سياسيين سعوديين كبار وفي مقدمتهم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، توضح مدى التطرف الخميني وعدم احترامه لابسط الأعراف الدبلوماسية والسياسية. بل اختراقه لكل القوانين التي تقر باحترام السيادة الاقليمية لدولة على اراضيها وعلى امنها القومي الداخلي. كما انها توضح ايضا اختراقا كبيراً لتعاليم الدين الاسلامي ولابسط قواعد الاحترام لقدسياته وشعائره الدينية وفي مقدمتها فريضة الحج ومكانه اي مدينة مكة المكرمة هذه المدينة التي تشكل قبلة المسلمين في كافة انحاء العالم والتي كانت على الدوام وطيلة كل مراحل التاريخ موضع احترام لانها دار سلام وأمن وفيها بيت الله الحرام. فأي اسلام ينادي به الخمينيون اذا كانوا يسمحون لانفسهم بأن يقترفوا اعمال العنف والقتل داخل هذه المدينة المقدسة ويسعون الى

احتلال الحرم بقوة السلاح وتدمير موسم الحج وقتل الحجاج المسلمين.

ان هذه الاعمال تدفع للتساؤل: اي نوع من (الاسلام) تهدف السلطات الخمينية الى تطبيقه والى نشره، هل هو الاسلام الشيعي، فان كانت هذه التطبيقات صادرة من دولة مذهبها الرسمي هو المذهب الشيعي الجعفري وان هذه الممارسات صادرة عن دولة تلتزم بهذا المذهب فسوف يحق لنا التساؤل عن مدى اسلامية المذهب الشيعي وعن مدى علاقة التشيع والشيعة بالدين الاسلامي الحنيف.

ان هذه الاحداث العنيفة التي هزت العالم الاسلامي والمسلمين في كل الانحاء لم تكوّن اي رادع للسلطات الايرانية الخمينية. فبالرغم من موجة الادانة والاستنكار التي انفجرت ضد ايران بسبب ممارستها الطائفية والاستفزازية داخل مدينة مكة، بدت حكومة طهران وكأنها تريد الامعان بالاستفزاز وبالوقاحة وكأن شيء لا يهمها، وكأن العالم الأسلامي غير موجود. فقد اصطنعت من جانبها حملة اعلامية مزيفة تهاجم من خلالها المملكة العربية السعودية والبلدان العربية والاسلامية الأخرى وكأن كل العالم الاسلامي على خطأ وهي وحدها على حق.

وأمعانا في الاستهتار واللامبالاة بأرواح المسلمين وبقواعد الدين الاسلامي وروحانيته وطقوسه، وبتصرف ساذج ينم عن عدم نضج القيادة الايرانية وسلوكيتها السوقية على الصعيد الدبلوماسي العالمي الذي له اعراف وتقاليد ينبغي احترامها تمادت بالتحدي بعد الحوادث الدموية التي ارتكبتها في مكة في موسم الحج من عام ١٩٨٧، اذ أعلن نائب وزير الخارجية الايراني علي محمد بشارتي في مساء يوم ٦ شباط (فبراير) ١٩٨٨ من القناة الثانية للتلفزيون الايراني ما يلي: (ان ايران ستوفد الى الديار المقدسة هذا العام ما يزيد على ما اوفدته من الحجيج في السنوات الماضية) (٢٩).

لقد اطلق علي بشارتي هذا القرار بوقاحة وذلك دون اية استشارة او استطلاع لرأي السلطات السعودية او انتظار موافقتها بل امعانا في الوقاحة وعدم المسؤولية داخل المنصب الدبلوماسي والسياسي الذي يحتله هذا الرجل قال: (ان الايرانيين سوف لن يستأذنوا السعوديين في تنظيم المظاهرات السياسية مطلقا).

وقبل هذا الرأي الذي صرح به بشارتي صرح بكلام مماثل لهذا زميله في وزارة الخارجية الايرانية المسمى كروبي كما صرح بمثل هذا الكلام ايضا شخص يطلق عليه اسم الدكتور كمال خرازي رئيس مكتب الاعلام الحربي الذي قال بسذاجة لم يسبق لها مثيل لشخصية سياسية في دولة ما: (على السعودية ان تسوي المشكلة التي اذت العلاقات الثنائية في حج العام الماضي على النحو الذي نريده نحن في ايران) (٣٠).

ان هذه الوسيلة وعدم اللباقة الدبلوماسية هي صفة لازمت النظام الخميني على الدوام لأن كافة (كوادره) السياسية هم عبارة عن اشخاص ليس لهم اي سابق عهد بهذه المسؤوليات الرفيعة التي تهم شعبا بكامله هو شعبهم الايراني، بل انها كانت على الأغلب شخصيات قد انبثقت من حثالة المجتمع ووجدت نفسها بين ليلة وضحاها متسلمة لمناصب رفيعة في الدولة تحتم الكثير من الواجبات والالتزامات الاجتماعية والسلوكية والكثير من اللباقة والكياسة لأن الامر لم يعد متعلقا بها بشكل خاص بل بصورة الدولة التي يمثلوها امام الرأي العام العالمي ومقاييسه السياسية والدبلوماسية.

وعلى اثر هذا التصريح قامت المملكة العربية السعودية فيما بعد بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع ايران كما سوف يتوضح ذلك بتفصيل اكثر في مكان لاحق من هذا الفصل.

أما الآن فيجدر بنا التركيز على الممارسات الخمينية اللاحقة التي تلت عمليات العنف في موسم حج عام ١٩٨٧ لنرى هل اتعظت ايران من هذه التجربة المريرة، وهل استفادت السلطات الايرانية من الادانة العالمية والاسلامية لها لكي تراجع نفسها وتبدأ صفحة جديدة من العلاقات الاسلامية الصحيحة مع المملكة العربية السعودية. كما ان هذا العرض لسلوكيات حكام طهران بعد المذبحة التي اقترفوها في مكة المكرمة عام ١٩٨٧ يظهر في الوقت نفسه، الصبر والدبلوماسية الهادئة والمتعقلة للمملكة العربية السعودية التي ظلت قيادتها الحكيمة تتبع نهجا دبلوماسيا متسامحا املا منها في ان تتراجع ايران عن ممارساتها الطائفية

الشيعية وتعود الى الصف الاسلامي من جديد.

لكن الخط السياسي الخميني الممعن في اثارة الاستفزازات وتغذيتها لم يتعض ابدا من الاحداث الدموية التي اقترفها عام ١٩٨٧ بل بقي يواصل ممارساته اللاقانونية بهذا الصدد وان عرض شامل وبسيط للاحداث منذ موسم حج ١٩٨٧ وحتى السنوات اللاحقة يوضح مدى الاستهانة التي تتبعها الحكومة الايرانية تجاه القانون الدولي والاعراف الدبلوماسية العالمية المتبعة، فضلا عن امعانها بتشويه الصورة السياسية لايران كدولة مسلمة.

فردا على الاجراءات الامنية والقانونية التي اتخذتها سلطات المملكة العربية السعودية تجاه الاضطرابات التي قام بها الايرانيون في موسم الحج عام ١٩٨٧ ، قامت ثلة من اعضاء الحزب المسمى بـ(حزب الله) باقتحام السفارة السعودية في طهران وذلك بتاريخ آب (اغسطس) ١٩٨٧ حيث اسفر اقتحامهم هذا عن مقتل الملحق السعودي (٣١).

وفي بداية عام ١٩٨٨ كما سبق واشرنا صرح معاون وزير الخارجية الايراني عن ان ايران سوف ترسل في ذلك العام عدداً من الحجاج اكثر من العام السابق، فاذا علمنا بأن العام السابق ويعني ١٩٨٧ قد بلغ عدد الحجاج الايرانيين فيه اكثر من مائة وخمسين الف حاج، اي انهم يتفوقون عدديا على كل اعداد الحجاج الآتين من بلدان العالم الاسلامي الأخرى، فان العام الذي يقصده بشارتي نائب وزير الخارجية الايراني سوف يشهد ارسال حوالي ٢٠٠ الف حاج ايراني اوربع مليون.

وكانت المملكة العربية السعودية قد حددت عدد الحجاج الوافدين من كل بلد اسلامي بنسب محددة تتفق مع عدد سكان البلد كل عام، وذلك خلال المؤتمر الاسلامي السابع عشر لوزراء خارجية الدول الاعضاء في (منظمة المؤتمر الاسلامي) الذي انعقد في العاصمة الاردنية عمان بين ٢١ و ٢٥ آذار (مارس) ١٩٨٨ (٢٣). وجاء هذا التحديد بهدف تسهيل عملية الحج اذ بلغ عدد الوافدين الى المملكة العربية السعودية من كل بقاع العالم خلال السنوات الاخيرة حوالي

المليون حاج في كل موسم، وهو عدد ضخم يتطلب الكثير من الالتزامات التنظيمية والامنية والاقتصادية من قبل الدولة المضيفة اي الدولة السعودية.

على اثر هذا التصريح الذي صدر من وزارة الخارجية الايرانية قطعت المملكة العربية السعودية علاقاتها الدبلوماسيـة بايـران، ولكن المملكة وكـالتزام ديني واسلامي منها تجاه البلدان الاسلامية وتجاه فريضة الحج كفريضة مقدسة لم تطرح اي نوع من الحضر او المنع على مجيء الحجاج الايرانيين الى المملكة لتأدية فريضة الحج على الرغم من توتر العلاقات السياسية بينها وبين ايران. فتـوتر العلاقات كان محض معطيات سياسية نتجت عن ممارسات عـدوانية من قبـل الحكومة الايرانية تجاه المملكة. لكن هذه المعطيات السياسية لم تؤثر ابدا عـلى الادراك والالتزام الديني الاسلامي الذي تتبعه المملكة كمركز لـوجود الامـاكن المقدسة في العالم الاسلامي. لكن الحكومة الخمينية رفضت بأن تبعث حجـاج ايرانيين الى مكة في موسم حج عام ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨م)، الأمر الذي استدعى اسف السلطات السعودية لان الحكومة الايرانية قد منعت مواطنيها من تـأدية فريضة مقدسة، فقد حاول الايرانيون املاء شروطهم على الدولة وعلى الكيفية التي تنظم وفقها هذه الدولة عملية ضخمة مثل ادارة الحج وتنسيقه. وعندما قطعت المملكة العربية السعودية علاقاتها الدبلوماسية مع ايران فان السلطات الخمينية لم تتعظ من ذلك على الرغم من ان بيان قطع العلاقات قد جاء واضحا ومحددا الحقائق في سياقها الدقيق، ومن المفيد هنا ان نورد النص الكامـل لقرار قطـع العلاقات قبل ان ننتقل للاحداث الدموية التي عادت ايران ممارستها في موسم حج عام ١٩٨٩:

قرار قطع العلاقات:

الرياض في ١/٩/١٤٠٨ هـ الموافق لـ٢٦/٤/١٩٨٨ ميلادية.

قررت حكومة المملكة العربية السعودية قطع علاقاتها مع حكومة الجمهورية الاسلامية الايرانية، وقد تسلم القائم بالأعمال الايراني مساء اليـوم من وزارة

الخارجية المذكرة التالية:

نظرا للمواقف الايرانية العدائية تجاه المملكة العربية السعودية والاساءات المتعمدة ضد مصالحها الاساسية ونتيجة لما لاحظته حكومة المملكة العربية السعودية من تصرفات حكومة الجمهورية الاسلامية الايرانية التي لا تتفق مع أسس العلاقات بين الدول من احترام مبادىء القانون الدولي والتقيد بالاعراف الدبلوماسية ومراعاة لعلاقات الاخوة الاسلامية وما لاحظته المملكة العربية السعودية من تورط حكومة الجمهورية الاسلامية الايرانية في اعمال مخالفة لمبادىء حسن الجوار والاحترام المتبادل مثل قيامها بمحاولة تهريب المتفجرات داخل المملكة خلال موسم حج عام ١٤٠٦ هـ بما يهدد امن الحجاج والاماكن الاسلامية المقدسة... واستغلال الشعائر الدينية في اثارة الشغب واثارة الفتنة والتفرقة بين ابناء الامة الاسلامية الواحدة ومحاولاتها المتكررة للمساس بالمصالح الاساسية للمملكة وتعرضها لحرية الملاحة في منطقة الخليج وللسفن القادمة من والى موانىء المملكة العربية السعودية الى غير ذلك من اعمال الارهاب والتخريب وعلى الرغم من ذلك فقد عمدت المملكة تجاه كل هذه التصرفات التي تتنافى مع الاعراف والتقاليد الدبلوماسية الى ضبط النفس والتمسك بالحكمة التي تقتضيها العلاقات بين البلدين الاسلاميين المتجاورين وافهام السلطات الايرانية بمختلف قنوات الاتصال على حرص المملكة على تطبيع علاقاتها مع الجمهورية الاسلامية الايرانية على اساس من الاحترام المتبادل ... انطلاقا من الروابط الاسلامية والتاريخية بين البلدين وحفاظا من المملكة على سلامة التضامن الاسلامي غير ان هذا الموقف الايجابي من جانب المملكة لم يلق اي تجاوب من قبل الجانب الايراني الذي امعن في ممارساته العدائية.

وقد كان في مقدمة تلك الممارسات العدائية ما تعرضت له سفارة خادم الحرمين الشريفين في طهران من مداهمة وتخريب بتدبير من السلطات الايرانية الرسمية والاعتداء على الدبلوماسيين العاملين فيها مما افضى الى استشهاد احدهم وتدمير ممتلكات السفارة ونهب وثائقها وذلك بالاضافة الى عدم قيام السلطات الايرانية

بتوفير الأمن والاجواء المناسبة لموظفي سفارة المملكة العربية السعودية في طهران للقيام باعمالهم وتعرضهم للمضايقات المستمرة مما استدعى مغادرة طهران من قبل كافة اعضاء السفارة هناك.

ولذلك فان حكومة المملكة العربية السعودية قررت قطع علاقاتها مع حكومة الجمهورية الاسلامية الايرانية وطلبت مغادرة كافة اعضاء سفارة الجمهورية الاسلامية الايرانية في الرياض وقنصليتها العامة في جدة للمملكة خلال فترة اقصاها اسبوع واحد من تاريخه).

ان هذا البيان قد جاء واضحا في ادانة ايران على ممارساتها السياسية غير المقبولة وقد جاء أيضا قرار قطع العلاقات بعد سنوات من التعقل والهدوء الذي واجه به ساسة المملكة العربية السعودية وفي مقدمتهم خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، السياسة الايرانية الاستفزازية والعنيفة تجاه المملكة، وقد توضحت في الصفحات السابقة تفاصيل ذلك. فان تعقل المملكة وعقلانيتها في السياسة الدولية واحترامها للاعراف والقوانين التي تقرها اصول الدبلوماسية العالمية او قواعد القانون الدولي قد استنفذته تهورات السياسة الايرانية. وكانت الخطوات التي اتخذتها السعودية منطقية وتنم عن تراتب دبلوماسي ذا ادراك عميق لمصلحة العالم الاسلامي ولمصلحة الأمة الاسلامية.

فالمملكة لم تفقد صبرها ولم تخرج عن طورها الاعلامي المتزن وتأخذ بانتقاد ايران الا بعد احداث عام ١٩٨٧ اي بعد سنوات من الاستفزازات العدائية الايرانية. كما انها لم تتخذ قرارا بقطع العلاقات مع ايران الا بعد ان ادركت بأن ايران مصرة على مواصلة تطرفها على الرغم من وقوع احداث مكة في موسم حج ١٩٨٧. وقد كان ادراك ساسة المملكة في محله ولذلك كانت سياسة المملكة تنحو في شدتها وتصلبها اتجاه ايران منحا تدريجيا هادئا يتراوح بين التسامح واللين في البداية ليتصاعد تدريجيا نحو التشدد واخذ المبادرة بالرد وفق قاعدة العين بالعين والسن بالسن. وان هذا الاسلوب التدريجي كان يطمح بأن تتراجع الحكومة الايرانية بعض الشيء عن ممارساتها وتحتكم الى العقل والاتزان، أي ان السياسة

السعودية هذه كانت تمنح فرصة اضافية للخميني وأعوانه لان يفكروا في سوء ممارساتهم السياسية والدينية.

وقد احدث قرار قطع العلاقات اهتماما عالميا كبيرا لانه جسد بالفعل ولأول مرة بأن السلطات السعودية قد استنفد صبرها تماما من جراء الاستفزازات الخمينية، وان مرحلة الخلاف بين المملكة العربية السعودية والحكومة الاسلامية الايرانية قد بلغت نقطة اللارجوع فان المملكة قد صبرت طويلا بل كما يرى محرر جريدة اللوموند الفرنسية بأن صبر الحكومة السعودية على ايران قد بلغ بأن التزمت المملكة نوعا من الحياد بالنسبة للحرب العراقية ـ الايرانية على الرغم من مساعداتها الاقتصادية للعراق اثناء هذه الحرب (٣٣)، في حين كان باستطاعة السعودية وقدرتها الكاملة ان تدخل منذ اللحظات الأولى كدولة مؤيدة الى العراق ومخاصمة لايران، لكن السلطات السعودية فضلت ان تحافظ على شعرة معاوية مع ايران على الرغم من كل ما صدر عن هذه الاخيرة تجاه المملكة من استفزازات عدائية. كما قالت الصحيفة ان السعودية لا يمكن لها ان تتسامح ابدا مع الفكرة التي طرحتها آيران حول تدويل الاماكن المقدسة في كل من مكة المكرمة والمدينة (٣٤).

وإعتبرت صحيفة (ميساج) الفرنسية قرار المملكة بقطع علاقتها مع ايران حدثاً هاماً وجديراً بالاعتبار (٣٥)، وقد تحدثت صحيفة الـ(فيغارو) الفرنسية بشكل تفصيلي حول الفوارق بين الاسلام الاصيل اي الاسلام السني الذي يطبق في المملكة العربية السعودية وبين المذهب الشيعي الذي تطبقه الحكومة الايرانية (٣٦).

ولاقى ايضا قرار قطع العلاقات مع ايران تأييداً كبيراً على كل المستويات الاقليمية والعربية والاسلامية الأمر الذي عكس بشكل واضح موضوعية القرار وواقعيته وكونه جاء نتيجة طبيعية لاستمرار الأستفزازات الخمينية المنافية للاعراف الدبلوماسية وروح الحوار والاخوة الاسلامية (٣٧).

وعلقت مصادر عربية رفيعة المستوى على قرار السعودية بقطع علاقاتها مع

ايران بأن ذلك يشكل تطوراً سياسياً مهما في العلاقات الخليجية الايرانية ويمكن ان يدفع دولا عربية اخرى الى قطع العلاقات مع طهران ويزيد من عزلة النظام الخميني عربيا ودوليا واوضحت المصادر ان حرص المسؤولين السعوديين على احاطة هذا القرار بالتكتم الشديد حتى لحظة اعلانه في وقت متأخر مساء الثلاثاء ٢٦/٤/١٩٨٨ ناتج عن الرغبة في عدم اتاحة المجال امام بعض الاطراف العربية لمحاولة التوسط مجدداً بين الرياض وطهران لتأجيل تنفيذ هذه الخطوة.

ورأت هذه المصادر العربية ايضا بأنه من النادر ان تتخذ السعودية قراراً بقطع العلاقات مع اية دولة في العالم سواء كانت عربية او اجنبية واذا كان خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز قد اتخذ قرارا بقطع كل العلاقات مع ايران وليس فقط العلاقات الدبلوماسية، فذلك بسبب وجود عدة اسباب اساسية تدفعه الى الاقدام على هذه الخطوة. والملاحظ ان السعودية لم تكتف باعلان قرارها هذا وامهال اعضاء السفارة الايرانية في الرياض واعضاء القنصلية الايرانية في جدة مهلة اسبوع لمغادرة البلاد، بل سلمت القائم بالاعمال الايراني مذكرة رسمية تشرح فيها أسباب هذا القرار (٣٨).

وكان الرد الساذج للسلطات الايرانية على قرار قطع العلاقات هو اثارة بعض الاشاعات حول أن السلطات السياسية والامنية في المملكة قد قامت بمعاملة منسوبي سفارة ايران في الرياض ومنسوبي قنصليتها في جدة معاملة سيئة اثناء مغادرتهم لأراضي المملكة. وهنا نلاحظ مرة اخرى التدني في السلوكية الدبلوماسية والسوقية في التصريحات التي تتبعها حكومة طهران، فالجميع يعرف بأن المملكة العربية السعودية التي سكتت لسنوات طويلة على استفزازات السياسة الخمينية تترفع عن القيام بأعمال تخل بالالتزامات الدبلوماسية على عكس ما تفعله ايران بسفارة المملكة ودبلوماسييها في طهران بحيث قام الايرانيون بقتل احد منسوبي السفارة السعودية هناك.

وقال راديو طهران، على اثر اعلان المملكة لقطع علاقاتها مع ايران، بأن قوات الامن السعودية قامت بمهاجمة القنصلية الايرانية بجدة يوم الثلاثاء (اي يوم

قطع العلاقات) واقتادت جميع العاملين فيها الى جهة غير معلومة.

ورداً على هذه الاتهامات الكاذبة التي اذاعوها في ايران وتناقلتها بعض الاذاعات ووكالات الانباء، صرح مصدر رسمي سعودي بأن ما اذاعه راديو طهران عار من الصحة ولا اساس له على الاطلاق، وان الاجراءات التي تم اتخاذها لا تعدو كونها اجراءات اعتيادية تتمشى مع الاعراف الدبلوماسية المتبعة في مثل هذه الاحوال.

واضاف المصدر ايضا بأنه كان بمقدور السلطات الامنية السعودية ان تقوم باجراء مماثل لما اقدم عليه النظام الايراني عند الساعة السابعة من صباح يوم السبت الموافق لـ٧/١٢/١٤٠٧ هـ المقابل لـ١/٨/١٩٨٧م عندما اقتحمت قوة من حراس الثورة الخمينية مبنى السفارة السعودية في طهران واحرقتها بما فيها من محتويات ووثائق وممتلكات وقتلت احد موظفيها وحجزت الباقين عدة ايام لولا ان المملكة تترفع كعادتها عن مجاراة الغوغائيين في ممارساتهم المعروفة.

واختتم المصدر الرسمي السعودي رده على اتهام راديو طهران بقوله: لقد غادر جميع منسوبي القنصلية والسفارة الايرانيتين في كل من جدة والرياض مصطحبين معهم كل تجهيزاتهم في اجواء امنية هادئة دون ان يمس احدهم بسوء (٣٩).

لكن ايران من ناحية اخرى وبعد ان غلّت ايديها داخل اراضي المملكة العربية السعودية بحيث لم تعد قادرة على تنفيذ اي عمل تخريبي على التراب الاقليمي للمملكة بدأت اجهزتها الارهابية تقوم باغتيال الدبلوماسيين السعوديين الموجودين في الخارج، وكانت آخر هذه الاعمال الارهابية هي اغتيال ثلاثة دبلوماسيين يعملون في سفارة المملكة العربية السعودية في العاصمة التايلندية بانكوك وذلك في اوائل شهر شباط/ فبراير ١٩٩٠، حيث قامت مجموعة ارهابية يطلق عليها الجهاد الاسلامي باغتيال ثلاثة من موظفي السفارة السعودية هم عبدالله عبد الرحمن البصري رئيس القسم القنصلي، ومساعده فهد عبد الله الباهلي وموظف التيليكس في السفارة احمد عبدالله السيف.

وعلى الرغم من ان السلطات الرسمية في المملكة لم تتهم ايران او اية جهة اخرى بانها وراء الحادث، الا ان مراقبين سياسيين في الرياض يرون ان منظمات ارهابية محسوبة على طهران وتتلقى دعاما منها قد تكون وراء حادث الاغتيال.

وقد اشار المراقبون في هذا الصدد الى ما اجمعت عليه الصحف السعودية الصادرة في اليوم التالي على وقوع الحادث فقد تناولت بالبحث ظاهرة الارهاب من دون ان تسمي جهة معينة وراء الحادث، مذكِّرة بحوادث ارهابية سابقة تعرض لها دبلوماسيين سعوديين ولوحظ ان الصحف حملت على ما اسمته الارهاب الايراني واستخدام ايران الارهاب كصيغة لسياستها الخارجية، مشيرة الى احداث الحرم المكي الشريف عام ١٩٨٧ واحداث الحرم عام ١٩٨٩ ولجوء ايران الى استخدام بعض عملائها على حد تعبير الصحف وشراء ذممهم للقيام ببعض التفجيرات.

والجدير بالذكر هو ان عدة عمليات اغتيال قد ارتكبت ضد دبلوماسيين سعوديين في عام ١٩٨٩ في عدد من عواصم العالم مثل بانكوك وانقرة وكراتشي. وكانت منظمة تطلق على نفسها الجهاد الاسلامي وهي منظمة ارهابية تتلقى الدعم والتمويل من طهران، وخاصة الجناح المتطرف الذي يشرف على مثل هذه التنظيمات فيه وزير الداخلية الايراني السابق علي محتشمي، قد اعلنت مسؤوليتها عن عدد من عمليات الاغتيال تلك (٤١).

وبعد مرور حوالي العام على قطع العلاقات وفي موسم حج عام ١٩٨٩ قامت السلطات الايرانية بايفاد شلة اخرى من عملائها كحجاج الى بيت الله الحرام وكانت هذه الشلة تحمل معها مواد متفجرة استخدموها اثناء عملية الحج حيث احدثوا عدة انفجارات اسفرت على مقتل عدد من الحجاج الابرياء وجرح عدد آخر منهم. وقد حدثت هذه التفجيرات في يوم الاثنين السابع من شهر ذي الحجة ١٤٠٩ هجرية الموافق لـ ١٠ تموز (يوليو) ١٩٨٩ م وكذلك في ليلة يوم الاثنين الرابع عشر من شهر ذي الحجة ١٤٠٩ هجرية الموافق لـ ١٠/٧/١٩٨٩ ميلادية، وقد وقعت التفجيرات في مدينة مكة المكرمة قرب الحرم الشريف (٤٢).

وكانت هذه التفجيرات وعمليات العنف، التي جاءت بعد سنوات طويلة من

الاستفزازات الايرانية ومن التحذيرات السعودية لايران، حدثا لا يمكن التسامح معه من قبل قيادة المملكة، فبعد محاكمات طويلة وفق القانون والشرع الاسلامي وبعد اثبات الجرم على المتهمين وباعترافات شخصية وتفصيلية منهم قررت المملكة تنفيذ حكم الله والشرع الاسلامي بالمجرمين وهو الحكم القاضي باعدام ستة عشر مذنبا من مجموعة تسعة وعشرين متهما كانت السلطات السعودية قد القت القبض عليهم في شهر تموز (يوليو) ١٩٨٩ على اثر التفجيرات التي احدثوها قرب الحرم المكي الشريف. وكان هؤلاء المجرمين من الشيعة ويحملون الجنسيات الكويتية (٤٣)، اي ان ايران كانت تستخدم الآن اتباعاً لها من بلدان اخرى لكي تموه على سلطات الامن السعودي المصادر الاساسية للتخطيط للجريمة، وكانت تستخدم هؤلاء الاتباع من الشيعة القاطنين في بلدان عربية واسلامية غير ايرانية تأكيداً منها على البعد الطائفي لممارساتها غير الاسلامية.

وكبرهان على البعد الطائفي الشيعي، ان المملكة العربية السعودية عندما نفذت حكم الأعدام بهؤلاء القتلة قام «حزب الله» اللبناني الشيعي بقيادة رئيسه الشيخ فضل الله باصدار بيان سياسي ضد المملكة يهدد فيه بأنه سينتقم من السعودية ثأراً لحكم الاعدام الذي نُفذ بالشيعة الكويتيين في مكة (٤٤).

أن هذا الاجراء القانوني العادل الذي اتخذته السلطات العربية السعودية بحق القتلة قد كان نهاية المطاف في الموقف الذي اتخذته سياسة المملكة ازاء حكومة طهران، وقد غدا هذا الموقف هو الاتجاه السائد للسياسة السعودية تجاه طهران وهو الرؤية السعودية الرسمية للنظام الايراني، وكان من المفروض ان يكون هذا الموقف متخذاً من قبل المملكة منذ فترة طويلة، الا ان الصبر والتسامح وسياسة الهدوء المتزن التي عهدت عليها المملكة العربية السعودية بحكم مكانتها داخل العالمين الاسلامي والعربي كانت هي المتبعة في البداية حتى نفذت آخر ذرة من الصبر من جراء الاستفزازات الايرانية المتواصلة ومحاولات العنف المسلح التي

مارسها عملاء ايران داخل الاراضي المقدسة وخلال فترات الحج.

ولإيضاح السمات والمواصفات التي اتسم بها الموقف السعودي الجديد من حكومة طهران، وهو موقف الشدة والصلابة والمواجهة الحازمة لكل سلوكية سياسية ايرانية خارجة عن القانون ينبغي القاء نظرة متفحصة على المؤتمر الصحفي الذي قام به سمو الامير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية السعودي على اثر الاحداث التي حصلة في مكة في موسم حج عام ١٤٠٧ هـ الموافق ١٩٨٧ م، وكذلك تفحص التصريحات الأخرى التي ادلى بها سمو الامير نايف في مناسبات او مؤتمرات صحفية اخرى مختلفة، فانها في مجملها تصور السياسة السعودية الحازمة والاتجاه الامني الداخلي المتكامل الذي ترعى من خلاله المملكة حدودها وترابها الاقليمي وتوفر الحراسة والحماية والامن للحرمين الشريفين ولكل الاماكن المقدسة.

خصائص سياسة الأمن القومي السعودي:

ان أول ما يجذب النظر في المؤتمر الصحفي الذي عقده وزير الداخلية السعودي سمو الامير نايف بن عبد العزيز هو انه قد كشف بالوثائق عن كل الاعمال التخريبية التي كانت ايران تزمع على القيام بها داخل المملكة واثناء موسم الحج. وقد جاء هذا المؤتمر على اثر الاحداث الدموية التي قام بها ما يسمى بـ(حراس الثورة) الايرانيون في عام ١٩٨٧. وقد شهد المؤتمر لهجة سياسية حازمة جديدة لم يكن الساسة ورجال الدولة في المملكة قد عهدوها من قبل، الا ان هذه اللهجة كانت تدل على مدى المرارة التي انتابت السلطات السعودية من جراء الممارسات الايرانية المتطرفة. ففي هذا المؤتمر الصحفي وعلى مدى ساعتين ونصف الساعة ظل الأمير نايف بن عبد العزيز وامام حشد كبير، في قصر المؤتمرات، من الصحفيين العرب والاجانب ومصوري التلفزيون والصحافة يسمي الأشياء بمسمياتها فقد وصف بدقة زعماء ايران قائلا انهم «رؤوس مغرمة بالشر والفتنة» و«انزل الله بهم

الخزي والفضيحة»، ووصف ما حدث في مكة بأنه «مظاهرات غوغائية وفتنة يديرها النظام الايراني» (٤٥).

وعندما يقول الامير نايف ذلك فان لهذا الكلام مغزى كبير فسموه من اركان الدولة السعودية ثم ان الامير نايف باعتباره وزيراً للداخليـة هو المسؤول الاول المباشر عن قوات الامن التي واجهت اضطرابات الايرانيين هناك، وهو رجل مشهود له بالكفاءة وبعد النظر والعمل اليومي الدائب منذ توليه لوزارة الداخلية في المملكة عام ١٩٧٥. ويتسع معنى ودلالة مؤتمره الصحفي اذا عرفنا بأنه خبـير عارف بشؤون الخليج ويرتبط بصداقة حميمة مع المسؤولين في دول هذه المنطقة. ولذا فان سموه عندما يقول في مؤتمره الصحفي بأن المملكة العربية السعودية: تأمل بازاحة السلطة في ايران.. هذه السلطة التي ترسل شعبها الى الموت (٤٦)، فـان لهذا الكلام دلالة دقيقة تنمُّ عن تغيير كامل وجذري في موقف المملكة من ايران وان هذا التغيير سوف يكون الخطر المستقبلي الواضح والثابت لهذه السياسة، وينطوي كذلك في مضامينه البعيدة على تحديد سمة من سمات السياسة الامنية الوطنية للسلطة داخل المملكة.

كما اكد المؤتمر الصحفي الذي عقده الامير نايف بن عبد العزيز وعبر الوثائق الدامغة للحكومة الايرانية والمنطق الكلامي السليم الذي تحدث وفقه في طـرح الحقائق وتفاصيل الاحداث بأن المملكة العربية السعودية قد ربحت من ايران المعركة الامنية والاعلامية حيث اثبت هذا المؤتمر للايرانيين وللعالم اجمع بـأن المملكة قوة قادرة على حفظ وصيانة امنها الداخلي وانها مصممة على النأي بموسم الحج عن كل ما يشوهه سياسياً وأمنياً. وقد اعاد الامير نايف التأكيد عـلى ان رصاصة واحدة لم تطلق خلال احداث حج عام ١٩٨٧ وان الفتنة قد حسمت خلال نصف ساعة وقال: «اننا متأكدون من سلامة اجراءاتنا وعدالة مـوقفنا» (٤٧). واكد على الثقة المطلقة بالنفس وقد استشهد بقوله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: «لن يضركم من ضل اذا اهتديتم» كما وجه تحذيرا واضحا الى ايران قائلا : «في المرة القادمة سنستخدم الرصاص» (٤٨).

كما حدد سمو وزير الداخلية في مؤتمره ذلك الالتزام الاسلامي الكامل والعالي المستوى والمترفع عن ان تدخل الاحداث السياسية كعامل في التأثير على المملكة العربية السعودية بالتفريط بالتزاماتها الاسلامية ازاء العالم الاسلامي وازاء الدين الاسلامي الحنيف حيث قال: سوف لن يجري اي منع للايرانيين من القدوم حجاجا وذلك تقيدا وامتثالا من السعودية بسنة الله ورسوله لكن «الا اذا منعوا هم انفسهم» (٤٩). وهذا يعني بصريح العبارة بأن الايرانيين مرحباً بهم حجاجاً سالمين. لكن لا سكوت سعودياً بعد اليوم على السلاح والمتفجرات واسياخ الحديد والخناجر والمطاوي.

كما اضاف الامير نايف في مؤتمره بأن السعودية لا تخشى الارهاب وسوف تقابله بحسم وشدة وحزم ولكن السعودية لن ترد بالمثل فنحن لن نكون ارهابيين (٥٠). وهذا امر مفروغ منه لانه يتعلق بصميم مصداقية السعودية امام نفسها وفهمها لدينها والتصاقا باخلاقيتها وتقاليدها العربية وايضا التزاما باحترام مسؤوليتها ومكانتها وسمعتها في العالم اجمع، والعالم الاسلامي بشكل خاص، باعتبارها قائدة روحية له من خلال تاريخها ومن خلال حمايتها للأماكن المقدسة التي تشكل قلب هذا العالم ونبضه الروحي الحيوي.

وعبر مجريات المؤتمر الصحفي الذي عقده الامير نايف بن عبد العزيز والحديث الذي طُرح خلاله، وهو حديث مكثف وشامل ويحتوي الكثير من الدلالات يمكن الوصول الى نقاط رئيسية نستطيع استخلاصها منه وهي:

- تأكيد عزم حكومة المملكة العربية السعودية على تحمل مسؤوليتها كاملة تجاه حماية الاماكن المقدسة وتأمين سلامة حجاج بيت الله الحرام واعداد ما يلزم للقيام بهذه المهمة على الوجه الأكمل.

- ان حكومة خادم الحرمين الشريفين لن تحرم ابناء الشعب الايراني المسلم الراغبين في اداء فريضة الحج باخلاص نية وتجرد وتوجه لله تعالى التزاما بتعالم الحج وقوانين المملكة المطبقة لضبط النظام وحفظ الأمن وتيسير اداء المناسك من اداء فريضة الحج لكنها لن تتردد مطلقا في التصدي بكل قوة لأي تصرف يستهدف

اثـارة الفتن والقلاقـل وبث الفوضى والـرعب بين الحجـاج المسلمين، كمـا انها ستتصدى بكل الحزم لكل التصرفات الشائنة التي تخل بالشعائر الخاصة بالحج او تخرج هذه الشعائر عن هدفها واطارها الصحيح سواء كان ذلك بالمظاهرات او تمجيد الافراد او ترديد الشعارات السياسيـة او الممارسـات المناقضـة للكتاب والسنة.

ـ ترفض الحكومة السعودية مطالب حكام ايران بمنحهم معاملة خاصة وصفـة متميزة عن بقية افراد وفود الـدول الاسلاميـة فهذا مطلب استفـزازي وغريب يستهـدف ارضاء غـرور حكام طهـران وغطرستهم وتحقـير الـدول والشعـوب الاسلامية الاخرى التي تساهم باخلاص في التجـاوب مع القـوانين. والانظمـة بغرض انجاح فريضة الحج وتحقيق اقصى درجات الراحة للحجاج (٥١).

ان هذا المؤتمر قد حظي بالكثير من الاهتمام، اسلامياً وعربياً وعالمياً، لأنـه يشكل مؤشراً على نقلة نوعية في السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية. ونتيجة للاصداء العالمية التي احدثها فانه قد غدا مصدراً يشار اليه على الدوام في تحديد سمات هامة للسياسة السعودية سواء على الصعيد الامني الداخلي او على الصعيد الدبلوماسي الخارجي.

وان آلاف المقالات التي كتبت في الصحافة العالمية حول سمـو الامير نـايف ومؤتمره الصحفي قد اقـرت الدلالات الهـامة التي يـرسمها هـذا المؤتمر عـلى السياسة السعودية المستقبلية.

ومن المقالات الهامة التي نشرت في الصحافة العالمية حول هذا الحدث الهام وحول تصريحات الامير نايف بن عبد العزيز، تلك المقالة التي نشرتها كافتتاحية لها جريدة «الفاينتشال تايمز» البريطانية. والتي تحدد السمات والخصائص الجديدة للسياسة الامنية السعودية والسياسة الخارجية ولاسيما اتجاه ايران. ومن المفيد جداً ايراد النص الكامل لهذه المقالة هنا، كما ترجمته جريدة «القبس» الكويتية ونشرته في عددها رقم ٤٥٠٢. تقول: «الفاينتشال تايمز» في مقالها الذي صدر تحت عنوان: «السعوديـون يقبلون التحـدي، التهديـدات الايرانيـة استنفذت صبـر

السعودية»، ما يلي: (٥٢).

«عندما اشار الامير نايف بن عبد العزيز، وزير الداخلية السعودي، في مؤتمر صحفي عقده في الاسبوع الماضي الى احداث في شبه الجزيرة العربية قبل اربع وستين عاما كان ذلك لغرض تأكيد الجدية التي نظرت بها السعودية الى التحدي لمكانتها الذي فرضته الاحداث الاخيرة في مكة.

لقد استرجع الامير نايف الذي يقود حملة المملكة العربية السعودية ضد ايران منذ احداث مكة، ذكرى والده ابن سعود مؤسس المملكة العربية السعودية الذي تولى امر الاماكن المقدسة عام ١٩٢٤.

صرح الامير نايف بأنه لم يعكر صفو الحجيج اي عمل على مدى الاربعة وستين عاما الماضية منذ قيام الملك عبد العزيز بتأسيس القانون والنظام في تلك البلاد عدا ما قام به بعض الايرانيين في موسم الحج الماضي. وحذر وزير الداخلية من انه قد يتم استثناء الايرانيين من المشاركة في الحج في العام القادم اذا هـددوا بتكرار الحادثة.

وعندما طلب منه التعليق على تقارير من ان ايران كانت تخطط لارسال نصف مليون من الحرس الثوري الى مكة في العام القادم قال الامير نايف بأنه اذا كانت هذه التقارير صحيحة فان هذا سيكون بمثابة غزو للمملكة العربية السعودية، وقال ان اي انسان لا يتوقع ان تفتح اية حكومة موانئها ومطاراتها للغزاة.

ويتساءل المراقبون في المملكة العربية السعودية، ما اذا كان دفاع المملكة عن اسلوب معالجتها لأحداث مكة يشير الى تحول مهم في ادارة سياستها الخارجية.

تختلف الآراء بين المثقفين السعوديين والمراقبين الاجانب حول نتائج احداث مكة، ولكن كل الذين تمت مقابلتهم قالوا بأن احداث مكة قد جعلت السعودية تدرك ان محاولاتها السابقة للابقاء على عناصر لعلاقة عامة مع ايران قد فشلت.

وقد قيل ان الحكام السعوديين قد اصابهم القلق، مما اعتبر هجوما ايرانيـا اثيما على حقهم التاريخي في خدمة الاماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة.

ان انتقادات ايران لأسلوب حياة العائلة المالكة السعودية، ساعد كذلك على ردة

فعل مريرة، يقول مثقف سعودي بأنه يعتقد ان الحكومة السعودية قد طفح بها الكيل.

وفقدان الصبر هذا، قد انعكس في الصحف السعودية التي توجه النقد اللاذع لايران، يقول الصحفيون السعوديون بأنهم أُعطوا لأول مرة تفويضا مطلقا لمهاجمة ايران، يقول احد المسؤولين الاجانب «بأنهم سحبوا الكوابح بالفعل، ففي كل يوم يتم الكشف عن سر جديد».

وفي الاسبوع الماضي اظهرت الصحف السعودية، على صدر صفحاتها الاولى صورا للبعثة السعودية المنهوبة في طهران. وغضبت الرياض بشكل خاص من وفاة احد مسؤوليها في طهران نتيجة الاصابات التي لحقت بها عندما هاجم الغوغائيون الايرانيون السفارة السعودية، ويبدو ان هذه الحادثة قد حركت غضبا في المملكة، قدر الغضب الذي حركته احداث مكة.

ويصر المسؤولون السعوديون على انه لم تطلق طلقة واحدة في مكة، وقد كرر الامير نايف هذا التوكيد امام الصحافة الاجنبية.

تم التعبير عن الموقف السعودي الجديد في تونس في الاسبوع الماضي عندما حث وزير الخارجية السعودي الامير سعود الفيصل وزراء الخارجية العرب لتبني «قرارات بصورة جماعية وعملية لمواجهة تحديات وعناد نظام طهران». واقترح الامير فيصل فرض عقوبات عربية ضد ايران، ولكن مؤتمر وزراء الخارجية العرب تبنى في النهاية قرارا يعطي ايران فرصة حتى العشرين من شهر سبتمبر الحالي للموافقة على دعوة قرار مجلس الأمن الدولي بوقف اطلاق النار في حرب الخليج.

لم يشر قرار وزراء خارجية الدول العربية عملا محددا ضد ايران اذا لم تستجب لندائهم ، ولكن الشاذلي القليبي امين عام جامعة الدول العربية، قال «بأنه اذا رفضت ايران الانصياع لرغبة المجتمع الدولي فسنجد انفسنا مضطرين لمراجعة علاقاتنا مع ايران».

يقول المسؤولون السعوديون بأنهم راضون عن نتائج اجتماع تونس لوزراء الخارجية العرب ولو ان قرار المجلس لم يف بمطالب السعودية باتخاذ عمل

دبلوماسي ضد ايران. ان التأثير الرئيسي لاحداث الشغب في مكة طبقا للمراقبين كان لتبديد اية اوهام قد تكون في الاذهان عن تصميم عناصر في ايران على احداث تمزق في الدول العربية الخليجية، خاصة في تلك الدول التي تعتبر حاسمة في قدرة العراق على مواصلة الحرب. وقد زادت من حدة القلق بيانات هاشمي رفسنجاني الاخيرة التي يهدد فيها بالانتقام من حلفاء العراق الخليجيون اذا استأنف العراق هجماته الجوية ضد اهداف اقتصادية في البر او في البحر.

وقد يعزي الحزم السعودي الجديد الى مخاوف تتعلق بالحشد البحري الاميركي الكبير في الخليج الذي يزيد من التوترات.

ولكن السعوديين اخذوا يدركون الآن ان الوجود الاميركي في الخليج اصبح حقيقة من حقائق الحياة، وكما قال احد المسؤولين الغربيين من ان السعوديين يشعرون كما يشعر غيرهم، بأنه اذا نجح الوجود الاميركي فانه شيء ممتاز، اما اذا لم ينجح فسيكون كارثة ويرى هذا المسؤول ان مسألة ما اذا كانت السعودية ستظل متمسكة بسياستها الحازمة او ما اذا كانت ستسدل الستار مرة ثانية على دبلوماسيتها فان ذلك يعتمد على الظروف.

وقال ان الامر يتوقف على ما سيحدث للعلاقات الثنائية مع ايران، واضاف بأنه لا يتحدث عن مشكلة ذات أمد قصير، فقد عمل الايرانيون على تشعيب الخلاف الى مستوى آخر، وقبل السعوديون التحدي، وعلى المرء ان ينتظر ليرى النتيجة».

ان هذا المؤتمر كان بداية لاجراءات حازمة من قبل المملكة ازاء ايران، وقد توضحت هذه الاجراءات بشكل لاحق ومن خلال تصريحات رسمية لسمو الامير نايف وزير الداخلية، فبعد حوادث عام ١٩٨٧ وعلى اثر تصريح الحكومة الايرانية بأنها ستبعث في العام القادم اعداداً اكبر من الحجاج الايرانيين، هذا التصريح الذي جاء على اثره القرار السعودي بقطع العلاقات مع ايران، كما تقدم بنا ذلك في مكان سابق من هذا الفصل، صدر تصريح آخر للامير نايف بن عبد العزيز في حديث له مع جريدة «السياسة» الكويتية (٥٣) قال فيه: «ان القضية الأمنية ليست وحدها فقط كانت سببا في قطع العلاقات مع ايران، بل لأن ايران قد تمردت

على قرار اسلامي جماعي يقضي بتقنين عدد الحجاج الامر الذي ترفضه المملكة العربية السعودية بكل حزم » (٥٤):

ثم اضاف:

لقد قطعنا العلاقة لاننا لا نريد مجالا قد يستغل لتعكير صفوة الامن السعودي (...) كما ان الحقائب الدبلوماسية قد استخدمت من قبل ايران استخداماً غير حسن وغير مشروع... لكن ليس هذا هو المهم فالمهم لدينا اننا حاولنا ان نعطي الانطباع الجيد لايران لعل وعسى، لكنها قابلت ذلك بالجحود وقد قطعنا العلاقات معها ليس فقط لقضايا امنية بل لامر يمتد الى قضايا اخرى» (٥٥).

ورداً على سؤال حول ان ايران تقول انها غير مهتمة بعدد الحجاج الذي حدد لها وانها ذاهبة الى الحج بما تريد اجاب سمو وزير الداخلية بقوله: «ان القرار الذي صدر هو قرار اسلامي وافقت عليه دول اسلامية اهم واكبر من ايران عدة وعدداً... فقد قررت الدول الاسلامية ان تكون حصة ايران هي خمسة واربعين الف حاج سنويا، ولن يصل اكثر من هذا العدد ونحن الذين ننفذ ما اتفقت عليه الدول الاسلامية ونحن المعنيون بذلك وليست ايران وعلى ايران ان تقبل العقل والمنطق. فان هنالك دولا اسلامية يبلغ عدد المسلمين فيها اكثر من مسلمي ايران مثل الهند وباكستان وبنغلاديش واندونيسيا، وان هذه الدول قد تجاوبت مع قرار تحديد نسبة حجاجها بل ان بعضها يرسل اقل من النسبة المحددة له في اطار قرارات الدول الاسلامية، والسبب في ذلك هو ان هذه الدول قد تجاوبت مع ظروف بلادنا بعد ان شرحناها لهم لكن ايران اختارت طريقا معاكساً كعادتها وهو الطريق الذي لن نقبله، فنحن لا ايران الذين ننفذ ما اتفق عليه العالم الاسلامي والتزم به» (٥٦).

واضاف في الحديث نفسه: لم يحدث شيء مهم الا واعلنت عنه السعودية، وان الاشياء المهمة من حوادث التخريب سنكشف عنها وليس بالامكان التستر عليها ولو حدث شيء سنعلن عنه وسنعلن عن عقوبته وعن اسم من فعله، وان بلادنا تتمتع بمجتمع معني بالدفاع عن نفسه ولذا يصعب اختراقه (٥٧).

بعد هذه التصريحات المقترنة باجراءات عملية صارمة وشديدة التنظيم تكون السياسة السعودية قد حددت موقفها بشكل كامل من ايران. واستمر القادة السعوديون بتنظيم عملية الحج على الوجه الأكمل امنياً واقتصادياً وادارياً وسكنياً وصحياً... والى آخر ذلك من مهمات عسيرة وجهود ضخمة ومتشعبة تتطلبها فريضة الحج من المملكة بحكم امتلاكها للحرمين الشريفين ووجود الاماكن الاسلامية المقدسة داخل ترابها الاقليمي. وسوف يتم التطرق الى هذه النواحي في الفصول القادمة، اما الآن فمن المفيد ذكر آخر التنظيمات والاجراءات الامنية التي اتخذتها المملكة لحماية وتأمين موسم الحج، وهي الاجراءات التي صدرت عن وزارة الخارجية السعودية لتنظيم حج العام ١٩٨٩، وتنم هذه القوانين والاجراءات عن الادراك المنطقي المنظم الذي تقوم به السلطات السعودية لتوفير اقصى درجات الحماية للحجاج ولفصل الحج داخل المملكة. وتنم هذه القوانين ايضا عن التطور الذي طرأ على السياسة الامنية للسعودية بعد احداث مكة عام ١٩٨٧ وبعد الاستفزازات الايرانية المتواصلة ومحاولات التخريب والتشويش في هذا الفصل الاسلامي المقدس.

نصت اجراءات وزارة الداخلية السعودية بصدد حج عام ١٩٨٩ على ان يتجنب الاخوة الوافدين لاداء فريضة الحج حمل الكتب او الصور او المنشورات ذات الهدف السياسي او الدعائي او الفكري الهدام كما دعت الاشخاص الذين يؤدون فريضة الحج عن الامتناع عن حمل او جلب اية مواد يمكن اعتبارها مواد مخدرة لأن ذلك يتنافى مع الهدف النبيل للحج. وقالت وزارة الداخلية في بيانها الصادر لتوضيح تعليمات حج عام ١٤٠٩ هـ بأن على الجميع ان يلتزموا بهذه التعليمات وان من يخالفها سيكون عرضة للجزاء وسيعاد من حيث اتى (٥٨).

كما قالت وزارة الداخلية في بيانها: ان من وجد معه شيء من المحظورات ايا كان نوعها سوف يكون عقابه وجزاؤه رادعاً وسيطبق بحقه ما تقضي به الانظمة في المملكة دون تساهل او تسامح.

واكدت وزارة الداخلية مسؤوليتها على الحفاظ على امن الحجيج والمواطنين

حتى تظل ارض المملكة العربية السعودية كما كانت وكما ستبقى بإذن الله واحة خير وامان لكل قاصد لبيت الله الحرام أو لزيارة مسجد رسوله الكريم ﷺ (٥٩).

كما اكد بيان وزارة الداخلية السعودية هذا على حرص الجميع داخل المملكة على توفير كافة الاسباب التي تحقق لحجاج بيت الله الحرام اداء شعائرهم في يسر وسهولة والحيولة دون كل ما من شأنه التأثير على جو الخشوع والعبادة التي قدموا من اجلها (٦٠).

وقد نفذت وزارة الداخلية تعاليم هذا البيان بحذافيره وصرامة فكان الحجيج يشعرون بالحماية والاطمئنان من انهم يؤدون الفريضة على احسن وجه وفي ظل تسهيلات كبيرة وتنظيم دقيق لكل المتطلبات والضرورات.

مراجع الفصل الأول

١ ـ مجلة «الاسبوع العربي» اللبنانية، العدد ١٤٥٢، الاثنين ١٠ آب (أغسطس) ١٩٨٧. الصفحات من ٤ ـ ٦ وانظر كذلك مجلة «الوطن العربي»، العدد ٥٤٨، الجمعة ١٤ آب (أغسطس) ١٩٨٧ الصفحات ٢٠ ـ ٢٣.

٢ ـ المر جعان السابقان.

٣ ـ المرجعان السابقان، اضافة الى جريدة الانوار اللبنانية العدد ٩٥١٤، ٢ آب (أغسطس) ١٩٨٧.

٤ ـ المرجعان السابقان.

٥ ـ المرجعان السابقان.

٦ ـ احداث مكة، الخطة الايرانية كانت اعظم مجلة الوطن العربي، العدد ٥٤٨، الجمعة ١٤ آب (أغسطس) ١٩٨٧، ص: ٢٠.

٧ ـ المرجع السابق، ص: ٢١

٨ ـ «الوقائع في الرواية السعودية» الخطة كانت تقضي باحتلال الحرم الشريف مجلة «الاسبوع العربي» العدد ١٤٥٢، بتاريخ ١٠ آب (أغسطس) ١٩٨٧، ص: ٤ ـ ٥.

٩ ـ مجلة آخر ساعة: العدد ٢٧٨٦ الاربعاء ١٦ ـ مارس ١٩٨٨، ص: ١٤.

١٠ ـ جريدة الانوار اللبنانية، العدد ٩٥١٤، الاحد ٢ آب (أغسطس) ١٩٨٧.

١١ ـ المصدر السابق.

١٢ ـ جريدة الاهرام. العدد ٣٦٧٦٧، تاريخ ٨ آب (أغسطس) ١٩٨٧.

١٣ ـ آخر ساعة العدد ٢٧٥٤، ص: ٣ ـ ٤.

١٤ ـ المرجع السابق، ص: ٤

١٥ ـ التجارة والصناعة المجلد ٢٣، العدد ٩، ايلول (سبتمبر) ١٩٨٧ ص. ص. ٤٩ ـ ٥٠.

١٦ ـ المصدر السابق، ص. ص. ٤٨ ـ ٥١.

17 - Le Monde 21 Mai 1985.

18 - Ibid.

19 - Le Monde , 10 Decembre 1986.

20 - Ibid.

21 - Ibid.

٢٢ ـ مجلة الاسبوع العدد ١٤٥٢، بتاريخ ١٠ آب (أغسطس) ١٩٨٧ ص. ٦.

٢٣ ـ المرجع السابق. نفس الصفحة.

٢٤ ـ المرجع السابق. نفس الصفحة.

٢٥ ـ جريدة الرياض العدد ٧٤٢٥، بتاريخ ٢١ تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٨٨ . الصفحة الأولى.
٢٦ ـ اليمامة، العدد ١٠١٥، الاربعاء ٢١ ذو الحجة ١٤٠٨ هـ. الموافق شهر آب (أغسطس) ١٩٨٨م.
٢٧ ـ المرجع السابق.
٢٨ ـ جريدة الرياض، الاربعاء ٩ آذار (مارس) ١٩٨٨ .
٢٩ ـ جريدة «الجزيرة» السعودية، العدد ٥٦٢٠، الاربعاء ١٧ شباط (فبراير) ١٩٨٨، ص: ١٩ .
٣٠ ـ المصدر السابق، نفس الصفحة.
٣١ ـ مجلة «المجلة» العدد ٥٠٤، ١٠ تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٨٩ . ص ٨.
٣٢ ـ المرجع السابق، نفس الصفحة.
33- Jeàn Gueryas: La fin d'une politique d'apaisement» Le Monde, 28 Avril 1988.
34-Ibid.
35- Messages, Juin 1988, P10
36 - Le Figaro: «Islam, Le defi de l'Iran a la famille Séoud», Jeudi, 13 Aout 1987.
٣٧ ـ عامر الجابري: «قطع العلاقات مع ايران: القرار . . الرد» مجلة اليمامة، العدد ١٠٠٤، الاربعاء ١٨ رمضان ١٤٠٨ هـ الموافق ٤/٥/١٩٨٨ م ص: ٣٦ز
٣٨ ـ القبس، ٢٨ نيسان (أبريل) ١٩٨٨ .
٣٩ ـ الرياض، ٦ أيار (مايو) ١٩٨٨ .
(٤٠) ـ جريدة الحياة، العدد ٩٨٩٥، الاثنين ٥ شباط (فبراير) ١٩٩٠ .
(٤١) المرجع السابق.
42 - Le Monde, 18 Juillet 1989.
43 - Le Monde, 23, Septembre 1989, P 1.
44 - Le Monde Samedi - Dimanche. 24 - 25/9/1989.
٤٥ ـ مجلة «الوطن العربي»، العدد رقم ٥٥١، الصادر في ٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٧ .
٤٦ ـ المصدر السابق.
٤٧ ـ المصدر السابق.
٤٨ ـ المصدر السابق.
٤٩ ـ المصدر السابق.
٥٠ ـ المصدر السابق.
٥١ ـ مجلة «اليمامة»، العدد رقم ٩٩٧، الصادر بتاريخ ١٨ رجب ١٤٠٨ هجرية، الموافق ١ ـ ٣ ـ ١٩٨٨ ميلادية.
٥٢ ـ جريدة «القبس» الكويتية، العدد ٤٥٠٢، ص. ٦ .
٥٣ ـ جريدة «السياسة» الكويتية، ٢ أيار (مايو) ١٩٨٨ .

٥٤ ـ المرجع السابق.
٥٥ ـ المرجع السابق.
٥٦ ـ المرجع السابق.
٥٧ ـ المرجع السابق.
٥٨ ـ جريدة «الرياض» ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٨٩.
٥٩ ـ المرجع السابق.
٦٠ ـ المرجع السابق.

الفصل الثاني:

أهداف ايران من ادعاءآت التدويل

بقلم الدكتور سيف نصر الدين

١ ـ الأهداف الطائفية الشيعية:

منذ نجاح الثورة الخمينية ووصول الحكام الجدد الى السلطة في ايران ادعى هؤلاء الحكام بأن الثورة اسلامية جاءت للمحافظة على روح الاسلام وتعاليمه وتطبيق هذه التعاليم والقوانين داخل الحياة الواقعية اليومية، وانها تنصر العالم الاسلامي وقضاياه ضد الدول الكبرى الاستعمارية. وقد بدأ السيناريو الأول للثورة بقضية الرهائن في السفارة الأميركية، إلا ان هذا الزحف الذي ادعته الثورة الخمينية ضد الدول الغربية الاستعمارية، لم يدم بل اتخذ طريقاً آخر مخالفاً لذلك.

اذ بدأت هذه الثورة التي تدعي الاسلام بتوجيه كل مدافعها واستفزازاتها ومحاولاتها العسكرية التخريبية نحو البلدان الاسلامية العربية المجاورة، متناسية ان هذه الدول تمثل الدين الاسلامي وتدافع عنه وتضحي من أجله، أي أنه الدين الذي تدعي الثورة الخمينية انها تحمل لواءه وتدافع عنه ضد الخصوم. وبدأت وسائل الاعلام الخمينية وخطب قادة الثورة بالهجوم على الدول الاسلامية المجاورة وعلى وجه الخصوص المملكة العربية السعودية، بل ان بعض هذه الخطب بدأت تطعن بصحة اسلام الدول العربية الخليجية مدعية خطب ملالي النظام الخميني بأن اسلام هذه الدول «منحرف» عن الاسلام الصحيح.

وفق هذا الادعاء التمهيدي، والذي سبق بعدة سنوات ادعاءآت قادة الخميني بتدويل الحرمين الشريفين، يمكن استشفاف سبب واحد خلفه هو السبب

الطائفي. فان اتهام الدول الاسلامية العربية في الخليج بأنها دول غير اسلامية لا يمكن ان يفهم إلا بأن الساسة الايرانيين يعتبرون بـأن الاسلام الصحيـح هو الاسلام الشيعي والمذهب الجعفري الذي تتخذ ايران منه دستور حكمها.

ولو كانت الاتهامات الايرانية بعدم اسلامية الدول العربية داخل منطقة الخليج مقتصرة فقط على الدول التي تتبع نهجاً علمانياً وغير اسلامي في دساتيرها بل وتدعي خط التطبيق الاشتراكي المقارب الى الشيوعية، لهان الأمر ولفُهِم على انه دعوة اسلامية الى تطبيق الاسلام، لكن عندما يمس هذا الاتهام دولة اسلاميـة عربية تمثل الدين الاسلامي في أخلص صوره وانقاها وتعتبر القلب الحقيقي للعالم الاسلامي لأنها تحتوي على كعبته وقبر رسوله (ﷺ) كما انها الأرض التي ظهر فيها هذا الدين الحنيف والذي حافظت عليه عبر أربعة عشر قرناً من الزمان، فان هذا الاتهام يغدو غير مُفسّر أو مفهوم إلا في ضوء الدوافع الطائفية الرخيصة.

وفي الحقيقة ومن خلال مراقبتنا لنصوص الخطب الدينية لرجال الدين في ايران ولمشايخ جوامعها ولساستها يمكن لنا ان ندرك عمق المغالطة والوهم الذين وقعت فيهما هذه السلطة، إذ انها تعتبر بأن مـذهبها الاسـلامي هو الصحيـح وبقية المذاهب والاتجاهات داخل الاسلام افكاراً مشكوكاً فيهـا. في حين ان الاسـلام الشيعي الذي تتبعه ايران كان عبر كل مراحل التاريخ الاسلامي مصدراً لخروج الأفكار الهجينة والالحادية والمرتدة والبدع الهدامة واتجاهات الزندقة على مختلف فروعها ومستوياتها في الممارسة السياسية والاجتماعية. فمنها من احترف ممارسة بث الأفكار الهدامة بين صفـوف المجتمع الاسـلامي واكتفى بالعمـل السياسي الفكري كنشاط له، ومنها من اتبع الأسلوب العسكري والممارسة الارهابية مثل القرامطة والبابكية وغيرها من الفرق المعادية للاسلام*. والجدير بالذكر ان هذه الفرق والمذاهب المارقة والمنحرفة عن أصول الدين الاسلامي كانت على الدوام وفي كل مراحل التاريخ الاسلامي تجد لها عوناً ومساندة من ايران ومن الفرس، هذه البلاد التي كانت تُسمى آنذاك ببلاد فارس أو خراسان. ويكفينا ذكر حركة بابك الخرمي التي سميت بالحركة البابكية في وقتها والتي ثارت على الخلافة الاسلامية

في العصر العباسي لنعرف ما مدى تشجيع ايران منذ القديم للحركات الهدامة في الاسلام ولكل ما هو بدعة ومنحرف عن الأصول النقية للدين الحنيف. هذا مع اننا سنتناول الناحية العرقية القومية في مكان آخر من هذا الفصل. **ولكن الذي نريد ان نركز عليه هنا هو ان الأتجاه الشيعي الذي تتخذه الثورة الخمينية كمذهب لها كان على الدوام و في كل مراحل التاريخ الاسلامي الوعاء الذي تنمو فيه وتخرج منه كل التيارات المنحرفة عن الاسلام وحقيقته.**

ومن هنا كانت الحرب الاعلامية التي أعلنتها ايران على الحكومات الاسلامية المجاورة لها تهدف الى منح نوع من الشرعية للمذهب الشيعي واعتباره هو الممثل للتيار الاسلامي الصحيح. هذا لأن التشيع قد ظل على الدوام تياراً هامشياً داخل التاريخ الاسلامي وقد قام بتكفيره الكثير من الفقهاء السنة، **أما الذين لم يكفروه ويعتبروه مذهباً مرتداً عن الاسلام من الفقهاء السنة فانهم قد وقفوا منه موقفاً متشككاً لأنه مذهب يحتوي في طياته و في تعاليمه على الكثير من البدع والكثير من الأفكار التي ليس لها أية علاقة بالاسلام الخالص كما أقره القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والسنة النبوية الطاهرة.**

وينبغي ملاحظة نقطة ثانية هي ان التيار الشيعي اضافة الى كونه قد بقي مذهباً هامشياً في التاريخ الاسلام ولم يُعترف به من قبل المذاهب الفقهية السنية الأربعة التي تمثل الاسلام الحقيقي، فان الحكم السياسي للدولة الاسلامية قد بقي طيلة أربعة عشر قرناً بيد المذهب السني. فالمذهب السني كان هو الدستور والقانون الذي تلتزم به الخلافة الاسلامية منذ عهد الخليفة الراشد الأول أبو بكر وحتى آخر سلاطين الدولة العثمانية التي مثلت استمرارية الخلافة الاسلامية.

والآن فأن الدولة الأولى المسؤولة عن الاسلام ورعايته والتي تحتضن أماكن العبادة والحج فيه وهي المملكة العربية السعودية، هي دولة اسلامية على المذهب السني أيضاً أي على المذهب الذي يمثل الاسلام الحقيقي بكل نقائه وصفائه. وهنا فان التشيع كمذهب لم يتسلم أية سلطة سياسة في العالم الاسلامي فيما عدا فترة وجيزة في عهد الفاطميين في مصر وهي تجربة قد اثبتت فشلها السياسي

والاجتماعي، ثم الآن في عهد الثورة الخمينية حيث استولى الشيعة على السلطة السياسية في ايران.

ومن خلال هذا التاريخ الطويل من التهميش للمذهب الشيعي وعدم اشتراكه في السلطة السياسية في العالم الاسلامي، **نشأ لدى رجال الدين الشيعة حقد دفين على المذهب السني الذي يمثل الاسلام الصحيح، وللانتقام من هذا المذهب أو لمنافسته وبلوغ مستواه الشرعي والسياسي،** أطلق حكام طهران فكرة تدويل الأماكن المقدسة الموجودة داخل أراضي المملكة العربية السعودية. لأن السعودية هي الممثلة للدين الاسلامي من خلال حكومتها الدينية ونظامها السياسي والاجتماعي الديني، ثم من خلال امتلاكها للحرمين الشريفين أقدس الأماكن في الاسلام، وحمايتها واشرافها على هذه المقدسات.

فان السلطة الاسلامية السنية سابقاً كانت تتمثل بالنسبة للشيعة بالخلافة الاسلامية في كل عهودها. أما الآن وبعد سقوط الدولة العثمانية فان السعودية قد أمست بجغرافيتها وأراضيها ونظامها السياسي هي التي تمثل الثقل الديني الشرعي في العالم الاسلامي ولذلك كانت المملكة هدفاً للحملة الايرانية الشيعية.

فالهجمة التي انتقل بها الخمينيون من مرحلة مهاجمة الغرب والدول الاستعمارية الى معاداة الدول الاسلامية المجاورة والموجودة في منطقة الخليج واتهامها بأنها دول منحرفة عن الاسلام، ان هذه الهجمة كانت موجهة أساساً الى الاسلام السني، أي الى الإسلام الرسمي والصحيح، وان الذي يمثل هذا الاسلام في أقوى صورة له هي المملكة العربية السعودية، ولذا كانت تتوهم القيادة الخمينية بأنه لأجل نشر المذهب الشيعي وجعله على قدم المساواة مع المذهب السني ينبغي أخذ الركائز والأسس التي تمنح للمملكة العربية السعودية هذه المشروعية الضخمة والوحيدة داخل العالم الاسلامي، وأول هذه الركائز هي الحرمين الشرفين في مكة والمدينة، وفي الوقت الذي طرحت فيه ايران فكرة التدويل لكي يكون للمذهب الشيعي مكانة اسلامية معترف بها من خلال طموح ايران للاشراف على الأماكن الاسلامية المقدسة، فإن السلطات الايرانية قد قامت بتصرفات غريبة

وشاذة بهذا الصدد.

ففي يوم الجمعة ٧ آب (اغسطس) ١٩٨٧ اقام ما يسمى بحراس ثورة الخميني في مدينة قم حيث يسكن ويقيم الخميني، اقام «هيكلاً شبيهاً بالكعبة المشرفة» أمام دار الخميني حيث جلس الخميني عند المكان الشبيه بركن الحجر الأسود من البيت العتيق، وأخذ حراس ثورة الخميني يطوفون حول وثنهم الجديد القديم ثم يستلمون يد الخميني لتقبيلها كما يفعل الطائفون بالبيت العتيق عند استلامهم للحجر الأسود وتقبيله بين أشواط الطواف.

وكانت مهمة حراس الثورة ان يجعلوا بقية الايرانيين المخدوعين أو المرغمين يفعلون مثلهم. ويومها أفتى المزايدون على كسب رضاء الخميني من امثال هاشمي رافسنجاني بأن على من فاته الحج الى البيت العتيق في مكة المكرمة ان يحج الى كعبة الخميني الجديدة في «قم»[1]

ان الأهداف الطائفية الشيعية الكامنة وراء ادعاءآت التدويل التي رفعتها ايران قد كانت الحوافز والمسببات الأولى لهذه الفكرة الهجينة. فان ايران لم تطرح أية علة أو سبباً منطقياً يبرر ادعاءآتها هذه سوى كلمات عامة لم تسند بأية براهين من قبل السلطات الخمينية في ايران وهذه الكلمات تقول بأن الأماكن المقدسة في ظل السيادة السعودية لا تحظى بالعناية الكافية، وهو كلام لم تبرهنه ايران، بل ان السلطات السعودية قد برهنت لحد الآن عكسه من خلال رعايتها وصيانتها الممتازتين للأماكن المقدسة من جهة وللحجيج من جهة اخرى. كما سيتوضح ذلك بتفصيل خلال الفصول القادمة.

٢ ـ الأهداف الشعوبية الفارسية:

أما الدوافع الأخرى لادعاءآت التدويل فقد كانت دوافعاً قومية تخص المشاعر الشعوبية الايرانية، هذه المشاعر التي كونت نزعة قومية فارسية مضادة للحكم العربي الاسلامي، وقد ظهرت هذه النزعة خلال فترات تاريخية معينة وكلما

سنحت لها الفرصة لابراز نفسها في وضع سياسي واجتماعي معين من مراحل التاريخ الاسلامي. فقد ظهرت تارة في العصر الأموي، ثم برزت لعدة مرات في فترة الخلافة العباسية بسبب زيادة نفوذ الفرس داخل الدولة لأن الدعوة العباسية قد اعتمدت على بعض العناصر الفارسية خلال بداياتها، الأولى مثل أبي مسلم الخراساني. وتجسدت لمرات عديدية، اثناء فترة حكم العباسيين، في نزعات انفصالية قامت في بلاد خراسان هدفت الانفصال عن الدولة العربية الاسلامية.

والذي يغيض الحكام الايرانيين الحاليين هو ان الخلافة الاسلامية كانت على الدوام بيد العرب المسلمين كما ان فترة الدولة العثمانية التي اعقبت الخلافة العربية الاسلامية بسقوط الدولة العباسية على يد المغول الايلخانيين عام ٦٥٦ هـ قد كانت بيد المسلمين الاتراك. ولذا فان النزعة الشعوبية الفارسية قد وجدت نفسها امام حقائق تاريخية تستفز نرجسيتها القومية، فأولاً ان الدين الاسلامي قد انبثق في الجزيرة العربية وعلى يد الرسول العربي محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وعلى الرغم من ان الدعوة الاسلامية هي دعوة انسانية عالمية ذات طابع شمولي أكدها قول الرسول الكريم «لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى»، وان هذا القول قد تأكد بشكل فعلي عميق من خلال ممارسة النبي صلى الله عليه وسلم والخلافاء الراشدين ومن خلال المسيرة العامة للتاريخ الاسلامي، على الرغم من ذلك فان النزعة الفارسية العنصرية ظلت متوثبة للظهور في كل ظرف سياسي أو اجتماعي يتيح لها الظهور واقلاق الخلافة الاسلامية التي امتدت على مدى القرون اللاحقة.

فان هذه الخلافة كانت على الصعيد القومي متمثلة في الخلفاء العرب ثم تمثلت بعد ذلك بالخلفاء الاتراك العثمانيين لكن الفرس لم يكن لهم حظ منها على الرغم من ان الاسلام لم يطرح أي بعد قومي للخلافة الاسلامية الا ان الواقع التاريخي قد سار على هذا المنوال وحافظت الدولة الاسلامية على هويتها الدينية والحضارية عبر القرون من خلال ذلك.

والآن بعد نجاح الثورة الخمينية في ايران وصعود السلطة السياسية لرجال

الدين والملالي الشيعة، وجد حكام ايران فـرصة أخـرى اضافيـة أكثر مؤاتـاة لاستفزاز الوجود العربي الاسلامي في مذهبه الأصولي السني لأنه هو المسؤول عن الاسلام وهو الذي يمثل قيادته مجسداً في المملكة العربية السعودية.

ومن هنا تكتسب ادعاءآت تدويل الحرمين الشريفين طابعها العنصري المحض. فهذان الحرمان موجودان في أراضي عربية وليس أراضي عربية عادية بل الأراضي التي تمثل انبثاق العنصر العربي. فالجزيرة العربية هي الوعاء التاريخي الوحيد الذي تكونت فيه الشخصية العربية وتبلورت مواصفاتها الحضارية والاخلاقية والسلوكية والثقافية، كما ان هذه الجزيرة كانت البقعة التي انطلق منها الاسلام ليبسط مبادئه الانسانية على بقاع أخرى من العالم عبر رسول عربي كريم وعبر قرآن عربي اللغة والآيات والدلالات وانساني الرسالة، وها هي عجلة التاريخ تدور من جديد لتجد أرضها الأصيلة، ويصبح الاسلام وأماكنه المقدسة موجوداً في دولة عربية اسلامية أقليمها الجغرافي السياسي هو الجزيرة العربية واسم هذه الدولة هو المملكة العربية السعودية. إذن والحالة هذه ينبغي سرقة «الامتياز» الاسلامي من العرب، هكذا تفكر القيادة الخمينية في ايران. وان الحضور الهامشي الـذي شهده التيار الشيعي على مر عصور التاريخي الاسلامي وكذلك الحضور الهامشي الذي شهده الوجود الفارسي داخل الدولة الاسلامية كان يجد فرصته لأن يكون حضوراً رئيسياً يؤخذ بالأعتبار وليس هامشياً منسياً كما عهدته الفترات السابقة. ولذا كان أول هدف للسياسة الخمينية هو أبراز التـواجد الشيعي الفـارسي الى الوجود من جديد وذلك عبر التشكيك في مشروعية الدوله السعودية كدولة قيادية في العالمين العربي والاسلامي. فهي الدولة التي تمتعت خلال كل العقود السابقة ومنذ مطلع العقد الثاني من القرن العشرين بمهابة ومشروعية دينية اسلامية عالمية. ولا يمكن التشكيك في هذه الدولة الا باختلاق افكار لا تستند على أية أصول قانونية أو تاريخية أو شرعية، وهذه الأفكار هي ادعاءآت تدويل الحرمين الشريفين لسرقتهما من الأشراف السعودي عليهما ووضع بدله هيمنة فارسية هجينة لا تتمتع بأي نوع من المسؤولية العميقة لصيانتهما كما هي مصانة في ظل الدولة العربية السعودية.

ان هذا البعد العنصري قد برز بشكل سافر من خلال التهجمات التي قادتها ايران ضد الدول الاسلامية العربية داخل منطقة الخليج وخاصة ضـد المملكة العربية السعودية بحيث ان القيادة الخمينية قد أدعت بأن الدولة السعودية «غير كفوءة» لحماية الأماكن المقدسة الاسلامية في داخلها، وهذا الادعاء قد أثار الكثير من السخرية تجاه ايران لدى المسلمين الذين يعلمون خـير العلم بأن الأمـاكن المقدسة داخل المملكة تحظى بعناية لا تحظى بها أية أماكن دينية في العالم. وان فصول الحج خير برهان على اقناع الأمة الاسلامية بمدى الصيانة والرعاية العالية المستوى التي يحظيان بهما الحرمان الشريفان ويحظى بها الحجـاج المسلمين الآتين من كل بقاع الأرض والذين يشاهدون الحقائق بأم أعينهم.

ان الدافع الطـائفي الشيعي والدافـع القومي العنصـري الفارسي يقـودان بالضرورة الى طرح دافع آخر لادعاءآت التدويل هو الدافع الخاص بقيادة العالم الاسلامي.

٢ ـ الصراع على زعامة العالم الاسلامي:

ان الشرف الذي توفر عبر الظروف التاريخية للمسلمين العرب لأن يلعبوا دوراً أساسياً في نشر الدعوة الاسلامية في العالم، قد أصبح نقطة اغاضة وحسد للسلطة الخمينية في ايران. فها هو التاريخ الاسلامي قد امتلأ بالشخصيـات العربيـة الخالدة التي خدمت الاسلام مثل الخليفة الأول أبو بكر الصديق والخليفة الثاني عمر بن الخطاب والخليفة الثالث عثمان بن عفان والخليفة الرابع علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

كما أن القيادات الاسلامية التي واصلت الفتوحات الاسلامية ونشر الـدين الحنيف بعد الخلفاء الراشدين كانت قيادات عربية في معظمها.

والآن وفي القرن العشرين تبرز قيادة عربية اسلامية قوية ومتمكنة هـي المملكة العربية السعودية لتحتل بدون منازع وبدون تقصد منها قيادة العالم الاسلامي

سواء من خلال السياسة الدينية لحكامها أو من خلال الرقعة الجغرافية السياسية التي أنعم الله عليها بهـا، وهي الرقعـة التي تحتضن داخلها أشـرف الأماكن المقدسة في الاسلام وهما الحرمين الشريفين.

ان سيادة المملكة على الحرمين الشريفين والطابع الديني الاسلامي الشريف لنظام الحكم فيها يجعلها بالضرورة وبشكل تلقائي ذات موقع قيادي داخل العالم الاسلامي وذات مكانة خاصة ومتميزة بـين المسلمين. كـل هذا بـدون ان تكون السلطات السياسية في المملكة قد تقصدت ان تكون الركيزة القيادية بل ان ذلك قد جائها بشكل طبيعي من خلال ممـارستها الاسـلامية التي تضـع نصب عينها مبادىء الدين الاسلامي وتعاليمه السامية والحرص على تطبيقها قبل أي هدف آخر. وقد تجسد ذلك بشكل فعلي من خلال اشرافها على فريضة الحج وتنظيمها العالي المستوى لهذه الفريضة وتطبيقها لتعاليم الاسلام الصافية والأصيلـة في بلادها وداخل حدودها بحيث بدأ كل مسلم يأتي من أي بلد في العالم يصبو لأن تطبق في بلاده القوانين الاسلامية كما هي عليه في المملكة العربية السعودية.

ان هذه المكانة القيادية التي تحظى بها المملكة داخل العالم الاسلامي وداخل العالم العربي قد دفعت ساسة الحكومة الخمينية لأن يفكروا وفق العقد النفسية التاريخية التي تكلمنا عنها قبل قليل وهي العقدة الشيعية الطائفية التي هشمها التاريخ الاسلامي، والعقدة الشعوبية الفارسية، وأن يرفعوا فكرة تدويل الأماكن المقدسة في المملكة العربية السعودية ليقللوا بذلك من المكانة القيادية التي تحظى بها السعودية داخل العالم الاسلامي.

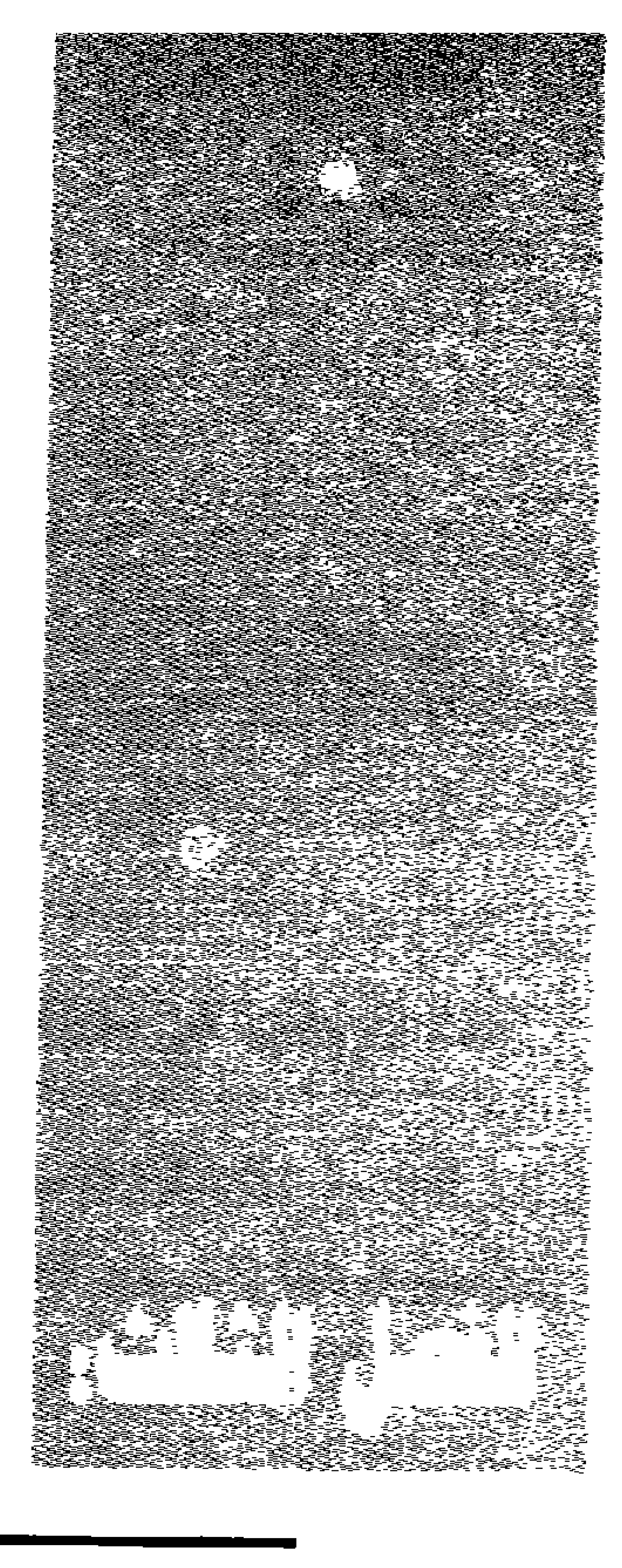
كما ان نجاح الثورة الخمينية تحت رفع شعار الاسلام، والموجة الاسلامية التي صاحبتها في بعض البلدان العربية من قبل عدد من الحركات الاسلاميـة التي انخدعت بالغطاء الاسلامي للنظام الخميني، قد جعل قادة طهران يتوهمون بأنهم يحتلون موقعاً في الصدارة داخل العالم الاسلامي وأنهم بتهجماتهم على الدول الاسلامية المجاورة والتشكيك في مذهبها الاسلامي السني الأصيل يستطيعون ان يبرزون كواجهة قيادية داخل العالم الاسلامي، وهذه مرحلة أولى يستطيعون بعدها

ان يهاجموا الموقع القيادي الاسلامي الذي تحتله المملكة العربية السعودية بحيث «يقللون» من شأنها كما هدفوا الى ذلك، ثم تجريدها من الامتيازات التي تتمتع بها في رقعتها الاقليمية الجغرافية ـ السياسية أي شرف حمايتها وصيانتها للحرمين الشريفين. وعبر هذه الخطوة الثانية يمكن لايران الخمينية ان تتصدر العالم الاسلامي وتقوده. وان هذا الحلم الغريب في قيادة العالم الاسلامي ومنافسة مكانة المملكة كان هو الدافع الرئيسي لطرح فكرة تدويل الحرمين الشريفين، وهذا الدافع هو نتاج للدافعين والهدفين السابقين.

غير ان هذا الهدف قد انهار تماماً بعد الممارسات البعيدة عن الدين الاسلامي كل البعد، والتي قام بها «حراس الثورة الخمينية» في مواسم الحج والتي اقلقت مراسيم وشعائر تأدية هذه الفريضة المقدسة منذ بداية سنوات الثمانينات وحتى عام ١٩٨٩. فان العالم الاسلامي قد عرف الآن مدى بعد النظام الخميني عن الاسلام من خلال الممارسات التي يقوم باقترافها، ومدى ارتباط المملكة العربية السعودية بتعاليم الاسلام وحرصها على تنفيذها في جوهرها النقي الأول بدون شوائب البِدَع والأفكار الهدامة التي تتصف بها «اسلامية» حكومة طهران.

مراجع الفصل الثاني:

١ ـ جريدة «الجزيرة» السعودية، العدد ٥٦٢٠، ١٧ شباط (فبراير) ١٩٨٨، ص ١٩.



مسؤولية
رعاية الأماكن المقدسة وصيانتها

د. عماد الدين ناصر

نبذة تاريخية عن الأماكن المقدسة:

تتجسد الأماكن الاسلامية المقدسة في المملكة العربية السعودية في موضعين رئيسيين هما الحرمين الشريفين في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة. وأولهما هو المسجد الحرام حيث تقع الكعبة المشرفة قبلة المسلمين في صلاتهم وأقدس موضع حرام في العالم الاسلامي كله وأقدم بيت لعبادة الله وتوحيده.

فمدينة مكة المكرمة تأخذ قدسيتها من المسجد الحرام الموجود فيها ومن الكعبة التي تتوسط هذا المسجد. وان تاريخ بناء الكعبة المشرفة قديم جداً حيث كانت قبل الاسلام موضع تقديس من قبل العرب، وعندما جاء الدين الاسلامي الحنيف ازدادت مكانة الكعبة قدسية ومكانة في الدين الاسلامي وغدت القبلة التي يتوجه اليها كل مسلمي العالم اثناء صلاتهم كما غدت مكة أقدس مدينة في العالم حيث ولد الرسول صلى الله عليه وسلم ثم نزل فيها عليه الوحي.

وأن للكعبة تاريخ موغل في القدم رواه المؤرخون المسلمون الكلاسيكيون، ثم تطور تاريخ هذا الحرم الشريف حتى العصر الحديث حيث بنيت ورممت عدة مرات حتى وقتنا الحاضر. ويروي المؤرخون المسلمون الأوائل تاريخ الكعبة على الشكل التالي*:

مما أوضحه الأزرقي واتفق عليه المؤرخون ان الكعبة بنيت عشر مرات هي:
(١) بناية الملائكة، (٢) بناية آدم، (٣) بناية شيت، (٤) بناية ابراهيم وابنه اسماعيل، (٥) بناية العمالقة، (٦) بناية جرهم، (٧) بناية مضر، (٨) بناية قريش، (٩) بناية ابن الزبير، (١٠) بناية الحجاج.

وقد بنيت للمرة الحادية عشرة، عام ١٠٣٩هـ في عهد السلطان مراد ابن السلطان أحمد من سلاطين آل عثمان.

وفي هذه العجالة سوف نذكر تاريخ الكعبة ذكراً موجزاً فنقول:

روى مجاهد عن الكعبة فقال: كان موضع الكعبة قد خفي ودرس في زمن الفرق فيما بين نوح وابراهيم عليهما السلام، وكان موضعه أكمة حمراء مدورة لا تعلوها السيول، غير ان الناس يعلمون ان موضع البيت فيما هنالك ولا يثبت موضعه وكان يأتيه المظلوم والمتعوذ من اقطار الأرض ويدعو عنده المكروب، فكل من دعا هنالك استجيب له. وكان الناس يحجون الى موضع البيت حتى بوأ الله مكانه لابراهيم عليه السلام لما أراد من عمارة بيته وأظهار دينه وشريعته.

«وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع والسجود».

وبعد ان اتضحت الأسس وبرزت قواعد آدم عليه الصلاة والسلام أخذ ابراهيم عليه الصلاة والسلام برفع القواعد وهو يبني واسماعيل ويهيء له ما يحتاج اليه وهما يدعوان بالقبول:

«واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم».

روى الأزرقي عن علي بن أبي طالب ان البيت انهدم بعد ابراهيم وبنته العمالقة وفي عهد جرهم دهم البيت سيل فهدمه فأعادت جرهم بناءه على قواعد ابراهيم عليه السلام اذ علمنا ان العهد الجرهمي امتد عمره وتطاول حتى بلغ في بعض الروايات (٦٠٠ ـ عام).

ولما بلغ قصي ما بلغ من العز والملك والجاه والمال، لم يرقه بنيان البيت الذي تقادم عهده واحتاج الى الاصلاح فاستعد لذلك وجمع النفقة اللازمة ثم هدمه فبناه بنياناً لم يبن أحد ممن بناه مثله، وسقفه بخشب الدوم الجيد، وبجريد النخل، وكان وهو يبنيه يقول:

ابـنـي لـقـومـي بـيـت رفـعـتـهـا ولـيـبـن أهـل وراثـهـا بـعـدي
بـنـيـانـهـا وتـمـامـهـا وحـجـابـهـا بـيـد الآلـه ولـيـس بـالـعـبـد

وكان ذلك في العقد الرابع من القرن الرابع الميلادي.

توالت الأجيال وتعاقب الزمن وأمر الكعبة بيد قريش يتوارثونه كابراً عن كابر حتى كان عهد النبيﷺ وقبل مبعثه جمرت الكعبة، فأصابها حريق بسبب ذلك التجمير (البخور) ثم جاء سيل عظيم دخل الكعبة، وصدع جدرانها بعد توهنها بالحريق فقدمت قريش على بناء الكعبة، فقال لهم أبـو وهب بن عمرو بن عـائد المخزومي ـ وهو خال أبي النبيﷺ ـ «لا تدخلوا في بنائها من كسبكم ألا طيبا، لا يدخل فيه مهر بغي، ولا بيع ربه، ولا مظلمة أحد من الناس». ثم ان الناس هابوا هدها فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم في هدمها، فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول: «اللهم لم نزغ، اللهم أنا لا نريد الا الخير» ثم هدمها من ناحية الـركنين فتربص الناس ان يصيبه شيء فلم يصبه شيء، ثم باشرت قريش في الهدم، وقد أخذت قريش تجزىء هدم الكعبة، بحيث يهدم كل بطن ناحية. وحينما بلغوا موضع الحجر تنازعوا على من يضعه، ثم وضعه رسول الله■.

في عهد ابن الزبير وفي ربيع الأول من سنة أربع وستين هجرته شب حريق في الكعبة فاحترق الحجر الأسود وانشق الى ثلاث فرق وتوهن جدار الكعبة، وتمايلت، وآذنت بالسقوط ولما وصلت الكعبة الى هذه الحال جمع ابن الزبـير كبار القـوم وأشرافهم، فاستشارهم في هدمها، «فأجابه الى ذلك من أجاب وأبى ذلك كثرة من الناس منهم ابن عباس أجابه قائلاً: «دعها على ما أقرها رسول اللهﷺ، فأني أخشى أن يأتي بعدك من يهدمها، ثم يأتي بعد ذلك آخر، فلا تزال أبـدأ تهدم وتبنى، فتذهب حرمة هذا البيت من قلوبهم، ويتهاون الناس بحرمتها، ولا أحب ذلك ولكن أرقعها».

ولما عزم على الهدم خرج أهل مكة الى الطائف:

«والى منى، مخافة ان يحل بهم عذاب الله، ومنهم ابن عباس خرج الى الطائف. وأمر ابن الزبير عماله بالهدم، فلما رأي اعراضهم وتباطؤهم أخذ المعول وصعد

بنفسه، وأخذ يهدم ويرمي الحجارة، فلما لم يصب بشيء اطمأنت قلوب الناس، فصعدوا يهدمون، وكان من بين عماله أحباش أعملهم رجاء ان يكون منهم الحبشي الذي قال عنه رسول الله ﷺ (يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة) وهو يأمل ان يكون هذا هو الهدم المذكور، وانتهى من الهدم في اليوم نفسه، وكان ذلك يوم السبت الخامس عشر من جمادى الثانية (١٥ ـ جمادى الثانية ٦٤) وضاع بسبب هذا الهدم قرنا الكبش الذي فدى الله به اسماعيل، وقد كانا على الحائط في جانب من جوانب الكعبة».

وبعد الهدم تم بناء الكعبة من جديد:

«على قواعد ابراهيم عليه السلام، وشجع ابن الزبير على ذلك حديث سمعه من خالته عن رسول الله ﷺ وهو يريد ان يكون هو الرجل الذي يحقق تلك الرغبة التي خالجت رسول الله ﷺ اذ يقول: (يا عائشة لولا ان قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، والزقته بالأرض، وجعلت له بابا شرقياً، وباباً غربياً، فبلغت به أساس ابراهيم وفي بعض الروايات زيادة (فاذا بدا لقومك من بعدي ان يبنوه فهلمي لأريك ما تركوا منه) فأراها قريباً من سبع أذرع داخله في الحجر».

وبعدها ان تسلم الحجاج مقاليد الأمور في مكة

أراد ان يمسح آثار «ابن الزبير فكتب الى عبد الملك يستأذنه في رد الكعبة على ما كانت عليه في بناء قريش في الجاهلية، فأستجاب لطلبه، وأمره ان يقر ما زاد في طولها، وان يرفع الباب كما كان في بناء قريش، وأن يسد الباب الآخر الذي ابتدعه ابن الزبير، وان يزيل ما زاده في جانب الحجر، وان يجعل ما نقص من الحجارة في داخلها، لعل هدم الزوائد من جانب الحجر قد سبب هدم الدرج الداخلي الصاعد الى ظهر الكعبة فأعاده الحجاج. فبناء الحجاج في حقيقته حذف للزوائد التي زادها ابن الزبير، وليس تجديداً كاملاً للبناء، على انه قد أقر الطول حسبما صنعه ابن الزبير».

وبعد ان علم عبد الملك بن مروان بصحة حديث عائشة الذي عمل به ابن الزبير

ندم على ما أمر به الحجاج.

وفي سنة ٧٥ حج عبد الملك بن مروان فعمر المسجد بتسقيفه بالساج، ورفع جدرانه، وجعل في رأس كل اسطوانة خمسين مثقالاً من الذهب.

فلما تولى ابنه الوليد بعده نقض اعمال أبيه، وبناه بناء محكماً، وزخرفه بالفسيفساء وداخله بالرخام.

في عهد أبي جعفر المنصور أمر بزيادة المسجد الحرام فوسعه من جانبيه الشمالي والغربي حتى بلغت مساحته ضعف ما كانت عليه أيام الأمويين واستغرق هذا العمل ثلاثة أعوام وانتهى سنة ١٤٠هـ.

لما انتهى الأمر الى المهدي بعد المنصور وسع المسجد من النواحي الشمالية والجنوبية والغربية، واستعمل في عمله اساطين الرخام، وسقف أروقة المسجد بخشب الساج، واستمر العمل فيها الى سنة ١٦٤هـ.

«في سنة ٨٠١هـ وقع حريق عظيم أتى على ثلث الحرم، وتهدم من جرائه ١٣٠ عموداً من الرخام، وذلك بسبب نار اشتغلت في خلوة برباط «رامشت» بجوار باب الوداع، فاتصلت بالمسجد وجعلته يتقد.

وفي سنة ٨٠٣ هـ انتدب الملك الناصر من يعنى ببنائه، فاستمر العمل الى عام ٨٠٧هـ، وقد جعل في السقوف سلاسل من نحاس لتعليق القناديل، وأقام أروقة المسجد على ثلاثة صفوف.

وفي سنة ٩١٧ هـ عمر السلطان قانصوه الغورب باب ابراهيم عمارة جديدة.

وفي سنة ٩٧٩ هـ أصدر السلطان سليم خان أمراً ببناء المسجد الحرام، وفي سنة ٩٨٠هـ بدأ الهدم يتلوه التعمير، ثم أكمل البناء من بعده ابنه مراد، واستمر العمل حتى كان الفراغ منه سنة ٩٨٤هـ.

فكان محكم الأساس، متقن الشكل، وكانت تكاليفه باهظة، وقدرت بمائة وعشرة آلاف دينار.

«أما عمارة السلطان أحمد من سلاطين آل عثمان فسببها انه في الساعة الثانية من صباح يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر شعبان عام ألف وتسع وثلاثين نزل

مطر عظيم بمكة وضواحيها لم يسبق له نظير، فدخل السيل المسجد الحرام، ووصل الى ارتفاع مترين عن قفل باب الكعبة. وفي عصر اليوم التالي أي يوم الخميس سقط الجدار الشامي من الكعبة بوجهيه، وانجذب معه من الجدار الشرقي الى حد الباب الشامي، ولم يبق سواه، وعلى قوام الباب، ومن الجدار الغربي من الوجهين نحو السدس، ومن هذا الوجه الظاهر سقط منه نحو الثلثـين، وبعض السقف، وهو الموالي للجدار الشامي.

ثم أمر السلطان مراد رحمه الله تعالى ببناء الكعبة المشرفة، فتم بناؤها في شهر رمضان سنة أربعين وألف على صفة بناء الحجاج رحمه الله تعالى».

أما العمارة السعودية الحديثة فبدأت في يوم ٢٣ من شعبان ١٣٧٥هـ (الموافق ٥ من ابريل ١٩٥٦م) وقد بلغت تكاليفها ما يقـرب من سبعمائـة مليون ريـال سعودي، أما مساحة الحرم بعد التوسعة الحديثة فقـد بلغت (١٦٠١٦٨) متراً مربعاً بدلاً من (٣٥) ألفاً من الأمتار، وهو بذلك يتسع لقرابة نصف مليون من المصلين. وهي التوسعة التي حصلت على أثر اصدار الملك سعود رحمه الله أمره السامي باجرائها، وكان هذا الأمر الملكي يقضي باجراء توسعة شاملـة للمسجد الحرام، وقد تمت هذه على عدة عوامل متلاحقة هي على التوالي:

ـ المرحلة الأولى: وقد بدأ العمل فيها عام ١٣٧٥هـ الموافق ١٩٥٦ وشملت العديد من الانجازات أهمها:

ـ ازالة المنشآت السكنية والتجارية التي كانت قائمة قرب المسعى وهدم المباني القائمة شرق المروة والبدء بشق طريق جديد يمتد بجانب الصفا والمروة الى حي القرارة والشامية.

ـ بناء المسعى من طابقين لاستيعاب أكبر عدد ممكن من المصلين. ويبلغ طول المسعى من الداخل ٣٩٤,٥ متراً وعرضه ٢٠ متراً، ويبلغ ارتفاع الطابق الأرضي للمسعى ١٢ متراً والطابق العلوي ٩ أمتار.

ـ أقيم في وسط المسعى حاجز يقسمه الى قسمين طـويلين خصص احـدهما للسعي من الصفا الى المروة والآخر من المروة الى الصفـا لتيسير السعي ومنـع

التصادم بين الساعين ذهاباً وإياباً.

ـ أُنشيء للمسعى ١٦ باباً في الواجهة الشـرقية، كمـا خصص للطابق العلـوي مدخلان احدهما عند الصفا والآخر عند المروة وبني لهذا الطابق سُلّمان من داخل المسجد أحدهما عند باب الصفا والآخر عند بـاب السلام. وبُني تحت الطـابق الأرضي طابق سفلي يبلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار ونصف المتر.

ـ أقيم مجرى خاص بتصريف مياه السيل.

المرحلة الثانية: وبدأ تنفيذها في عام ١٣٧٩ هـ الموافق ١٩٥٩.

ـ تم خلال هذه المرحلة بناء أساس الرواق الجنوبي وكُسيت جدرانه بالرخام كما تمت تكسية العقود والسقوف بالحجر المنقوش.

ـ أقيم ممر دائري فوق الصفا عـلى مستوى سطـح الطابق العلـوي للرواق الجنـوبي والمسعى ووصل بينهمـا بسقف مستديـر مقبب وخصص هذا الممـر للداخلين من باب الصفا الجديد الى أحد الطابقين.

المرحلة الثالثة: وبدأ تنفيذها في عام ١٣٨١ هـ الموافق ١٩٦١م.

جرى خلالها بناء القسم الثاني من الرواق الجنوبي الغربي واكمال الطابق السفلي في هذا الجانب.

ـ بناء الرواق الشمالي في الرقعة الممتدة من باب العمرة الى باب السلام. اكتمل بناء الطابق السفلي الذي أقيم تحت جميع ابنية الحرم ـ عدا المسعى.

وقد أصبح مساحة المسعى بعد ان أُلحق بالمسجد ٨٠٠٠م² للطابق العلوي و٨٠٠٠م² للطابق الأرضي. وأنشأت حول الحرم خمسة ميادين عامة وأصبح عدد أبواب الحرم أربعة وستين باباً. وحُفرت انفاق في جميع الاتجاهات مزودة بدورات للمياه ومغاسل للوضوء، وذلك لتأمين الحجاج من حوادث الحركة المرورية وتخفيف الازدحام عند الخروج من الحرم أو الدخول اليه.

وقد أصبحت ساحة المسجد الحرام بعد هذه التوسعة ١٩٣٠٠٠ متر مسطح بعد ان كانت ٢٩١٢٧ متراً مسطحاً أي بزيادة قدرها ١٣١٠٤١ متراً مسطحاً، مما جعل الحرم يتسع لحوالي اربعمائة مصل. وشملت هذه التوسعة كـذلك تـرميم

الكعبة المشرفة وتوسعة المطاف بتجديد مقام ابراهيم عليه السلام.

أما التوسعة التالية للمسجد الحرام، وللمسجد النبوي في آن واحد، فقد حدثت مؤخراً في عهد خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك فهد بن عبد العزيز وسيتم، تناول هذه التوسعة في فصل خاص لأهميتها وضخامة الانجاز العمراني فيها.

معلومات عن المسجد الحرام

١ ـ المساحة الحالية شاملة السطح	١٩٣٠٠٠ م٢، تتسع لحوالي
	٤٠٠٠٠٠ مصلٍ
٢ ـ مساحة أدوار مبنى التوسعة الجديدة	٥٧٠٠٠ م٢
٣ ـ مساحة سطح التوسعة الجديدة	١٩٠٠٠ م٢
٤ ـ مساحة أدوار التوسعة مع السطح	٧٦٠٠٠ م٢، تتسع لحوالي
	١٤٠٠٠٠ مصلٍ
٥ ـ مساحة الساحات	٤٠٠٠٠ م٢؛ تتسع لحوالي
من جهة السوق الصغير وشرق المسعى	٦٥٠٠٠ مصلٍ
٦ ـ المساحة الشاملة للمسجد	٣٠٩٠٠٠ م٢، تتسع لحوالي
الحرام بعد التوسعة الجديدة	٦٠٥٠٠٠ مصلٍ

أما الموضع الثاني الأكثر أهمية بين الأماكن المقدسة في المملكة العربية السعودية فهو المسجد النبوي في المدينة ثاني الحرمين الشريفين. ويعود تاريخ المسجد النبوي الى زمن هجرة الرسول الأعظم ﷺ من مكة الى المدينة في عام ٦٢٢م وكان أول عمل قام به صلوات الله عليه هو بناء مسجد في المدينة من الطول اللبن ومن جذوع النخل، ولما توفي ﷺ دفن بحجرة زوجته أم المؤمنين السيدة عائشة بنت

أبي بكر الصديق رضي الله عنها. وتمت أول توسعة للمسجد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث اضاف رقعة من الأرض من الناحية الشمالية وأعاد بنائه، ولما توفي عمر بن الخطاب دفن بجوار قبر الرسولﷺ والخليفة أبو بكر الصديق. وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بدت توسعة المسجد ضرورة ملحة فقام بتوسعته وعمارته في عام ٦٤٩ ـ ٦٥٠م.

وعندما تولى الوليد بن عبد الملك خلافة الدولة الأموية أمر بتوسعة المسجد وإعادة بنائه، وأهم ما يميز هذه التوسعة ادخال عناصر معمارية جديدة كالشرفات والمآذن والمحراب المجوف في جدار القبلة كما انها كانت أول توسعة تشمل إلحاق حجرات أمهات المؤمنين ضمن المسجد، وتقدر زيادة الوليد بن عبد الملك بنحو ٢٣٦٩م٢.

وفي العهد العباسي قام الخليفة المهدي بتوسعة المسجد وعمارته. وتمت أهم عمارة للمسجد في العصر المملوكي في عهد السلطان قايتباي حيث أعيد بناء أقسام كبيرة منه. وفي عهد الخلافة العثمانية قام السلطان محمود الثاني في عام ١٨١٣م ببناء قبة جديدة للحجرة النبوية في محل قبة قايتباي غطيت بالرصاص وطليت باللون الأخضر، وأعاد السلطان العثماني عبد المجيد الأول بناء المسجد بعد هدمه كلية باستثناء الحجرة النبوية الشريفة، وتضمنت عمارة السلطان عبد الحميد آخر توسعة للمسجد النبوي التي بلغت مساحتها ١٢٩٣م٢ قبل التوسعة السعودية الأولى التي تمت في عهد الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله.

فقد كان الملك سعود يولي أهمية كبرى لخدمة الحرمين الشريفين وتوفير سبل راحة حجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد الرسولﷺ، فقد لاحظ ضيق المسجد النبوي الشريف بالزوار والمصلين حتى إن أعداداً كبيرة من الناس كانوا يؤدون صلواتهم خارج مبنى المسجد في الطرقات والممرات المجاورة. كما نما الى علمه ان بعض الأعمدة والجدران في المسجد النبوي الشريف قد اعتراها الخراب والتصدع حيث انه لم يُجرِ أي تجديد أو توسعة للحرم النبوي منذ عمارة السلطان العثماني عبد الحميد في عام ١٢٧٧ هجرية الموافق ١٨٦١ ميلادية. فأصدر رحمه

الله، أمره الكريم بتوسعة المسجد النبوي الشريف. وفي شهر شوال من عام ١٣٧٠ هجرية، الموافق شهر تموز (يوليو) ١٩٥١ ميلادية، بدأ تنفيذ المشروع وانتهت أعمال التوسعة والعمارة في عام ١٣٧٥ هجرية الموافق ١٩٥٥ ميلادية.

وقد حافظت التوسعة السعودية على عمارة السلطان عبد المجيد العثماني التي تحتل حالياً القسم القبلي للمسجد النبوي بينما تحتل العمارة السعودية القسم الشمالي منه، وتبلغ التوسعة السعودية ٦٢٢٤ متراً مسطحاً فأصبحت مساحة المسجد بعد التوسعة الأولى ١٦٣٢٧ متراً مسطحاً.

وأما الآن فأن هنالك بالطبع المشروع الضخم للتوسعة الجديدة للمسجد النبوي والتي يقوم بها حالياً خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز. وسوف نتطرق اليها بشكل مستقل ومفصل في مكان آخر من هذا الكتاب نتيجة لضخامتها ولأهميتها ولسعتها الجذرية على الصعيد العمراني.

معلومات حول المسجد النبوي

١ ـ مساحة الدور الأرضي الأصلية للمسجد	١٦٥٠٠ متر مسطح
٢ ـ مساحة التوسعة للدور الأرضي	٨٢٠٠٠ متر مسطح
٣ ـ المساحة الإجمالية للدور الأرضي بعد الاضافة ستكون	٩٨٥٠٠ متر مسطح تستوعب ١٦٧٠٠ مصلٍ
٤ ـ سطح التوسعة	٦٧٠٠٠ متر مسطح
٥ ـ المساحة الإجمالية	١٦٥٠٠٠ متر مسطح تستوعب ٢٥٧٠٠٠ مصلٍ

رعاية الأماكن المقدسة
وصيانتها في ظل السيادة السعودية:

ان هذه التوسعات والمشاريع العمرانية الكبيرة التي تقوم بها السلطات السعودية للأماكن المقدسة تجسد اهتماماً لا مثيل له بالنسبة للحكومة السعودية فأن وجود الحرمين الشريفين في أراضيها الاقليمية علاوة على بقية الأماكن المقدسة يحظى بالاهتمام الأول للقادة السعوديين وعلى رأسهم الملك رئيس الدولة، وذلك منذ عهد الملك عبد العزيز بن سعود مؤسس المملكة وحتى الوقت الحاضر في ظل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز.

ان هذه التوسعات التي تحدثنا عنها قبل قليل علاوة على التوسعة المخطط لها الآن قد جسدت رعاية لا مثيل لها في العالم لأية دولة على الأماكن المقدسة التي تمتلكها، فأن مشاريع العمران المستمرة داخل الحرمين الشريفين ومشاريع التوسيع وتزويد الحرمين بأحدث الوسائل التقنية والتكنولوجية لتسهيل عملية تأدية فريضة الحج وتوفير كل المتطلبات والمستلزمات التي يحتاجها الحجيج الآتين من كل بقاع العالم.

وان رعاية هذه الأماكن تتطلب الكثير من المسؤوليات والتبعات الاقتصادية والادارية والصحية. وكذلك الكثير من الخبرات التنظيمية والتكنولوجية وقد وفرت الحكومة السعودية مثل هذه الصيانة للحرمين الشريفين والرعاية التامة والمتكاملة للحجيج في كل عام وعلى الرغم من الأرتفاع الطردي في اعدادهم عام بعد آخر حتى بلغ المليوني حاج في الأعوام الأخيرة ثم تجاوز الى حوالي المليوني ومائتي ألف حاج، فأن القيادة السعودية قد وجدت على الدوام الوسائل الحكيمة والتنظيمية اللازمة في تحقيق موسم حج منظم وهادىء على الدوام ووافٍ بحاجة الحجيج وبمقتضيات التعاليم الاسلامية لهذه الفريضة المقدسة.

فكما ان التوسعات المتتالية للبيت الحرام وللمسجد النبوي كانت تجسد رعاية كبيرة ومتقدمة للحرمين الشريفين فان كل مرافقهما الأخرى قد حظيت باهتمام

كبير مثل الطرق المؤدية اليهما ووسائل النقل وتنظيم عملية المرور الكثيفة والمستمرة خلال تأدية فريضة الحج. وأن مثل هذا الاهتمام الدقيق والواعي والمنظم لم يكونا الحرمين الشريفين ليحظيا بهما فيما لو كان وجودهما في بقعة أخرى من العالم لأن المملكة قد اكتسبت خبرة وممارسة كبيرتين بهذا الشأن من خلال السنوات الطويلة التي أشرفت خلالها على هذه المهمة المقدسة وأدركت متطلباتها وملابسات استقبال العدد الكبير من الحجاج، والتحديات التقنية والصحية والاقتصادية التي تتمخض عنها. وكانت الادارة السعودية بذلك قد وضعت حلولاً ناجعة وفعالة لكل مشكلة يمكن لها ان تنبثق اثناء فترة الحج.

علاوة على هذه الرعاية للأماكن المقدسة عمرانياً وتوسيعياً. قامت المملكة بوضع برامج أخرى تقضي بتطوير أكثر للشكل العمراني للمدن المقدسة مثل انشاء مجمعات ومدن سكنية تحتوي على بيوت حديثة مجهزة بكل الوسائل التي توفر للحجيج شروط الراحة والمناخ الذي تتطلبه تأدية الطقوس الدينية. فقد رأت الحكومة السعودية ان تقوم بتطوير السكن في المدن التي تحتضن الحرمين الشريفين، فعملت على تشجيع قيام شركات مختلطة ومضمونة الربح لانشاء مجمعات سكنية ضخمة تشتمل على كل التسهيلات التي يستطيع الحاج التعامل معها مهما كانت القومية التي ينتمي اليها ومهما كان البلد الآتي منه*. وأن انجاز مثل هذا المشروع سيكون اثناء السنوات الثلاث القادمة حيث سيفد بعد ذلك كل حاج وهو يعرف مكان اقامته وكيفية تحركاته وتنقله.

وبذلك فان المملكة العربية السعودية تهدف الى عمل كبير ـ كما صرح سمو الأمير نايف بن عبد العزيز الى جريدة السياسة الكويتية ـ وقد تجاوبت مع هذا العمل الاسلامي الضخم كل الدول الاسلامية عدا ايران.

وهنالك مشروعات أخرى كثيرة خاصة بتوسيع المباني والمرافق الدينية والعمرانية الأخرى الملحقة بالحرمين الشريفين من جوامع ومساجد أخرى صغيرة، ومن صيانة انشائية وعمرانية وأمنية وصحية للحجاج.

والجدير بالذكر ان الرعاية الصحية تسير مساراً دقيقاً في المملكة ولا سيما في

موسم الحج حيث يفد الى المملكة أكثر من مليوني مسلم من مختلف بقاع ومجتمعات العالم، وان هذا المزيج الهائل من البشر يتطلب اهتماماً صحياً مضاعفاً وخاصة لأجل هذه المهمة وللاشراف على الوضع الصحي اثناء الحج، كما تُصدِر المملكة الكثير من التعليمات والقوانين الخاصة بالجانب الصحي سواء اثناء وجود الحجاج داخل أراضي المملكة أو قبل وصولهم اليها، وعلى سبيل المثال فقط لا الحصر نورد نص التعليم الذي صدر عن وزارة الصحة قبل بدء حج عام ١٩٨٩... هذا التعليم الذي يدل على دقة المراقبة الصحية المتخصصة وشدة الاهتمام الصحي الذي توليه قيادة المملكة الى الحجاج؛ ونص التعليم هو:

«نبهت وزارة الصحة المواطنين والمقيمين والراغبين في إداء فريضة الحج هذا العام الى ضرورة الحرص على التطعيم ضد الحمى المخية الشوكية قبل إداء فريضة الحج بخمسة عشر يوماً ان لم يسبق للحجاج التطعيم خلال العامين السابقين. وأوضحت الوزارة ان الحمى المخية الشوكية مرض معدٍ وافر، ولهذا يجب على الحاج المبادرة الى التطعيم في ضوء ما سبق»**.

من كل ما تقدم يمكن ادراك مدى الصيانة والرعاية الكبيرتين اللتين تتمتع بها الأماكن المقدسة من ناحية والحجيج من ناحية أخرى في ظل الادارة السعودية والقيادة السياسية داخل المملكة. وكذلك يمكن ادراك مدى المسؤولية والتبعة الضخمة الملقية على كاهل الحكومة داخل المملكة لأجل تأمين أفضل الوسائل لتأدية فريضة الحج لكل مسلمي العالم.

وان هذه الصيانة تشمل الجانب العمراني والجانب المالي الاقتصادي الضخم والجانب الصحي والجانب الأمني، وكل ذلك ينصهر في بوتقة خاصة ومؤسسات ادارية ضخمة مثل وزارة الحج. فان شدة الاهتمام بهذه الناحية الدينية الاسلامية من قبل الحكومة السعودية قد جعلها تُنشِئُ وزارة خاصة بهذا الشأن هي وزارة الحج. فان وضع وزارة بكل مؤسساتها واداراتها وشُعبِها وفروعها التخصصية وميزانيتها الاقتصادية الضخمة التي تتكفل بها الدولة.. ان وضع وزارة خاصة بهذا الشأن يدل على المستوى التنظيمي الراقي والدقيق الذي بلغته عملية الحج

تحت سيادة المملكة العربية السعودية، هذا ناهيك عن الوزارات الأخـرى التي تتخصص بادارة وصيانة جوانب أخرى من هذه الفريضة مثل وزارة الداخلية التي تستنفر كل قواتها وطاقاتهـا الأمنية لتـوفير الحمـاية والسـلامة للحجـاج وللحرمين الشريفين، وكذلك وزارة المالية التي تنفق مبالغ طائلة لتأميل موسم حج ممتاز في كل عام، وكل هذه المبالغ بدون مقابل ربحي أو مردود اقتصادي بل المردود الوحيد هو القيام بهذه الفريضة على أحسن وجه التزاماً بتعاليم الاسلام وتأدية للواجب امام الله سبحانه وتعالى.

وهنا ينبغي ذكر ان الصفة الدينيـة الشريفـة للعائلـة السعوديـة قد اعطت للحكومة آلسعـودية هـذه الهيبة وهـذا الاحترام أمـام مسلمي العالم وجعلتهم يرضون كامل الرضـاء ويقتنعون كامل القناعة بأن تشـرف المملكة عـلى الأماكن المقدسة وتصونها.

فالعائلة السعودية عائلة عربية أصيلة وعـائلة دينيـة في أصولهـا الأولى وفي تطورها التاريخي. إذ انها تتبع الدين الاسلامي الأصيل والنقي كما انزله الله سبحانه وتعالى على نبيه وكما طبقه الرسول الكريم(ﷺ) في مسيـرته وأكـده في أحاديثه الشريفة. وهو الاسلام الأصولي الخالص البعيد عن الشوائب وعن البدع الدخيلة التي انتابت بعض فرقه الدينية في العصور المتأخرة على عصر الرسول الأعظم(ﷺ) وذلك عبر المراحل التي اجتازها تاريخ العالم الاسلامي، لكن الجزيرة العربية بعد ان شهدت بضعة قرون من البدع الدينية والابتعاد عن روح الاسلام الأصيل قد عادت الى جوهر الدين الاسلامي من جديد على يد ذلك الالتقاء الذي شاء الله ان يكون بين الأمير محمد بن سعود وبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

فمع بداية القرن الثامن عشر الميلادي وفي اقليم نجد وسط الجزيرة العربية كان الأمير محمد بن سعود ـ الذي تنتسب اليه العائلة السعودية المالكة ـ يحكم امارة الدرعية وهي احدى الامارات الصغيرة التي كانت قائمة في الجزيرة العربية. وقد صاحب فترة حكم الأمير محمد بن سعود ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مدينة العينية بنجد الذي آلمه أحوال قومه وقد غلب عليهم الجهل وانتشرت بينهم

الأضاليل والخرافات الدينية فكانوا يتبركون بالشجر وأضرحة الأولياء ويدعون لغير الله سبحانه وتعالى.. فنهض بدعوة الاصلاح الديني مناديا بأخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى والبعد عن الشرك والبدع والعودة الى جوهر الاسلام وينبوعه الأصيل. ومثل كل دعوات الاصلاح واجه الشيخ محمد بن عبد الوهاب مقاومة عنيدة من عشيرته وقومه الى ان قيض الله لهذه الدعوة الأمير محمد بن سعود مناصراً وحليفاً فالتحمت القوتان الدينية والسياسية في اطار اتفاق تاريخي عام ١١٥٨هـ ـ ١٧٤٥ ميلادية ويتضمن هذا الاتفاق في بنوده دعم الأمير محمد بن سعود لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب* الاصلاحية والتعهد بمؤازرتها ونشرها فكان هذا الاتفاق منعطفاً هاماً في تاريخ المنطقة السياسي والاجتماعي، وأضحى أساساً أقيمت عليه قواعد الدولة السعودية عبر مختلف مراحلها حتى العصر الحديث حيث اتخذ ملوك آل سعود منذ ذلك التاريخ مسؤولية الذود عن حياض الدين الاسلامي ونشر الدعوة ومناصرة القضايا الاسلامية.

وعندما استعاد بعد ذلك الملك عبد العزيز آل سعود الاستيلاء على الرياض وطن آبائه وأجداده بعد ان دحر حاكمها من آل الرشيد عام ١٩٠٢م وبدأ معركته لتوحيد الجزيرة العربية وتكوين الدولة السعودية الحديثة بضم كل من اقاليم الاحساء ونجد والحجاز وعسير حتى ركزت المملكة الفتية أسس بنائها السياسي والجغرافي والاجتماعي، كان الدين الاسلامي بنقائه الأول وصفائه الخالص كما أقره القرآن الكريم هو دين المملكة بحكومتها وشعبها. ولذلك فأن قيادة العائلة السعودية للمملكة التي تحتوي على أقدس الأماكن الاسلامية وهما الحرمين الشريفين تمنح ثقة لعامة المسلمين في العالم بأن الأماكن الاسلامية المقدسة تحت رعاية أمينة، رعاية اسلامية ودينية تتجسد في السلطة السياسية للمملكة.

وللدلالة على البعد الديني للعائلة السعودية باعتباره الأصل الذي له الأولوية على البعد السياسي للصفة الدينية الاسلامية لآل سعود فان جلالة الملك فهد بن عبد العزيز قد اتخذ صفة دينية له تجسدت في لقب **(خادم الحرمين الشريفين)**. واتخاذ هذا اللقب وتفضيله على اللقب السياسي: صاحب الجلالة يجسد العزوف

عن التعلق بمظاهر المُلك والأبهة التقليدية المعتادة في دول غير المسلمين أو في دول ملكية لا تمتلك داخل أراضيها شرف السيادة على الحرمين الشريفين، وهذا يجسد أيضاً اتجاهاً شديد الايغال داخل الحساسية الدينية المرهفة والصافية من أجل الاسلام* وليس غريباً ان يتخذ الملك فهد بن عبد العزيز مثل هذا القرار ذا الدلالات الهامة على الصعيد الاسلامي، فأن العائلة السعودية كانت دوماً خادمة للاسلام وحامية لجوهره الصافي، وهو ما نراه مطبقاً بشكل واضح في الواقع داخل المملكة العربية السعودية.

فمنذ ان أمست الجزيرة العربية موحدة في ظل الحكم السعودي على يد الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله، بدت قوافل الحج وطرقه محمية من كل البلدان الأخرى وحتى وصول مواكب الحجيج الى الأماكن المقدسة داخل الأراضي السعودية، لأن همّ الدولة الأول كان رعايتها للحرمين الشريفين وتأمينها لفريضة الحج التي على كل مسلم ان يؤديها مرة واحدة على الأقل في حياته.

ومنذ ذلك التاريخ، تاريخ بناء المملكة العربية السعودية وتأسيسها وعملية الحج تشهد تطوراً طردياً متصاعداً ومتقدماً نحو الأفضل حتى بلغ في السنوات الأخيرة مرحلة راقية من الدقة في التنظيم الذي يشمل كل صغيرة وكبيرة في تأدية هذه الفريضة. ولا مجال هنا لسرد كل التفاصيل الدقيقة والعالية المستوى في تطورها ورقيها، ولكن يمكن ادراك ذلك من لائحة قوانين الحج التي صدرت عن وزارة الحج في المملكة العربية السعودية عام ١٩٨٩، فالاطلاع على هذه القوانين يثير الدهشة والاعجاب بالرقي التنظيمي الذي بلغته السلطات السعودية لتنسيق هذه العملية التي تحتاج الى مسؤولية وعبأ كبيرين. ولذلك ينبغي مراجعة النص الكامل لهذه القوانين في الجريدة الرسمية للمملكة العربية السعودية المسماة «أم القرىٰ» وكذلك في الصحف السعودية الأخرى مثل «الرياض» و«عكاظ» و«الجزيرة» وغيرها. ان الاطلاع على هذا النص الهام يغني عن أي كلام آخر، فحماية الحرمين الشريفين وبلوغ تطور الاشراف على الحج قد بلغ في المملكة العربية السعودية مستوى التكامل والابداع.

مراجع الفصل الثالث:

- «ماذا يعني اسلامياً وسياسياً لقب خادم الحرمين الشريفين»؟، مجلة «الوطن العربي»، العدد ٥٠٨، الصادر بتاريخ ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٦، ص٣٢.

- «King FAHD Has givin Instructions» That the title «His Majesty» Is to be drapped in referance to himself, in fovour of the appelation» «servant (or Custodion(of Two Holy Mosques», N° 184, 10 Novombre, 1986.

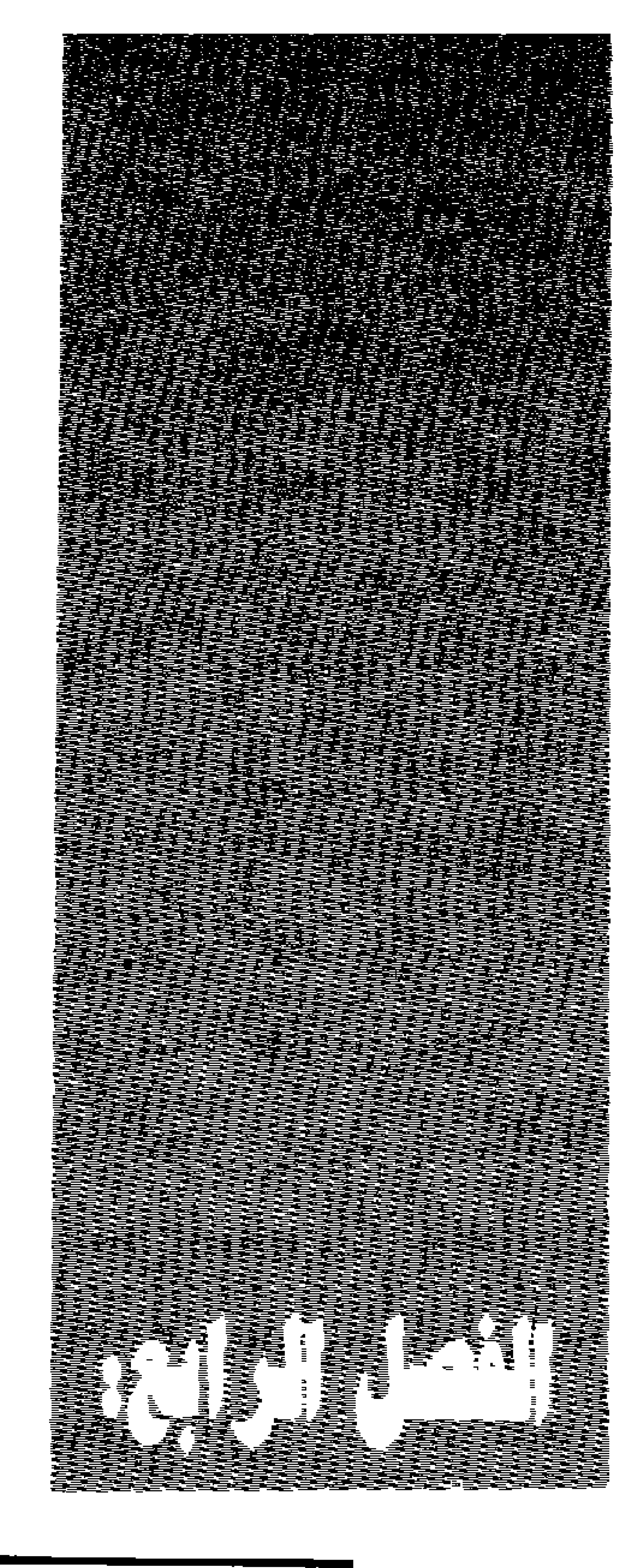
- محمد أحمد طيب: «الحرمان الشريفان وعمارتها في العهد السعودي»، نشر سفارة المملكة العربية السعودية في باريس، ومعهد العالم العربي، باريس ١٩٨٨.
- أحمد عسة: «معجزة فوق الرمال» الطبعة الثالثة ١٩٧١ - ١٩٧٢.
- مديحة أحمد درويش: «تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين».
- أمين سعيد: «تاريخ الدولة السعودية».
- علي حافظ: «فصول من تاريخ المدينة المنورة». الطبعة الثانية ١٩٨٥.

- احمد بن محمد المكي: «اخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام»، تحقيق د. الحافظ غلام مصطفى، دار الصحوة للنشر الطبعة الأولى ١٤٠٥، ١٩٨٥م.

- Trevor Mostyn: «Saudi arabia, a meed Pratical Guide», Second édition, Middle Carte economic Digest, London 1983.

- Shirley Kay and Malin Basil: «Saudi Arabia, Paste and Present», NAMARA Publication, London 1979.

-PIERRE LYAUTEY: «L'Arabi Saudite d'Aujord'hui», Ed. Julliard, Paris 1967.



السياسة السعودية لتأمين عملية الحج

إعداد: د. حيدر صادق

ان هذا العدد الضخم من الحجاج الذي يزور المملكة العربية السعودية سنوياً، يتطلب في البداية وقبل كل شيء توفير ضرورات وحماية أمنية لسلامة الحجاج ولصحتهم وأموالهم وأمتعتهم، وكذلك حمايتهم من أي حادث محتمل الوقوع يمكن له ان يخل بموسم الحج وقدسيته وشعائره أو يشكل خطراً على حياة الحجاج مثلما حدث ذلك على يد الايرانيين عدة مرات، فالضرورات الأمنية لها الأولوية وتسبق بقية الاجراءات التنظيمية التي توفرها المملكة للحجاج وتنسق وفقها عملية الحج وسيرها واحتياجاتها.

ولأدراك المسؤولية الأمنية التي تتحملها المملكة في كل موسم حج نورد فيما يلي حديث لوزير الداخلية السعودي سمو الأمير نايف بن عبد العزيز، نورد هذا الحديث قبل ان نتناول بقية الجوانب الهامة التي تتطلبها عملية الحج وتوفرها المملكة الى أكثر من مليوني حاج يأتون سنوياً لزيارة الحرمين الشريفين.

يقول الأمير نايف اجابة على سؤال وجه اليه عن ما هو الدور الذي تقوم به وزارة الداخلية وأجهزتها في موسم الحج والخدمات التي تقدمتها في سبيل تحقيق الأمن والأمان وتيسير أمور ضيوف الرحمن: يقول سموه:

ان التجمع الاسلامي البشري في موسم الحج هو أكبر تجمع بشري في العالم كله، فلم نعلم أو نسمع عن تجمع مماثل له يبدأ في أوقات محدودة ويستمر لأيام معلومة وينتهي في مواعيد محددة.

ان هذا التجمع والتوفيق الذي نحظى به هو نعمة من الله تعالى الذي نؤمن

ايمانا عميقاً بأنه يمدنا بعونه وتيسيره حتى تستوعب رقعة محدودة من الأرض تلك الأعداد الكبيرة من الحجاج رغم تكاثرها عاماً بعد عام. ولعل النتائج التي نعتز ونتشرف بها هي من توفيق الله أولاً ومن ثم نتيجة لتضافر جهود معظم وزارات ومؤسسات الدولة ضمن خطط شاملة نضعها قبل كل موسم حج بوقت كاف وتؤدي فيها كل جهة واجبها المرسوم لها.

أما بالنسبة لوزارة الداخلية، فأنها هي أول من يستقبل ضيوف الـرحمن في المنافذ الجوية والبحرية والبرية وآخر من يودعهم...

ففي اللحظة التي يصل فيها الحاج الى المملكة عبر أحد تلك المنافذ تعتبر وزارة الداخلية ومنسوبوها انفسهم مجندين في خـدمته، لينصـرف الى أداء المناسـك والتوجه الى الله تعالى بقلب خاشع ونفس مؤمنة، لا يشغله عن أمور دينه شيء من أمور الدنيا لأننا نحن الذين نؤدي له الخدمات اللازمة منذ وصولـه الى المملكة وحتى مغادرته لها سالماً غانماً ان شاء الله. اننا نبدأ بوضـع خطط الحج التالي فور انتهاء موسم الحج ثم تبلور الخطة العام في خطط تفصيلية ترسم فيها مسؤولية كل جهة من جهات وزارة الداخلية وهو ما ينطبق أيضاً على باقي وزارات ومؤسسات الدولة كالحرس الوطني ووزارة الدفاع والطيران ووزارة الحج والأوقاف ووزارة الصحـة ووزارة البرق والبـريد والهـاتف ووزارة الاعـلام ووزارة المـواصـلات والمؤسسات العامة للموانيء والخطوط السعودية والكهرباء الى آخر تلك الوزارات والمؤسسات.

وبطبيعة الحال فأن حجم المسؤولية الملقاة على عاتق وزارة الداخلية تعتبر أكثر من سواها فهي تستقبل ضيوف الرحمن القادمين من الخارج والداخل وتنتهي اجراءات دخولهم الى الأراضي المقدسة وتشرف بعون الله على سلامتهم وأمنهم طوال وجودهم وخلال تنقلاتهم من مكة المكرمة الى المشاعر المقدسة والى المدينة المنورة.

ان انتقال مليوني حاج من مكان الى آخر في وقت محدد ومواعيد محددة وبدون

نسبة حوادث تذكر انما هو توفيق من الله وتيسير منه جل جلالـه لعباده لأداء مناسكهم بسهولة ويسر ومن بعد ذلك نتيجة للتخطيط الذي توليه حكومة خادم الحرمين الشريفين لحجاج بيت الله لأداء الركن الخامس في الاسلام.

ويكفي ان نعلم ان معظم ادارات وأجهزة وزارة الداخلية تساهم مساهمة فعالة في الحج بدءاً من أجهزة الأمن العام من مرور وشرطة الى ان يشمل ذلك جميع أجهزة وزارة الداخلية من جوازات وسلاح حدود وطلبة الكليات والمعاهد كل ذلك من أجل السهر على راحة حجاج بيت الله وأداء مناسكهم بأمن وأمان والله نسأل ان يديم علينا نعمة الاسلام ويرزقنا الثواب انه سميع مجيب).

هذا عن السياسة الأمنية التي توفرها الحكومة السعودية للحجيج في كل عام كما وضحها سمو الأمير نايف وزير الداخلية، أما عملية الحج بحد ذاتهـا فهي عملية واسعة متشعبة تتطلب الكثير من التنظيم الدقيق والجهود الجبارة لكي تتم كل عام على أتم وجه. وتتخذ الدولة السعودية على عاتقها تنظيم هذه المهمة الهائلة بكل فروعها وتشعباتها فأن الحج لا يتركـز فقط في تأديـة الطقوس والمـراسيم والفرائض الدينية داخل الأماكن المقدسة، بل يقتضي أيضاً تنظيماً دقيقاً لمرافق الحياة الأخرى مثـل تأمـين المواصـلات بين المـدن وتأمـين الطعام والشـراب واحتياجات الحجاج وتوفير ذلك العدد الهائل من الأغنام التي يضحى بها في اليوم الأول من عيد الألأضحى من كل عام، وكذلك تنظيم سكنى الحجاج ورعـايتهم الصحية وتوفير السلع التي يريدون شرائها... وغير ذلك من الأمـور التفصيلية والهامة التي تتطلبها عملية الحج.

فموسم الحج وتنظيمه من قبل الدولة السعودية هو مسؤولية كبيرة لأن امتلاك الأماكن المقدسة وصيانتها ورعاية مليوني حاج مسلم سنوياً هو ليس عملاً يسيراً أو متعة، أو ترفا، بل هو مسؤولية ينبغي القيام بها بدقة ولا يتأتى الى أية دولة القيام بمثل هذه المهمة الا للمملكة العربيـة السعوديـة بفضل طـول الممارسـة والاعتياد على خدمة الحجيج ومعرفة احتياجاتهم خاصة وأن عدد الحجاج أخذ بالتزايد عام بعد عام وفي المقابل ان مشاريع التوسيع والعمران داخل الحرمين

الشريفين قائمة ومستمرة ومتطورة من عام الى آخر.

وحول مسؤولية الدولة السعودية ازاء عملية الحج وموسمه يقول أحد المسؤولين السعوديين: (اننا نجند انفسنا من أجل التيسير على الحجيج ولا ندخر وسعاً ولا مالاً لتوفير الراحة والأمن لهم... ولا أتصور ان هنالك أماكن مقدسة تجد الرعاية والتطوير المستمر مثل ما يحدث في مكة المكرمة والمدينة المنورة وهو ما يضعه خادم الحرمين الشريفين ـ دوماً ـ أمام عينيه وقبل أي شيء آخر لأنها أمانة ومسؤولية... واذن ماذا يمكن ان تقدم أية جهة من الرعاية والمال للمقدسات الاسلامية أكثر مما يقدم الحكم في السعودية) (١).

ولتقديم فكرة عامة عن اعداد الحجاج الآتية الى السعودية وكيفية تنظيم فريضة الحج ومرافقها نقدم هذه الاحصائيات والأرقام والمعلومات حول اعداد الحجيج ومؤسسات الحج(٢).

ارقام عن حج عام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧) ميلادي:

على امتداد مساحة ٢٧ مليون متر مربع.. وهي المساحة الكلية لمشاعر الحج المقدسة في عرفات والمزدلفة ومنى، بالاضافة الى بيت الله الحرام في أم القرى وسائر انحاء مكة المكرمة، توفرت للحجيج مختلف أنواع الخدمات من أجل تحقيق الراحة والأمان والاطمئنان لضيوف الرحمن طوال موسم الحج لعام ١٤٠٧هـ.

ومن خلال الأرقام يمكن تصور حجم الجهد المبذول من كافة قطاعات الخدمات في المملكة تجسيداً للدور الرائد الذي تضطلع به سنوياً لاعانة ملايين المسلمين على اداء فريضة الحج كل عام.

مؤسسات للطوافة:

انطلاقا من الاهتمام بخدمة الحجاج بدأ العمل بنظام المؤسسات التجريبية للطوافة... وكان ذلك في ١٤٠٢هـ وأصبحت في عام ١٤٠٧هـ ست مؤسسات على النحو التالي:

١ ـ مؤسسة حجاج الدول العربية.

٢ ـ مؤسسة حجاج دول جنوب آسيا.

٣ ـ مؤسسة حجاج تركيا ومسلمي أوروبا.

٤ ـ مؤسسة حجاج دول جنوب شرق آسيا.

٥ ـ مؤسسة حجاج ايران.

٦ ـ مؤسسة حجاج دول افريقيا غير العربية.

وتخدم هذه المؤسسات أكثر من مليوني حاج سنوياً.

حجاج عام ١٤٠٧هـ ١٠٦١٩,٣١٤ حاجاً ٩٦٠,٣٨٦ حاجاً من حوالي ٨٠ دولة و٦٥٨,٩٣٨ حاجاً من داخل المملكة.

ـ بلغ اجمالي عدد الحجاج هذا العام ١٤٠٧هـ مليونا وستمائة وتسعة عشر ألفاً وثلاثمائة وأربعة وعشرين حاجاً (١,٦١٩,٣٢٤) من أكثر من ٨٠ دولة.

ـ ٩٦٠,٣٨٦ حاجاً قدموا من خارج المملكة عبر منافذها الجوية والبرية والبحرية و٢٧٠,٩٣٨ حاجاً سعوديين، و٣٣٨,٣٥٧ حاجاً غير سعوديين.

وقد زاد اجمالي حجاج العام الحالي عن اجمالي حج عام ١٤٠٦هـ بنسبة ١,١٧٪، حيث بلغت الزيادة ١٨,٨٤٩ حاجاً.

الخدمات ... للحجاج :

لمس الملايين في مختلف المشاعر المقدسة مدى توفر ألوان الخدمات المتنوعة طوال موسم الحج لعام ١٤٠٧هـ... وتعكس لغة الأرقام صورة نابضة بصدق الجهود المبذولة في هذا المجال على النحو التالي:

المياه :

ـ ٢٠ خزانا ضخما للمياه احدها في عرفات والثاني في مزدلفة و١٨ في منى سعتها مليونا متر مكعب وتكلفتها ٦٠٠ مليون ريال. كما تمت اضافة خزان مياه

الحجاج القادمون من الدول العربية ٤٠١,٠٧٩:

الدولة	عدد الحجاج	الدولة	عدد الحجاج
مصر	٩٧٢١٦	اليمن الجنوبية	٧٢٢٥
اليمن	٦١٤١٦	تونس	٦٩٩٧
الجزائر	٢٩٦٧٥	الكويت	٦٩٦٣
العراق	٢٩٥٢٢	الامارات المتحدة	٦٢٦١
المملكة المغربية	٢٩٣٣٤	الصومال	٤٨٨٦
ليبيا	٢٨٨٦٤	لبنان	٤٧٩٧
السودان	٢٨٧٨٤	البحرين	٤٤٠٧
الأردن	٢١٧٤٨	فلسطين	٢٥٦٧
سوريا	١٤٩٧٢	موريطانيا	١٦٣٣
عُمان	١٢١١٤	قطر	١٢٠١
		جيبوتي	٤٩٧

بسعة ٤٠ ألف متر مكعب هذا العام (١٤٠٧) وتقدر كمية المياه التي وصلت الى منى من وادي ملكان بنحو ٢٥ ألف متر مكعب يومياً، وهي من المياه الصالحة للشرب، في حين بلغت سعة خزان كعرانة ٦٠٠ ألف متر مكعب وسعة خزان المعيصم ٩٠ ألف متر مكعب.

- ولقد بلغت الكمية الاجمالية للمياه التي استهلكها ضيوف الرحمن في موسم الحج هذا العام ١,١٤ متر مكعب (حوالي ١,٥ مليون م^{٢}).
- كما يجري انشاء خزان سعة ٢٠ ألف متر مكعب بعرفات وسينتهي العمل فيه

الحجاج القادمون من بقية دول آسيا ٥٠٨,٣٦٨:

الدولة	عدد الحجاج	الدولة	عدد الحجاج
ايران	١٥٧٣٩٥	افغانستان	٥٤٣٠
تركيا	٩٦٧١١	بروني	٣٢٥٣
الباكستان	٩٣٠١٣	سنغافورة	٣٠٩٠
اندونيسيا	٥٧٥١٩	تايلاند	٢٤٠٥
الهند	٤٠٨٥٤	سيرلانكا	١٦٥٧
ماليزيا	٢٤٥٧٨	الصين	١٥٧٨
بنجلاديش	١٧٦٤٤	الفلبين	١٤٢٤
دول آسيوية أخرى ٩١٧			

ان شاء الله في العام المقبل.

- وبلغ عدد الصنابير ٥٠٠٠ صنبور داخل منى و١٣٥٥ قرب انفاق الحرم.

- وتم توزيع ٢٢ مليون عبوة مياه مبردة في المشاعر المقدسة وحول المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة المنورة هدية من خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز لحجاج بيت الله الحرام من المصنع الذي انشيء على نفقته الخاصة في وادي رهجان جنوب مكة المكرمة.

- تم توفير ١,٥ مليون قالب ثلج من ١٤ مصنعاً للثلج في مكة المكرمة وجدة.

دورات المياه :

بلغ عدد دورات المياه في منى ٤٠٠٠ دورة بتكلفة ٨٤ مليون ريال منها ١٠٥٦

الحجاج القادمون من بقية دول افريقيا ٤٢,١١١ :

الدولة	عدد الحجاج	الدولة	عدد الحجاج
نيجيريا	٢٠٧٣٧	تنزانيا	٧٨٧
السنغال	٣١٣٩	ساحل العاج	٧٠١
جنوب افريقيا	٢٣٢٩	بنين	٤٣١
مالي	٢١٦٧	وسط افريقيا	٣٩١
تشاد	١٣١٠	جزر القمر	٣٨٧
الكميرون	١٢٥٩	موريشيوس	٣٨٥
غينيا	١٠٩٤	أوغندا	٣٤٤
غانا	١٠٦٦	توجو	٢٢٢
بوركينا فاسو	٩٧٦	سيراليون	١٤٧
كينيا	٩٧٣	جابون	١٤٢
اثيوبيا	٩٠١	ليبيريا	٧٥
النيجر	٨٦٨	زامبيا	٥٠
جامبيا	٧٩٧	مالاجاسي	٨

دول أفريقية أخرى ٤٢٥

دورة قرب الحرم داخل الانفاق و٢٠٠ اضافية هذا العام.

الطرق والأنفاق :

بلغت تكلفة مشروعات طرق الحج بما فيها الطرق السريعة، والانفاق والجسور

الحجاج القادمون من أوروبا وأمريكا واستراليا ٨,٨٢٨:

الـــدولـــة	عدد الحجاج	الـــدولـــة	عدد الحجاج
أمـــريـــكـــا	١٢٥٠	بـــريـــطـــانـــيـــا	٤٠٥٩
كـــنـــدا	٤٧٧	فـــرنـــســـا	٨٠٧
اســـتـــرالـــيـــا	٢١٤	هـــولـــنـــدا	٣٨٤
يـــوغـــســـلافـــيـــا	١٦٤	الـــيـــونـــان	٩١٤

دول أخـــرى ٥٥٩

والطرق الدائرية في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة والمدينة المنورة ما يقرب من ١٠ آلاف مليون ريال خلال السنوات العشر الأخيرة، اختص منها أكثر من ٤١٨٤ مليون ريال لمشاريع تطوير (منى) ومنها:

٢٨ نفقاً أطوالها ١٦٨٧٢ متراً طولياً ومساحتها ٢٢٨ ألف متر مربع، وكذلك طريق المشاة المظلل بطول ٥ كيلومترات.

الـــنـــظـــافـــة :

مما استلفت نظر جموع الحجيج الحركة النشطة والدائبة لرجال النظافة في سائر المشاعر المقدسة طوال موسم الحج ويرجع ذلك للالتزام التام والدقيق من جانب شركة الخدمات التي تم التعاقد معها على نظافة مكة المكرمة والمشاعر خلال سنوات مقابل ٧٠٥,٧٠١,١٨٨ ريالاً.

وقد بلغ عدد المراقبين والعمال والسائقين في المشاعر المقدسة ٥٠٠٠ شخص،

بينما كان يعمل في مكة المكرمة وحدها ١٨٣٥ آخرين بين مراقب وسائق.

ويكفي للتدليل على حجم الجهد المبذول من أجل تحقيق النظافة التامة الاشارة الى انه منذ بداية شهر ذي الحجة (١٤٠٧) وحتى صعود حجاج بيت الله الحرام الى عرفات تولت شركة الخدمات نقل ٦٣ ألف طن من النفايات (خـلال أسبوع واحد) من مكة المكرمة.

ولقد تلقت أمانة العاصمة المقدسة برقيات شكر من رؤساء بعثات الحج تشيد بالمستوى الممتاز للنظافة.

٦ مـلـيـون رغـيـف ... يـومـيـاً :

تولى ٢٢ مخبزاً آلياً في المشاعر المقدسة انتاج ٦ ملايين رغيف يومياً طـوال موسم الحج هذا العام.

هذا الى جانب اقامة ٢٤٠٠ مبسط لبيع المواد الغذائية وتوفير ٤٠٠ برادة لبيع المثلجات ومنتجات الألبان... وكلها خاضعة للأشراف الصحي الدقيق.

٨٥٠ هاتف عملة... في مكة المكرمة والمشاعر:

لتوفير الراحة والاطمئنان للحجيج تم اعداد ٨٥٠ هاتف عملة في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة لخدمة الحجاج، بينها ٥٥٠ هاتفا للاتصال الدولي، حيث يمكن الاتصال من داخل المملكة بأكثر من ١٦٢ دولة بصورة مباشرة. وقد ارتفع عدد دوائر الاتصالات الى ٦٠٠٠ دائرة بعد افتتاح مدينة الملك فهد للاتصالات الهاتفية بجدة مؤخراً. وقد استحدثت خدمات بريد الحجاج لأول مرة هذا العام.

الأضـاحـي ... والـمـجـازر :

اعتباراً من هذا العام (١٤٠٧هـ) تم رفع الطاقة الانتاجية لمشروع الاستفادة من لحوم الأضاحي الى ٥٠٠ ألف رأس، بعد ان كانت حتى العام الماضي ٣٥٠ ألف

برنامج توزيع الأضاحي لموسم حج عام ١٤٠٧ هـ :

مسلسل	الجهة	الكمية المشحونة	الكمية المعدة للشحن	كيفية الشحن	التاريخ
١	الأردن	٤٥,٠٠٠	ـ	مبرد برا	خلال أيام التشريق
٢	سوريا	١٢,٠٠٠	ـ	مبرد برا	خلال أيام التشريق
٣	لبنان	ـ	١٩,٠٠٠	مبرد برا	خلال أيام التشريق
٤	باكستان	١٢,٢٠٠	٢٥,٠٠٠	مبرد جوا ١٠ رحلات	
٥	تشاد		٧,٥٠٠	مبرد جوا ٣ رحلات	
٦	السودان الخرطوم	٥١٧٥	ـ	مبرد جوا رحلة واحدة	خلال أيام التشريق
	بورسوان		٢٠٠,٠٠٠	مجمد بحرا	٢١ / ٨ / ١٩٨٧
٧	مصر		٣٥,٠٠٠	مجمد بحرا	٣١ / ٨ / ١٩٨٧
٨	جيبوتي		١٠,٠٠٠	مجمد بحرا	٧ / ٩ / ١٩٨٧
٩	الصومال		٢,٠٠٠	مجمد بحرا	١٠ / ٩ / ١٩٨٧
١٠	بنجلاديش		٧٠,٠٠٠	مجمد بحرا	١٠ ـ ٢٥/٩/١٩٨٧
١١	موريتانيا		٧,٠٠٠	مجمد بحرا	٩ / ٩ / ١٩٨٧
١٢	السنغال		٧,٠٠٠	مجمد بحرا	١٠ / ٩ / ١٩٨٧
١٣	بوركينا فاسو		٥,٠٠٠	مبرد جوا رحلة واحدة	١٠ / ٩ / ١٩٨٧
١٤	مالي		٥,٠٠٠	رحلة واحدة جوا عن طريق داكار	١٢ / ٩ / ١٩٨٧
١٥	النيجر		٥,٠٠٠	رحلة واحدة جوا عن طريق داكار	١٣ / ٩ / ١٩٨٧
١٦	غامبيا		٥,٠٠٠	رحلة واحدة جوا	١٦ / ٩ / ١٩٨٧
١٧	غينيا بيساو		٣,٠٠٠	رحلة واحدة جوا	١٩ / ٩ / ١٩٨٧
١٨	غينيا كوناكري		٣,٠٠٠	رحلة واحدة جوا	٢٢ / ٩ / ١٩٨٧
١٩	سيراليون		٣,٠٠٠	رحلة واحدة جوا	٢٥ / ٩ / ١٩٨٧

رأس. وقد بلغت تكلفة المسالخ المخصصة لذلك ٢٦٦ مليون ريال.

وأوضح رئيس البنك الاسلامي للتنمية الدكتور أحمد محمد علي ان مشروع المملكة للافادة من لحوم الهدى والاضاحي نفذ ٤٧٨,٩٩٤ وكالة من حجاج بيت الله الحرام لجميع انواع الذبائح من (هدية) و(تمتع) و(قِران) و(فدية) و(صدقة)... بزيادة ٣٧٪ عن موسم حج العام الماضي - (١٤٠٦هـ).

ومن الجدير بالذكر ان هذا المشروع بدأ عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) بحوالي ٦٣,٠٠٠ رأس.

وفيما يلي بيان بكميات اللحوم التي شحنت والمعدة للشحن الى خارج المملكة العربية السعودية (برؤوس الأغنام).

العلم	عدد الحجاج	العام	عدد الحجاج	العام	عدد الحجاج	العام	عدد الحجاج	العام	عدد الحجاج
١٣٤٥هـ	٩٠٦٦٢	٥١	٢٠١٨١	٥٧	٥٩٥٧٧	٦٣	٣٧٨٥٧	٦٩	١٠٧٦٥٢
٤٦	٩٦٢١٢	٥٢	٢٥٢٩١	٥٨	٣٢١٥٢	٦٤	٤٦٢٥٦	٧٠	١٠٠٥٧٨
٤٧	٩٠٧٦٤	٥٣	٣٣٨٩٨	٥٩	٩٠٢٢٤	٦٥	٦١٢٧٦	٧١	١٤٨٥١٥
٤٨	٨١٦٦٦	٥٤	٣٣٨٣٠	١٣٦٠هـ	٢٣٨٦٣	٦٦	٥٥٢٤٤	٧٢	١٤٩٨٤١
٤٩	٣٩٠٤٥	٥٥	٤٩٥١٧	٦١	٢٤٧٤٣	٦٧	٧٥٦١٤	٧٣	١٦٤٠٧٢
٥٠	٢٩٠٦٥	٥٦	٧٦٢٢٤	٦٢	٦٢٥٩٠	٦٨	٩٩٠٦٩	٧٤	٢٣٢٩٧١

العلم	عدد الحجاج	العام	عدد الحجاج	العلم	عدد الحجاج	الـعـام	عدد الحجاج
١٣٧٥هـ	٢٢٠٧٢٢	٨٢	١٩٩٠٣٨	١٣٩٠هـ	٩٧٤٣١٢٧٠	٧٦٧٣٩٣١٩	٢١٥٥٧٥
٨٣	٢٦٦٥٥٥	٩١	٤٧٩٣٩٩	٩٨	٧٧٨٣٠٢٣٦	٢٠٩١٩٧ ٨٤	٢٨٣٣١٩
٩٢	٦٤٥١٨٢	٩٩	٨٦٢٥٢٠	٧٨	٢٠٧١٧١ ٨٥	٩٣٢٩٤١١٨	٦٠٧٧٥٥
١٤٠٠هـ	٨١٢٨٩٢	٧٩	٢٥٣٣٦٩	٨٦	٩٤٣١٦٢٢٦	١٤٠١٩١٨٧٧٧هـ	٨٧٩٣٦٨
٨٠	٢٥٨٩٤٨	٨٧	٣١٨٥٠٧	٩٥	١٤٠٢٨٩٤٥٧٣هـ	٨١٨٥٣٠٠٠	٢١٦٤٥٥
٨٨	٣٧٤٧٨٢	٩٦	٧١٩٠٤٠	١٤٠٣هـ	١٠٠٣٩١١	٨٩	٤٠٦٢٩٥
				١٤٠٤هـ	٩١٩٦٧١		

من خلال هذه الارقام والاحصائيات الدقيقة، والمعلومات المفصلة التي تبين السياسة السعودية المتبعة لتأمين فريضة الحج يمكن استقراء ضخامة الجهود التنظيمية المبذولة في هذا الشأن والخاصة بكل جوانب الحياة والمستلزمات التي تتطلبها الفريضة المقدسة من اعاشة يومية، وموصلات هاتفية الى تنظيم النظافة ودورات المياه والاضاحي، ووسائل النقل والرعاية الصحية وغيرها وغيرها العديد من المهمات والمسؤوليات الضرورية الاخرى التي يتطلبها هذا العدد الهائل من الحجيج الذي يأتي سنويا الى المملكة.

وتوضيحا لجوانب اخرى اكثر دقة تتعلق بالحرمين الشريفين وملحقاتهما ومستلزمات رعايتهما ينبغي الكلام حول موضوعين دقيقين قد يبدوان للناظر اليهما بشكل عابر ومن الخارج محض مسائل بسيطة يتم تنظيمها بسهولة او بدون شروط ومواصفات موغلة في دقتها. هذان الموضوعان هما كسوة الكعبة المشرفة، اي الغطاء الحريري الذي تبرقع به. ثم بئر زمزم وما يحتله من قدسية داخل التاريخ الاسلامي وعند جميع المسلمين في العالم وكيفية رعاية هذا البئر والمحافظة على نقاء مائه وتوفر الأدامة العمرانية له وغير ذلك من متطلبات. فان الحديث عن هذين الموضوعين يبين مرة اخرى وبشكل اكثر تفصيلا المستوى المتقدم للسياسة السعودية في تأمينها لفريضة الحج.

١- كسوة الكعبة المشرفة وغطائها الحريري:

تلقى كسوة الكعبة المشرفة، إهتماما خاصا من خادم الحرمين الشريفين في الاراضي المقدية وذلك بتخصيص مصنع لكسوة يراعى فيها المواصفات الفنية. من الملاحظ ان الكسوة تكون من الحرير الطبيعي الخالص المصبوغ باللون الأسود، كما تتم الطباعة عليها بطريقة يدوية، نظرا لاتساع الرقعة المطبوعة. كما تعمل الأيدي دون ملل في تنفيذ تحفة فنية رائعة تتجلى فيها الدقة في التنفيذ.

مصنع لكسوة الكعبة

لما كان جلالة المغفور له الملك عبد العزيز مهتماً برعاية الحرمين الشريفين امر

جلالته في مستهل شهر محرم سنة ١٢٤٦ هـ بانشاء دار خاصة لعمل كسوة الكعبة المعظمة وتم توفير كل ما يحتاج اليه العمل وافتتح مصنع كسوة الكعبة في منتصف العام نفسه وتم أنتاج اول كسوة للكعبة المشرفة في ام القرى ليصبح هذا الشرف العظيم للمملكة العربية السعودية واستمر المصنع حتى عام ١٣٥٧ هـ، ينتج ثوب الكعبة المشرفة.

ورغبة في اتقان هذا العمل واظهاره بالصورة التي تتلاءم مع قدسية الكعبة المشرفة صدر امر الملك فيصل في عام ١٣٨٢ هـ بتجديد مصنع الكسوة وفي عام ١٣٩٧ هـ، تم افتتاح المبنى الجديد بأم الجود وزود بماكينات تحضيرات النسيج الآلية واحدث قسم النسيج الآلي مع الابقاء على اسلوب الانتاج اليدوي لما له من قيمة فنية عالية وما زال المصنع يواكب عجلة التطور ويحيي التراث العريق في آن واحد لينتج كسوة البيت في أبهى صورها.

المواصفات الفنية

تنسج الكسوة من الحرير الطبيعي الخالص المصبوغ باللون الاسود وقد نقش عليه بطريقة الجاكار عبارات «لا اله الا الله محمد رسول الله ـ الله جل جلاله.. سبحان الله وبحمده.. سبحان الله العظيم».. ويبلغ ارتفاع الثور ١٤ مترا ويوجد في الثلث الأعلى من هذا الارتفاع حزام الكسوة بعرض ٩٥ سم كتب عليه آيات قرآنية مختلفة بالخط الثلث المركب محاطة باطار من الزخارف الاسلامية ويطرز الحزام بتطريز بارز مغطى بسلك فضي مطلي بالذهب.. ويحيط الحزام بالكسوة كلها ويبلغ طوله ٤٧ متراً ويتألف من ١٦ قطعة... كما يوجد تحت الحزام على الاركان سورة الاخلاص مكتوبة داخل دائرة محاطة بشكل مربع من الزخارف الاسلامية.. وعلى الارتفاع نفسه وتحت الحزام ايضا توجد ٦ آيات من القرآن مكتوب كل منها داخل اطار منفصل وفي الفواصل بينها يوجد شكل قنديل كتب عليه «يا حي يا قيوم» أو «يا رحمن يا رحيم» او «الحمدلله رب العالمين».

وكل ما تحت الحزام مكتوب بالخط الثلث المركب ومطرز تطريزاً بارزاً ومغطى

بأسلاك الفضة المطلية بالذهب وقد احدث وضع هذه القطع في العهد السعودي اما ستارة باب الكعبة ويطلق عليها البرقع فمصنوعة من نفس القماش الحرير الأسود نفسه وارتفاعها سبعة امتار ونصف متر وعرضها اربعة امتار مكتوب عليها آيات قرآنية وزخارف اسلامية كلها مطرزة تطريزاً بارزاً مغطى بأسلاك الفضة المطلية بالذهب وسيرد ذكر ذلك تفصيلا فيما بعد.

وتبطن الكسوة كلها بقماش خام متين بما في ذلك الستارة وتتكون من خمس قطع اربع منها تغطي كل واحدة وجها من وجوه الكعبة والخامسة هي الستارة التي توضع على الباب ويتم تجميع هذه القطع على الكعبة نفسها بعد خلع الثوب القديم.

مراحل صناعة الكسوة ـ التصميم.

ان التصميمات الفنية والخطوط المكتوبة على الكسوة ليست ثابتة بل ينالها شيء من التغير من وقت الى آخر بغية الحصول على ما هو افضل... يقوم المصمم بعمل دراسات للزخارف والخطوط في الفن الاسـلامي ويسجل افكـاره في استكشات سريعة يلي ذلك وضع تصميمات مدروسة ترسم رسما دقيقا في المساحة المطلوبة ويتم تلوينها وتحبيرها تمهيداً للتنفيذ... وتشمل التصميمات تصميم الـزخارف والخطوط المطرزة على الحزام والستارة وتصميم الزخارف النسجية المنفذة على اقمشة الجاكار للكسوة الخارجية او الداخلية وتعد رسوم تنفيذية على ورق مربعات خاص بذلك يتم ترجمتها الى ثقوب على ورق كرتون. خاص يركب فيما بعـد على ماكينة الجاكار حيث تحدث الثقوب حركة الخيـوط الى اسفل والى اعـلى مشكلة الزخارف المصممة نفسها.

اما التصميمات التي سيتم تطريزها على قماش الكسوة فهي تنتهي الى قسم الطباعة.

مرحلة الطباعة

في قسم الطباعة يتم اولا تجهيز المناسج والمنسج عبارة عن اربعة اضلاع يثبت عليها قماش خام ويشد عليه قماش اسود سادة غير منقوش من قماش الكسوة

ويقسم الى تقسيمات مختلفة حسب التصميم المطلوب طباعته بعلامات ضبط... وتتم الطباعة باحبار تعد بالقسم من خلال ما يسمى بالشيلونات او الشاشة الحريرية وهذه الشيلونات يتطلب اعدادها جهدا فنيا يضيق المجال عن وصفه الا انه يمكن القول انها تشبه قوالب الطباعة لدى الكثيرين. ولعل مما يجدر ذكره ان الطباعة هنا لا يمكن ان تتم الا بطريقة يدوية نظرا لاتساع الرقعة المطلوبة... وتعرف طباعة المنسوجات ذات الابعاد الكبيرة بطباعة «البصمة» وهي نمط فريد يتطلب دقة وحذقا.

وقد كانت التصميمات المنفذة بالتطريز تنقل الى الاقمشة سابقا بطريقة تسمى «الترب» وهي طريقة بدائية متبعة من قديم... وقد احدثت ادارة المصنع قسم الطباعة ضمن الجهود المستمرة لتطوير الانتاج فأصبحت التصميمات الآن واضحة ودقيقة وثابتة بالنسبة للمطرز... وهكذا تكون المناسج المطبوعة جاهزة لمرحلة التطريز.

مرحلة الصباغة

هي أولى مراحل انتاج القماش بالمصنع حيث ترد الخيوط الحريرية بلونها الطبيعي فيتم صبغها في قسم الصباغة باللون المطلوب وهو الاسود بالنسبة للكسوة الخارجية للكعبة والاخضر للكسوة الداخلية والأحمر الداكن بالنسبة لكسوة الغرفة النبوية الشريفة... كما تصبغ الخيوط القطنية المستخدمة كحشو او كتطريز مبدي باللون الاصفر الذهبي.

توزن الخيوط ويجهز لها كميات تتناسب مع وزنها مع الصبغة والكيماويات ومواد التبييض وتغمر اولا في احواض من الماء الساخن المضافة اليه بعض الكيماويات لازالة الاصماغ او الشوائب العالقة بها ثم تنقل من حوض الى آخر عدة مرات حتى تتم عملية الغسيل والتبييض في النهاية تنقل الى حوض الصباغة وبه الصبغة: باللون المطلوب وعديد من الكيماويات المساعدة والمثبتة للون ضد ضوء الشمس والمطر والاحتكاك وتعصر في النهاية وتجفف لتخرج الخيوط مصبوغة ثابتة متجانسة... وقد اشاد مندوبون شركات تصنيع الصبغات بالنتيجة الرائعة لعملية

الصباغة لخيوط نسيج كسوة الكعبة التي تمكث عاما كاملا معرضة للاشعة القوية للشمس بمكة المكرمة والامطار ولاحتكاك أيدي الطائفين والمتعلقين باستار الكعبة.

عالميا ويتهافت الكثيرون على اقتنائه مهما تطور النسيج المنتج آليا وفي مصنع الكسوة يتكاتف قسم النسيج اليدوي الذي ينتج الثوب الخارجي للكعبة مع قسم الثوب الداخلي في انتاج اقمشة الجاكار.

عمل دائم دقيق وصبر يفوق الوصف والنتيجة نسيج فني رائع يسبح مع الطائفين حول الكعبة المشرفة ان لا إله الا الله محمد رسول الله... هكذا خط عليه.

كما يتم ايضا داخل قسمي النسيج اليدوي انتاج النسيج السادة الذي سيطبع ويتم التطريز عليه فيما بعد.. كما يوجد نول لانتاج اقمشة البطانة ويطلق عليه قماش القلع.

النسيج الأولي

على قدر آخر من الخيوط المصبوغة والمجهزة للنسيج تتلاحم على الأنوال الآلية الحديثة فيتم انتاج اقمشة الجاكار والاقمشة السادة فقد كان من الطبيعي مع زيادة الكميات المطلوبة من الاقمشة ان تتجه انظار المسؤولين عن المصنع الى انوال النسيج الآلي ويستطيع الشباب السعودي تشغيل احدث معدات النسيج الآلية ليواكب مصنع الكسوة حركة التقدم العلمي والتكنولوجي العالية ويتضاعف الانتاج وتحمل الايدي السعودية العاملة الشابة على عاتقها مسؤولية تطوير صناعة النسيج في المملكة.. فمنذ القديم يحمل عراقة واصالة الماضي الى انتاج معاصر يمثل باكورة الانتاج لصناعة النسيج المتطور.

مرحلة التطريز

بعد انتاج الاقمشة وبعد ان تمت طباعة النسيج السادة منها كما اوضحنا سابقا نأتي الى اهم ما يميز ثوب الكعبة المشرفة وهو التطريز وتتم عملية التطريز الفريدة اولا بوضع خيوط قطنية بكثافات مختلفة فوق الخطوط والزخارف المطبوعة على الاقمشة المشدودة على النسيج بحيث تشكل بروزا عن مستوى سطح القماش

ثم يطرز فوقها بخيوط متراصة من القطن الاصفر في اتجاهات متقابلة وبدقة بالغة ليتكون الهيكل الاساسي البارز للتصميم.. ثم يغطي هذا التطريز بأسلاك من الفضة المطلية بالذهب.. فيتكون في النهاية تطريز بارز مذهب يصل ارتفاعه فوق مستوى سطح القماش الى ٢ سم وهو الامر الذي يستحيل تنفيذه بأي ماكينة على الاطلاق.. وتعمل الايدي دون ملل أو تعب في تنفيذ تحفة فنية رائعة يتجلى فيها روعة الاتقان ودقة التنفيذ.

ويتم اخيراً تجميع الاقمشة الجاكار بعضها الى جانب بعض مع المحافظة على التصميم الموجود عليها في مجموعات بحيث تشكل كل مجموعة جانبا من جوانب الكسوة كما تثبت على كل جانب الآيات المطرزة على الارتفاعات المحددة لها ثم يبطن كل جانب بأقمشة القلع القوية فتزيد من متانتها وقوة تحملها.. وهذا ما ينطبق ايضا على ستارة باب الكعبة فيتم تجميع خمس قطع مطرزة تشكل التصميم الموضوع بعضها بجانب بعض في اتجاه رأسي وتبطن ايضا وبذا تكون كسوة الكعبة جاهزة لتركيبها على الكعبة المشرفة في التاسع من شهر ذي الحجة من كل عام يوم يقف الحجاج بعرفات حتى اذا افاضوا وقاموا بطواف الافاضة حول البيت ظهرت الكعبة في حلتها الجديدة اللائقة.

يتبادر الى الذهن سؤال كثيراً ما يوجه الى المسؤولين والقائمين على العمل في مصنع الكسوة.. هل يقوم المصنع بانتاج كسوة الكعبة فقط طول العام؟

ربما جهل الكثيرون ان مصنع الكسوة يقوم بانتاج الكسوة الداخلية للكعبة وكسوة الحجرة النبوية الشريفة كما يتم انتاج اعداداً كبيرة من قطع الهدايا المطرزة على الطراز نفسه الموجود على كسوة الكعبة تهدى الى كبار الزوار للمملكة والشخصيات ذات الشأن تعبيراً عن روابط الاخوة بين ابناء العالم الاسلامي.

٢ - بئر زمزم ومائه والتنظيم الحديث لشبكاته:

هذا البئر القديم الذي شكل مصدراً لسقاية الحجيج منذ قرون عديدة سبقت حتى ظهور الدين الاسلامي الحنيف في الجزيرة العربية قد حظي بتطوير كبير خلال العصر الحديث وابتداء من بدايات هذا القرن ولاسيما بعد تأسيس المملكة

العربية السعودية على يد الملك عبد العزيز آل سعود ولحد الآن حيث تمت تحديثات ضخمة لهذا البئر بحيث لم يعد ذلك البئر التقليدي الذي تتحدد طاقته بسقاية عدد محدود من الحجاج وليس الملايين منهم كما يحصل الآن.

وقد نشرت وكالة الانباء السعودية تقريراً ممتازا وتفصيلياً* عن بئر زمـزم ومائه حيث اشار التقرير الى ان شبكة التوزيع تمتد الى اكثر من تسعة آلاف متر طولي والانابيب التي تمر فيها المياه من الصلب الذي لا يصـدأ. كما تستخـدم الاشعة البنفسجية للتعقيم وهي عبارة عن لمبات خاصة تمر من عليها المياه فلا يتغير طعمها ولا لونها ولا تركيبها. كما يقدم ماء زمزم مبردا عن طريق عبـوات وبرادات كهربائية.

يحرص حجاج بيت الله الحرام والمعتنمون وزوار بيت الله الحرام على الشرب من ماء زمزم والتضلع منه وذلك اتباعا لسنة الرسول ﷺ

وقد وردت عدة احاديث نبوية شريفة تبين اهمية هذا الماء وصفاته حيث قال الرسول الكريم: «خير ماء على وجه الارض ماء زمزم».

وقد اهتم المسلمون منذ عهد الرسول ﷺ بماء زمزم وحرص الخلفاء والامراء وقادة المسلمين على عمارة زمزم وتجهيزه ليسهل على زوار البيت الشرب منه.

وكان لحكومة المملكة منذ عهد الملك عبد العزيز جهوداً موفقة في هذا المجال تنطلق من جهودها في خدمة الحرمين الشريفين.

وتقع زمزم جنوب مقام ابراهيم وعلى بعد ثمانية عشر متراً شرق ركن الحجر الاسود ويرجع تاريخ زمزم الى زمن اسماعيل عليه السلام فعندما اسكن ابراهيم عليه السلام هاجر ووليدها اسماعيل عند البيت وظمىء اسماعيل طلبت هاجر الماء فلم تجده فجاء جبريل عليه السلام وغمز الارض بعقبة فنبع الماء على وجه الارض وادارت السيدة هاجر عليه حوضا خيفة ان يفوتها الماء قبل ان تملأ سنتها.

وقد قال رسول الله ﷺ «رحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم يعنى لم تحو الماء لكانت عينا معينا».

قبيلة جرهم

وسكنت قبيلة جرهم مكة بعد ان سمحت لهم السيدة هاجر بأن يشاركوها وابنها الشرب من زمزم فمكثت جرهم تشرب من ماء زمزم ما شاء الله ان تمكث فلما استخفت بالحرم وتهاونت بحرمة البيت ـ نضب ماء زمزم وانقطع فلم يزل موضعه يدرس ويتقادم وتمر عليه السيول عصرا بعد عصر حتى خفي مكانه وتقادم على ذلك الزمان حتى بوأه الله سبحانه وتعالى لعبد المطلب بن هاشم جد رسول الله ﷺ فخصه به من بين قريش.

ويتميز ماء زمزم بوفرته على الرغم من كثرة زوار بيت الله الحرام الذين يشربون من مائه حيث بلغ متوسط المستهلك من مائه في اليوم السابع من شهر ذي الحجة خلال السنوات الخمس الماضية عشرة آلاف متر مكعب يوميا ومعدل الضخ في الساعة الواحدة ٧٦٥ متراً مكعبا.

وكان ماء زمزم قد قل في القرون الماضية عدة مرات سجلها المؤرخون سنة ٢٢٣ و ٢٢٤ هـ حتى كادت تجف فتم زيادة عمقها تسعة اذرع في الارض ثم جاء الله بالامطار والسيول سنة ٢٢٥ هـ فكثر ماؤها كما زيد عمقها في خلافة هارون الرشيد وفي خلافة المهدي وفي عهود اخرى بعدهم.

وفي ١٤ ربيع الثاني عام ١٣٠٠ هـ سجل عمق الماء في البئر ٦ ـ ١٥ متراً وكانت تجري في ذلك اعمال التوسعة السعودية الثانية للمطاف وما تبعها من اعمال حفر حول بئر زمزم وصدرت الاوامر الملكية السامية الى الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين بضرورة العمل على حماية بئر زمزم من اي تسربات ناتجة عن اعمال الحفر.

وقد تحقق في العهد السعودي اهم اعمال زمزم وكان هذا الاهتمام نابعا من الاهتمام بالحرمين الشريفين.

وقد تم تحديد معالم البئر لأول مرة في التاريخ في عهد الملك خالد بن عبد العزيز وتم تنظيف قاع البئر من المخلفات التي تجمعت بداخله منذ اكثر من الف عام وبلغ ارتفاعها عشرة امتار من قاع البئر وبلغ وزنها حوالي عشرة اطنان.

اصبح عمق الماء في البئر ٢٥,٦ متراً وينخفض منسوبه عن سطح فوهة البئر بين ٣,٨ مترات و ٤,٥ مترات في الوقت الحاضر وان كانت قد رصدت بعض قراءات عام ١٤٠٢/ ١٤٠٣/ ١٤٠٤ هـ تسجل انخفاضا عن هذا المستوى.

اما الانخفاض في منسوب الماء نتيجة لأعمال الضخ من البئر فذلك غير ملموس فالمياه تتدفق من ثلاث فتحات على عمق حوالي ١٤ م من فوهة البئر واكثرها تدفقا الفتحة بالجانب الغربي للبئر في اتجاه الكعبة المشرفة عرضها حوالي من ٣٠ الى ٧٠ سم وارتفاعها ٣٠ سم وتمتد عمقها داخل الصخر لمسافة لم يتم قياس الا مترين منها وتعذر القياس بعد ذلك وفتحة اخرى في الجانب الجنوبي الغربي في اتجاه جبل ابي قبيس وهي اصغر قطاعا من الأولى ثم فتحات صغيرة على دائرة البئر باتجاه ابي قبيس والصفا والمروة وعلى مناسيب مختلفة وتتدفق منها المياه بكميات متفاوتة ولم تتأثر نقاوة مياه زمزم وقد ذكر من شاهدوا دخول سيل عام ١٣٨٨ هـ الى الحرم ووصوله الى باب الكعبة المشرفة ان مياه زمزم كانت تتدفق من البئر الى الخارج ولم تختلط بأي مياه تأثرت بها منطقة الحرم ومنذ ان جرى تطبيق نظام اخذ عينات من المياه وتحليلها لم يسجل في اي وقت من الاوقات أية شائبة تنقص من قدر نقاء العينة المأخوذة مباشرة من البئر او تقلل من صلاحيتها بكل المعايير المعمول بها في هذا المجال ورغم ذلك يجري الفحص والاختيار للعينات بصفة دورية.

كان من نتائج تضافر جهود الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين والادارة البحرية لميناء جدة الاسلامي ومشروع توسعة الحرم ومصلحة المياه والمجاري بالمنطقة الغربية ومركز ابحاث الحج ان اخذت العديد من البيانات والقياسات للتعرف على كل معالم البئر الطاهرة والتي امكن تسجيلها سواء بالتصوير او الرسم الهندسي لما تم قياسه ولأول مرة امكن وضع رسم هندسي لماء زمزم.

ولبئر زمزم حوضان في الزمان الاول حوض بينها وبين الركن يشرب منه الماء وحوض وراءها جهة الصفاء.

اصلاحات

وقد تعرض بيت زمزم لعدد كبير من التحسينات والاصلاحات حيث تم كسوة ارضيته بالرخام في عهد ابي جعفر المنصور ١٣٧ هـ وعمل له قبة وشبكا ثم جدد المهدي عمارة زمزم.

وفي عام ٢٢٠ هـ كانت زمزم مكشوفة الاقبة أعلى البئر فقام المعتصم بالله العباسي بسقف بيت زمزم بالساج المذهب من الداخل.

وفي اوائل القرن التاسع الهجري عمرت مؤلة المؤذنين فوق زمزم وكانت من خشب ثم بنيت بالحجر عام ٨٢٢ كما جرى تجديد بيت زمزم وكذلك في عام ١٠٧٢ هـ وقد جرت عدة ترميمات وتجديدات واعمال اقتضتها حوادث السقوط في البئر بين تلك الاعوام.

فوضعت شبكة من الحديد داخل البئر منخفضة عن سطحه عام ١٠٢٠ وعملت شبكة حديد فوق الدرابزين الحديد عام ١٣٢٢ هـ.

وانتهى امر بيت زمزم الى حجرة مربعة الشكل حوالي ٨,٢٦ امتار في ٨,٢٥ امتار يجاورها حجرة صغيرة للاغوات وبجوارها الدرج الذي يعلو بيت زمزم ثم عملت مظلة يستظل تحتها الناس عام ١٣٧٤ هـ.,

وعند تنفيذ مشروع التوسعة السعودية الأولى للمطاف عام ١٣٧٧ هـ وضع تصميم فريد لعمارة بيت زمزم روعي في ازالة يضيق على الطائفين من بقاء بيت زمزم اعلى الارض وكذلك سهولة رؤية البئر وعملت مناهل بعدد كاف لكل من الرجال والنساء وعمل تصريف للمعدوم من المياه فأزيل بيت زمزم من صحن المطاف واقيمت بناية اخرى مكانها تحت الارض بحيث صار سقفها مساويا لأرض المطاف وبحيث اصبحت سقاية الناس من بئر زمزم افضل مما كان.

ومع التوسعة الاولى للمطاف هدم البناء الذي فوق بئر زمزم وخفضت الارض حول البئر وقدرا يسيرا من فوهة البئر وجعل جدار ساند من الخرسانة المسلحة وكسى بالرخام بنصف قطر ٤,٩٠ امتار يحد الجانب الغربي للبئر جهة الكعبة

المشرفة ويحده من الجوانب الاخرى بنفس القطر حاجز نصف دائري من قوائم معدنية والواح شفافة من مادة البولسترين يسمح برؤية البئر ويقاوم الضغط اثناء الزحام وظهر من فوهة البئر على هذا المنسوب الجديد للارضية ارتفاع ١,٢٠ متر كسى بالرخام وكذلك فرشت الارضية بالرخام.

وعلى الجانب الشرقي من البئر وعلى نفس المنسوب اسفل المطاف ايضا انشىء بدروم بمسطح ١٤٥٠ مترا مربعا اضيء بمصابيح متوهجة تعطى ضوءا غير مباشر يريح العين عند الانتقال من المطاف الى منطقة زمزم الأم وقسمت هذه المساحة بجدار فاصل الى قسمين وضع في احداها ٢٤٠ وحدة رخـامية مـزودة بصنبور وحوض من الاستينلس ستيل ووضع في القسم الآخر ١٠٠ وحدات وخصص هذا العدد لسقيا النساء فبلغ بذلك المجموع ٢٥٠ وحدة للسقيا تخدم ما يقارب من نصف مليون شخص في اليوم الواحد.

ووضع الدرج المؤدي الى منطقة زمزم الأم في نهاية صحن المطاف وفي ركنه الجنوبي الشرقي جهة الصفا وحهو بعرض ٤٠ متراً وعدد ٢٤ درجة وقد فرشت ارضية زمزم الأم برخام جعل سطحه خشنا بعض الشيء تحسبا لـوجود ميـاه بالارضية رغم عمل تصريف وميول طبقا لاحداث الاساليب الهندسية.

وموضع بئر زمزم يظهر على ارضية المطاف الرخامية على شكل دائرة برخام اسود مكتوب في وسطها برخام اسود ايضا «زمزم» هذه الدائرة على شكل غطاء يرفع عند الحاجة لاجراء الصيانة لمعدات ضخ المياه من البئر.

اما السقيا فقد مرت بمراحل حيث كان الماء في عهد العباس رضي الله عنه ينزع من البئر ويوضع في الاحواض وفي عصر الخليفـة المهدي العبـاسي تمت السقيا بواسطة ملبن ساج مربع مركب على البئر فيه اثنتا عشرة بكرة يستقي عليها ثم تطورت الطريقة حيث تم وضع الماء في خزانات مكشوفة لها صنابير يصب منها في أواني الشرب بجانب قيـام الزمـازمة بتـوزيع الميـاه في اروقة الحـرم وخارجـه باستخدام القرب ثم الدوارق الفخارية.

وشهدت عملية استخراج الماء من البئر مرحلة جديدة باستخـدام المضخات

الغاطسة وذلك عام ١٣٨٣ هـ الا ان بداية توزيع ماء زمزم بشكله الحالي بدأ به مع مشروع توسعة المسجد الحرام حيث ضخ الماء من البئر الى خزان بسطح الحرم جهة باب السلام ثم تم توزيع المياه من الخزان عبر ماسورة قطر ٢ بوصة تغذي ١٥٥ صنبورا بغرف الزمازمة و٣٩ صنبورا بمنطقة زمزم الام ومجموعة ذلك ١٩٤ صنبورا نحاسيا مركبة على ارتفاع نصف متر من الارض. وفي عام ١٣٩٩ هـ وضعت التصميمات لتجديد منطقة بدروم زمزم ضمن اعمال مشروع توسعة المطاف وتصريف المياه بالحرم. وبدأ في تنفيذ المشروع عام ١٣٩٨ هـ.

وعقب تطهير بئر زمزم وتنظيفه في ١٣٩٩/٧/٣٠ هـ رؤي ايقاف استخدام الدوارق الفخارية داخل الحرم في اعمال السقيا وتم وضع نظام توزيع عبارة عن مجمعات للمياه في اماكن متفرقة بأروقة الحرم تتصل هذه المجمعات ببرادات كهربائية بالاضافة الى وضع عدد من الثلاجات الحافظة للبرودة سعة اربعين لترا في اماكن على دائرة المطاف وفي اماكن متفرقة بادوار التوسعة السعودية للحرم بالاضافة الى انشاء سبل ببدروم الحرم للجوالين.

ارقى مستوى

ومع الزيادة المطردة لرواد بيت الله الحرام وزيادة الطلب على مياه زمزم واكتمال التوسعة الثانية للمطاف وما تبع ذلك من اعمال وصلت اعمال السقيا الى ارقى واكمل مستوى لها في عهد الملك فهد بن عبد العزيز. ذلك انه ما من طالب لمياه زمزم الا وجدها مبردة قريبة من موقعه في اي مكان بالحرم أو خارجه حتى اصبح استهلاك العشرة ايام الاخيرة من شهر رمضان عام ١٤٠٦ هـ (٤٧٠) مترا مكعبا في الساعة واستهلاك النصف الاول من شهر ذي الحجة فيما عدا ليلة التروية حيث وصل الى ٧٦٥ مترا مكعبا/ ساعة.

ويتم توزيع مياه زمزم عن طريق منطقة البئر التي تعرف باسم زمزم الام وتحتوي على وحدات رخامية مزودة كل وحدة بصنبور كروم وحوض من الصلب غير قابل للصدأ بها ٢٤٠ وحدة في قسم الرجال و ١١٠ وحدات في قسم النساء. والمياه فيها مبردة والمنطقة مكيفة جميعها كما يتم التوزيع عن طريق مجمعات زمزم

بالطابق الارضي والأول البدروم لمباني الحرم وهي على المحيط لجدران الحرم من الداخل في سبعة مواقع بالبدروم وثمانية مواقع بالطابق الارضي وتسعة مواقع بالطابق الأول وهي مزودة بوحدات رخامية والمياه فيها مبردة ومجموع وحداتها ٣٩٤ وحدة منها ٩٦ وحدة في الجهة الجنوبية وبكل طابق منها ٣٢ وحدة وفي الجهة الغربية من الحرم ١٤٤ وحدة ومثلها في الجانب الشمالي للحرم وعشر وحدات بالطابق الاول جهة المسعى.

ومجمعات «الترامس» الثلاجات بأروقة الحرم (المبنى القديم) عددها ثلاثة عشر مجمعا في كل مجمع حوالي خمس وعشرين ثلاجة لحفظ المياه المبردة سعة اربعين لترا.

ومجمعات الترامس على المحيط الخارجي لصحن المطاف وهي احد عشر مجمعا وترامس باروقة الحرم والمسعى عددها ثلاثة آلاف ترمس في الايام العادية تزداد الى خمسة آلاف ايام المواسم سعة الواحد منها اربعين لترا.

ويتم توزيع مياه زمزم ايضا عن طريق مجمعات زمزم بالمسعى خارج ابواب قريش والمحصب ومنى وعرفة وفي كل مجمع خمسة عشر صنبورا وقد استحدثت هذه المجمعات لاستخدامها ايام الحج وكذلك سبل زمزم لملء الجوالين خارج الحرم ويعمل منها حاليا مجمعان بكل واحد خمسة وعشرين صنبورا لمجمع الاول في الساحة شرق الحرم وفي مواجهة باب علي رضي الله عنه والمجمع الثاني عند معطف الطريق امام باب الشبيكة في الجهة الغربية للحرم.

وسبيل الملك عبد العزيز بالهجلة وهو من اهم مناهل زمزم لتعبئة الناقلات من السيارات الصغيرة والكبيرة الى جانب ما يحويه من صنابير لتعبئة الجوالين.

واماكن تعبئة السيارات يوجد لها موقعان الأول خاص بشؤون الحرمين الشريفين لنقل ماء زمزم الى المسجد النبوي الشريف حيث ينقل منه اربعين طنا يوميا تزاد ايام المواسم.

والثاني في نهاية انفاق قلعة اجياد في مواجهة باب الملك وقد بدأ تشغيله في اواخر شهر رمضان ١٤٠٦ هـ.

وعن تجهيزات سقيا زمزم فقد امتدت شبكة سحب المياه من بئر زمزم عبر نفق خدمة اسفل صحن المطاف ومباني الحرم الى الساحة الشمالية ومنها الى الخزان اعلى باب الفتح ومبنى المعدات الذي يحتوي على جميع معدات تبريد مياه زمزم وتكييف هواء بدروم زمزم وقد تكلف انشاؤه، اكثر من ٦٠ مليون ريال وبدأ العمل في تشغيله موسم حج عام ١٤٠٣ هـ وتبدأ عملية السقيا باستقبال ماء زمزم من البئر خلال نفق الخدمة وتنقل المياه في انابيب من الصلب الذي لا يصدأ حيث تخزن في خزانين سعة كل منها ستون مترا مكعبا ويوجد ببدروم المبنى ثلاثة مبادلات حرارية لامداد بدروم زمزم ومناهل زمزم بالحرم بالمياه المبردة كما توجد مجموعة مضخات وخزان ضغط وضاغط هواء لضخ المياه المبردة وتوصيلها الى اماكن التوزيع بالحرم.

وفق هذه العناية الشاملة بالحرمين الشريفين وبالمرافق الخاصة بالحج تتجسد سياسة المملكة العربية السعودية لتأمين هذه الفريضة المقدسة.

نظرة حول النفقات الاقتصادية السعودية المخصصة للحرمين الشريفين ولخدمة الحجيج:

ان عملية الحج تكلف سنويا المملكة مبالغ طائلة، وان هذه المبالغ في حالة تصاعد طردي كبير بسبب الزيادة المطردة للحجيج في كل عام، وعلاوة على هذه التكلفة الاقتصادية الضخمة فهنالك ـ كما ذكرنا سابقا وبتفصيل ـ عملية التنظيم والحماية الامنية وغيرها من مستلزمات قامت المملكة بسببها بتحديد نسب الحجيج بنسبة معينة تتلائم مع عدد سكان الدولة الاسلامية القادمين منها لاجل ادارة الفريضة بأعلى مستوى من التنظيم.

ففيما عدا التكلفة الاقتصادية التي تتطلبها عملية الحج والخدمات المقدمة الى الحجيج، كلفت التحسينات التي ادخلتها حكومة المملكة على المرمين الشريفين مليارات الدولارات، ويمكن بهذا الصدد مراجعة الجدول الموجود في نهاية هذا

الفصل، وبعد اكمال هذه التحسينات والتوسعات العمرانية سوف تتمكن الاماكن المقدسة من خدمة اكثر من ثلاثة ملايين حاج كل سنة.

اما خدمة الحجيج وما تتطلبها الفريضة من مرافق متشعبة ومواصلات وطعام وشراب فان المملكة تنفق سنويا على ذلك اكثر من ٥٣ مليار ريال سعودي اي ما يعادل ١٤,٢ مليار دولار اميركي حسب تقديرات الاعوام الاخيرة ومنها عام ١٩٨٩*.

فان هنالك اسطول بري يبلغ تعداده سبعة آلاف باص تقريبا مخصص لنقل الحجيج بين الاماكن المقدسة في المملكة وهنالك انفاق مضاءة باشعة الشمس ومواقف سيارات ومبان وطرق مخصصة لفصل الحج فقط وتظل بدون استعمال طوال السنة اي طيلة ١١ شهراً من كل عام ولكن وجودها حتى بدون استخدام يتطلب صيانة مستمرة لها ونفقات مالية ضخمة، الى ان يبدأ شهر الحج من العام القادم... وهكذا.

كما ان المملكة توفر للحجيج في هذا الموسم كل ما يحتاجونه من بضائع ومأكولات ومتطلبات استهلاكية اخريدون ان يكون للحكومة السعودية اي مردود اقتصادي من ذلك، بل الذي يستفيد هي الشركات الخاصة. فالبقالات تمتليء بالمواد الغذائية ومواد الشرب (غير الكمولي بالطبع). وتجار الاجهزة الالكترونية والكهربائية الخاصين يوفرون التلفزيونات الملونة والمسجلات لهذا الغرض وكذلك بقية الاجهزة الكهربائية التي يعود بها الحجاج الى بلدانهم. وتقوم عدة بنوك بفتح فروع مؤقتة لها لخدمة الحجيج وكل ذلك تحت رعاية وتنظيم دقيقين من قبل حكومة المملكة يكلفانها من النفقات مليارات من الدولارات.

اما التكاليف التي تطلبتها مشاريع تحسين وتوسيع الحرمين الشريفين والاماكن المقدسة التي تشتمل المرافق والطرق والانفاق والمرافق الاخرى المتعلقة

بها فان تكاليفها الضخمة يوضحها الجدول التالي محسوبا بالريال السعودي:

العدد	اسم المشروع	التكاليف الكلية[٩]
١	تكاليف توسعة الحرم الملكي والمسجد النبوي الشريف بما في ذلك تكاليف شراء الأراضي اللازمة للتوسعة.	٥ ٨٩٤ ٩٩٨ ٠٠٠ ر.س
٢	تكاليف مشاريع هيئة تطوير مشروع منى ووزارة الحج وأمانة العاصمة المقدسة لاقامة انفاق وطرق ونزع ملكية وخزانات مياه وانشاء مسالخ آلية.	١١ ٦١٩ ٣٦٥ ٠٠٠ ر.س.
٣	مشاريع (أمانة المدينة المنورة) وتشمل اعمال تحسين وتجميل الطرق المحيطة بالمسجد النبوي او التي تؤدي اليه.	٢ ٤٠٦ ٦٩٨ ٠٠٠ ر.س.
٤	مشاريع الطرق الرئيسية لمناطق الحج في مكة المكرمة وطرق المدينة المنورة التي اقامتها وزارة المواصلات.	٩ ٠٨٥ ٣٠٢ ٠٠٠ ر.س.
	المجموع... (تسعة وعشرون بليون وستة ملايين وثمانمائة وثلاثة وستين ألف ريال سعودي).	٢٩ ٠٠٦ ٣٦٣ ٠٠٠ ر.س.

ان هذه النفقات هي جزء من كل ضخم تتحمله ميزانية المملكة العربية السعودية من غير ان تربح لقائه اي مردود عدا مرضاة الله سبحان وعالى وكالتزام منها بالواجب الاسلامي الذي تحتمه عليها مكانتها ومسؤوليتها تجاه المسلمين في كل بقاع العالم. وان هذه النفقات تقع في السياق العام للسياسة السعودية التي تتوخى تأمين وصيانة عملية الحج ورعاية الحجيج المسلمين.

مراجع الفصل الرابع:

١ ـ محمد وجدي قنديل: (اسرار المؤامرة، ما حدث في الحرم المكي وما وراءه؟)، مجلة آخر ساعة، العدد ٢٧٥٤، ص. ٥.

٢ ـ نعتمد في ايراد هذه الاحصائيات والارقام والمعلومات على كل من:

١ ـ الملف الخاص عن الحج بالارقام والتواريخ: مجلة التجارة والصناعة المجلد ٢٤ العدد الاول، ايلول (سبتمبر) ١٩٨٧.

٢ ـ مجلة Arabia عدد تشرين الاول ١٩٨٦.

Arabia . Octobre 1986.

٣ ـ مجلة: Moyen-Orient d'Election, N° 418, du 27-Juillet 1987.

ـ «ماء زمزم خير ماء على وجه الأرض»، جريدة «القبس» الكويتية، العدد ٦١٤٣، الجمعة ١٢ حزيران (يونيو) ١٩٨٩.

ـ «ثلاثة وخمسون مليار ريال سعودي لخدمة الحجيج»، الفاينننشال تايمز البريطانية، عن جريدة «الوطن» الكويتية، العدد ٤٨٢٥، الأربعاء ٢٧ تموز (يوليو) ١٩٨٨.

* القبس العدد ٦١٤٧، الثلاثاء ٢٠ حزيران / يونيو ١٩٨٩.

* القبس عدد ٦١٤٣ الجمعة ١٢ يونيو (حزيران) ١٩٨٩.

- CHARLES-ANDRE Gilis: «La Doctrin Intiatique du Pélerinage à la maison d'ALLAH» Les Edition de l'ŒUVRE.. P aris 1982.

— Gande froy - Demombynes: «Le Pélerinage à la MEKKE Etude d'Histoire Riligieu-se» Ed, Librairie Orientaliste Paul Genthner, Paris 1931.

- Hamza Kaidi: «La Mekke et médine aujord'hui» les édition J. A, Paris 2ème édition 1983.

د. فايز ابراهيم الحبيب، د. محمد عبد الرحمن، «أثر التوزيع المكاني للصناعات في المملكة العربية السعودية على الفوارق الاقليمية: دراسة تحليلية لوضع الصناعة في المملكة العربية السعودية»، مجلة دراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، العدد الثامن والخمسون، السنة الخامسة عشرة، شهر شعبان ١٤٠٩ هـ، نيسان (افريل) ١٩٨٩، الصفحات ١٤٥ ـ ١٦٧.

- Stacey International : Jeddah, Old and New», Ed Statcey International. S.D.

- Said SALAH : «Panorama Saudi Arabia» , Ed Systeco, Beirut , 1975.

- Nacir Ed-Dine Dinet et Sliman Ben Ibrahim: «Le Pelerinage a la maison Sacrée d'AL-LAH» éd Librairie Hachette, Paris 1930.

السيادة الأقليمية على الأماكن المقدسة في ظل القانون الدولي

١ - مقدمة نظرية حول القانون الدولي:
بقلم الدكتور حسني عبد القادر

٢ - حقوق السيادة السعودية على الأراضي المقدسة:
بقلم الدكتور مفيد شهاب

استاذ ورئيس قسم القانون الدولي في كلية الحقوق بجامعة القاهرة

١ ـ مقدمة نظرية حول القانون الدولي:

١) ـ تعريف القانون الدولي:

هو مجموعة القواعد التي تنظم العلاقات بين الدول التي تدعي لنفسها السيادة ولا تعترف بأي سلطة أعلى منها.

ويختلف القانون الدولي عن القانون الداخلي. فالاشخاص التابعون للقانون الداخلي يخضعون الى سلطة تضع القانون وتفرض احترامه، في حين ان الدول وهي أشخاص القانون الدولي، تصدر معاً، وبعد الاتفاق فيما بينها، الأنظمة التي تعبر عن مصلحتها المشتركة فالقانون الدولي اذاً، قانون تنسيق وأعراف ومعاهدات يهدف الى تحبيذ التعاون بين الدول ونشر السلم ونبذ الحرب والخلاف. ولما كانت هذه الدول لا تخضع لأي سلطة تعلو عليها فان اتصالها فيما بينها يتم وفقاً لارادتها، وتبقى كل واحدة منها صاحبة السيادة في تقدير مدى حقوقها داخل حدودها الجغرافية.

وقد هاجم انصار السلم فكرة السيادة، بحجة ان السيادات المنطلقة من عقالها تؤدي الى الحروب. وبالرغم من البعد المنطقي لهذه الحجة فان فكرة السيادة فكرة تاريخية ومن العسير، بل من المستحيل تغيير التاريخ بمجموعة من الحجج. وعلى أثر الحربين العالميتين ظهرت بعض المنظمات الدولية وفي مقدمتها عصبة الأمم.

وكان الهدف من ايجاد تلك المنظمات هو الانتقال من مرحلة دولية صرفة مبنية على التنسيق الارادي للسياسات الحكومية الى نظام مختلف يمتلك حق التشريع، والمحاكمة، والتنفيذ، بمعنى آخر، موافقة الدول على الوحدة المبنية على انشاء سلطة تعلو على سلطتها.

ولكن المنظمات الدولية، لا تعكس هذا المخطط الا نظريا ومن بعيد، لأنها تستمد وجودها من الدول نفسها. وهذه الدول حريصة على الاحتفاظ بأكبر قسط من السيادة ولا تتنازل الا عن أجزاء يسيرة منها الى المنظمة التي احدثت بدافع من الظروف وهكذا، بقيت سيادة الدولة سيادة مطلقة.

٢) ـ تاريخ العلاقات الدولية:

يعتبر هوغو دوكروت (١٥٨٣ ـ ١٦٤٦) مؤسس القانون الدولي الحديث. وبالرغم من دفاعه عن مبدأ حرية البحار، المبني على مبدأ حرية المواصلات والتجارة فانه في كتابه (قانون الحرب والسلم) ميز بين الحق الطبيعي والحق الارادي: فالأول يضع قواعد سامية يجب على الدول احترامها بحيث ان رعايا أية دولة يستطيعوا ان يستمدوا من نظام أية دولة أجنبية غير عادل حق مقاومة الاضطهاد والتدخل. والحق الارادي يؤلف القانون الوضعي المنبثق عن المعاهدات والاعراف. ويرى هوغودوكروت ان الدولة مستقلة فعلاً ولكنها لا تستطيع ان تبقى منعزلة اذ تحول دون ذلك طبيعة الانسان الاجتماعية التي تحاول تأكيد وحدة عالم يسوده وينسق شؤونه الحق الطبيعي.

وقبل عام ١٩١٤ كانت العلاقات الدولية تستمد وجودها من قانون ناشيء عن الأواصر الموجودة بين الأطراف، ثم ظهر مبدآن مستمدان من التجارب لتأمين نوع من الاستقرار وهما مبدأ التوازن الذي يهدف الى تجنب النتائج الخطيرة لتعديل ميزان القوى الذي قد ينشأ عنه محاولة دولة التوسع على حساب دولة اخرى يهدف الحصول على ما يعوّض الخلل في التوازن. والمبدأ الثاني هو مبدأ عدم

التدخل، اذ لا يجوز لأية دولة ان تتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى. وهذه القاعدة مستمدة من مبدأ سيادة الدولة.

ومبدأ سيادة الدولة مبدأ سام، تبذل الدول جهوداً وتضحيات من أجل المحافظة عليه. والأمثلة على ذلك كثيرة.

فبعدما اثبتت الحرب العالمية الأولى، بامتدادها الى جميع انحاء المعمورة ضرورة تنظيم العالم تنظيماً جديداً ترأس الرئيس ويلسون الحملة من أجل هيمنة القانون الدولي. واقترح على الدول عقد اجتماع أصبح فيما بعد ميثاق عصبة الأمم. ولما رفض مجلس الشيوخ الأميركي التوقيع على معاهدة فرساي، أدى ذلك الى احراج مستقبل هذه المنظمة. ثم فقدت هذه المنظمة فعاليتها وذلك لأن الحكام لم يقتنعوا بضرورة التخلي عن جزء من اختصاصاتهم لصالح منظمة دولية. ورفضوا بالتالي اشادة سلطة على الدول.

ثم قامت الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية بانشاء منظمة عالمية جديدة تحمل اسم الأمم المتحدة. وقد فشلت هذه المنظمة في ايجاد حكومة عالمية وذلك للسببين التاليين:

- احتفظت الدول الخمس الكبرى (مجلس الأمن) لنفسها بالسيادة المطلقة في حين طالبت الجمعية العامة التي تضم جميع الدول الأعضاء التخلي عن جزء من سيادتها وذلك بمنحها نفوذ أدنى داخل المنظمة.
- الدول الكبرى التي جمعتها الحرب، فرّق السلم شملها.

يتضح مما سبق انه لا يوجد في المجال الدولي الشاسع أية سلطة تعلو على سلطة الدول، والأجهزة الحكومية هي أجهزة النظام الدولي تحتفظ كل منها بسيادتها المطلقة وتعمل لمصلحتها أولاً ولمصلحة مجموعة الأسر الدولية ثانياً. وأن المنظمة الدولية تهدف الى تهيئة اللقاءات بين الدول المتعادية ومحاولة نشر السلم دون ان تكون لها سلطة عليا.

٣) ـ عناصر الدولة :

تأتي الدول في مقدمة أشخاص القانون الدولي، وتتألف الدولة من ثلاثة عناصر، السكان والأقليم والحكومة.

أ ـ السكان: ليس السكان دائماً من عرق واحد، فثمة دول ذات أمم متعددة كالاتحاد السوفياتي. والأفراد مرتبطون بدولتهم برابطة الولاء وهي الجنسية المعرّفة بالرابطة الحقوقية المبنية على تضامن المصالح والعواطف.

ب ـ الأقليم: ليس من المقبول قيام دولة يكون سكانها من البدو الرحل، اذ لا بد لهم من الاستقرار في مكان ما. وفي الواقع فأن قاعدة الاقليمية تنمي الشعور القومي. وقد ثار الجدل قبل الآن حول الطبيعة الحقوقية للأقليم واتفق اليوم على انه الاطار الذي تمارس فيه الدولة اختصاصاتها الكاملة، وتكون فيه سيدة الأمر والنهي، وينطبق هذا المفهوم على المجال البري ومحتوياته، ولا ينطبق على المجالين البحري والجوي الا ضمن حدود معينة.

١ ـ الأقليم البرّي: هو أراضي الدولة، يتبع في الغالب خطوطاً جغرافية طبيعية، وأحياناً تحددها المعاهدات المعقودة بين الأطراف المعنية. فالحدود تفصل بين السيادات المتنافسة ولكنها في الوقت نفسه نقطة اتصال الشعوب والحضارات. ورغم ان قوة أية دولة لا تتوقف على مدى مساحة أراضيها فأن الأقليم ما زال موضع نزاع قائم ودقيق. ولا يحق لأية دولة ان تدخل الى أقليم دولة اخرى دون اذن مسبق، كما لا يحق لها ان تتدخل في الشؤون الداخلية أو محاولة السيطرة على محتويات اقليم تلك الدولة، أو اثارة الشعب تحت طائلة اتهامها بالعدوان.

٢ ـ المجال البحري: فانه يعتبر امتداداً للأقليم البري، ولكن البحر سبيل العلاقات الدولية ويجب ان يبقى استعماله مشتركاً بين الشعوب. ويقسم البحر الى ثلاثة أقسام:

أولاً: أعالي البحار: مجال حر، بمعنى ان الملاحة والصيد فيه مباحان لجميع الشعوب حتى لو لم تكن ساحلية.

ثانياً: المياه الاقليمية: ان مبدأ حرية أعالي البحار يناول المياه الأقليمية لأن الدول

الأجنبية تتمتع فيها بحق الملاحة، بمعنى ان جميع السفن، بما فيها الحربية، تمتلك فيها حق المرور البريء (المادة ١٥ من اتفاقية جنيف لعام ١٩٥٨). ويعتبر المرور بريئاً اذا كان لا يمس النظام العام أو أمن الدولة الساحلية. ولا يسمح بوقوف السفن أو رسوها الا اذا اقتضتها ظروف الملاحة العادية أو فرضتها على السفينة ظروف قاهرة فنية أو التعرض للخطر.

ثالثاً: المرافيء والأحواض الداخلية: تعد من مرافق املاك الدولة العامة وتطبق عليها قاعدة السيادة بشكل كامل.

٣ ـ **المجال الجوي**: يمتد مبدئياً الى المنطقة الجوية التي تعلو اقليم الدولة، الأمر الذي يقتضي موافقة الدولة لتحليق الطائرات فيه. ومع نمو المواصلات، فقد أصبح تحليق الطائرات المدنية في المجال حراً، وخاضعاً للموافقة المسبقة بالنسبة للطائرات العسكرية.

نلاحظ مما سبق ان المجالين الجوي والبحري يعتبران ضمن حدود معينة، ملكاً لجميع الدول ويخضعان لعدد كبير من الاتفاقات والمعاهدات الدولية، في حين ان الأقليم البرّي غير قابل للنقاش، وتعتبر سيادة الدولة فيه سيادة مطلقة، وتعتبر محتوياته من املاك الدولة العامة.

ج ـ **الحكومة**: ان الحكومة هي الكيان الرئيسي الذي يؤمن المهام الرئيسية من تشريع وادارة دفة الحكم، وممارسة القضاء. فهي اذا تمارس اختصاصاتها في الداخل ـ بنظر باقي المجتمع الدولي ـ وتمارس أيضاً اختصاصاتها في الخارج بواسطة العلاقات الدولية.

٤) ـ سلطة الدولة سلطة عليا:

ان ما يميز السلطة هو ان كلمتها في جميع المجالات تعد الكلمة الأخيرة، وهذا ما يطلق عليه اسم السيادة، ففي المجتمع المبعثر لا تتيح السيادة اقامة دولة بمستوى اعلى من الدول الأخرى، أو منح صفة للسيادة العالمية. ومعنى ذلك ان الدولة لا تستطيع ـ لدى تسوية عدة قضايا تقدر مصيرها ـ ان تسمح بأن تفرض عليها سلطة خارجية تعلو عليها. وليس بوسع أية منظمة دولية أو أية دولة أخرى ان

تدعي لنفسها بمثل هذا الحق. ان أولوية سلطة الدولة في العلاقات تنحصر بمساواتها جميعاً في حق حرية التصرف. فهذه السلطة هي اذا سلطة عليا، اذ لا شيء يجعلها تخضع للغير.

وتمتزج فكرة السيادة بفكرة الاستقلال ذي القيمة المقدسة، وهي تعرب قبل كل شيء عن حرية حكام الدولة الذين يتصرفون دون ان يتلقوا اوامر من دولة اخرى. والاستقلال لا ينطوي على معنى الرفض، اذ من مظاهره ان تعترض الدولة على ارادة الغير. وهو من الناحية السياسية قوة عظيمة لأن من قوامه الوطنية. ويحتوي الاستقلال على ثلاثة عناصر:

١ ـ اكتمال الاختصاصات غير المحدودة، بحيث ان الدولة تستطيع ان تعالج جميع القضايا الاجتماعية، وتمنح نفسها النظام السياسي الذي تختاره.

٢ ـ الاستقلال أي رفض الخضوع لأي تأثير خارجي.

٣ ـ انحصار جميع السلطات بالدولة داخل حدودها. فالأقليم هو المجال الفعلي لانحصار سلطة الدولة.

٥) ـ سلطة الدولة، سلطة عفوية:

ان نشوء الدولة ونموها مرتبطان بواقع الأمر، اذ لا تستطيع أية دولة ان تطالب بالاعتراف بها الا اذا اثبتت وجودها فعلياً. فالوجود في المجال الدولي يسبق أي اعتبار آخر اذا لا يستطيع أحد أن ينكره اذا حدث. فمهما كانت ادعاءات الحكومات، فانها تصطدم بالحقيقة الايجابية وهي ظهور سلطة جديدة سواءاً طاب لها أم لم يطب.

٦) ـ العرف والمبادىء العامة للقانون:

ان موافقة الدولة تبدو ماثلة في تعريف كل من هذين المصدرين. فالعرف هو (الحجة الناشئة عن تعامل معترف بصفتها القانونية)، كما ان المباديء العامة للقانون (معترف بها من قبل الأمم المتحدة). فاعتراف الدول يؤكد بذلك صحة نوع من التعامل كقاعدة قانونية.

أ) ـ يتضمن العرف باستمرار عنصراً مادياً يتجلى في تتابع سلسلة من الأحداث

الايجابية أو السلبية، وعنصراً معنوياً ينطوي على قبوله من قبل الدول كقانون إلزامي. ان تكرار العرف أمر ضروري، لأنه ينمو كما يثبت. والذين يكونون العرف في المجال الدولي هم حكام الدول، أي الأجهزة التي تدرك انها تلزم الدولة بتصرفها، فالعرف إذن اتفاقية ضمنية، ان التعامل المتكرر يتخذ صفة القانون الوضعي بمجرد الاعتراف به. والمادة ٣٨ من نظام محكمة العدل الدولية ترى في العرف دليل قبول تعامل يتمتع بحكم القانون.

ان مدى نفوذ العرف يتوقف على القوى الاجتماعية التي تؤيده، اذ ان معارضة دولة عظمى أو مجموعة من الدول تستطيع تقليص اتساعه الاقليمي، وهذا يفسر وجود اعراف اقليمية الى جانب الاعراف العالمية.

ب) ـ لقد ادمجت المباديء العامة للقانون في صلب نظام محكمة العدل الدولية حرصاً من المسؤولين على ممارسة مهام حيوية تشجع على نمو العلاقات، ان العرف الدولي يلعب دوراً حيوياً في بعض المجالات الواقعية: كقانون البحار، والمسؤولية، والعلاقات الدولية أما المباديء فقد تكون قواعد ذات صفة أعم وهي في الغالب قواعد دولية: كمساواة الدول ومبدأ حسن النية، ومبدأ حسن الجوار، وواجب اصلاح الاضرار الناشئة عن تصرفات غير مشروعة واحترام العهد المؤيد بالقسم... الخ.

٧) ـ الاتفاقات الدولية :

الاتفاقات هي المظهر الرسمي لالتقاء ارادات الدول، ويسودها الحرص على صيانة حرية الأطراف المتعاقدة في الأعراب عن ارادتها. لهذا، فان الاجراءات المتعلقة بعقد الاتفاقات هي اجراءات معقدة لكي يتسنى للدولة ان تتجنب ما يفاجيء ارادتها. وتتكوّن وفود المفاوضين من دبلوماسيين وخبراء مزودين من قبل حكوماتهم بتعليمات صارمة. وهؤلاء يقومون بالتوقيع بالأحرف الأولى، ولا تعتبر المعاهدة سارية المفعول الا بعد ابرامها والتوقيع عليها من قبل السلطة صاحبة الاختصاص في عقد المعاهدات التي تعد الملاذ الأمين لارادة الدولة (يتم هذا الاجراء في المعاهدات ذات الأهمية). ولا تعتبر المعاهدة قانونية اذا تعارضت مع قاعدة من قواعد القانون الدولي العام الالزامية.

٢ ـ حقوق السيادة السعودية على الأراضي المقدسة بالمملكة

تملك المملكة العربية السعودية حقوق السيادة على أراضيها، وتتمتع بحق مباشرة مظاهر هذه السيادة على كل من يتواجد على الأقليم من أشخاص وطنيين وأجانب، وكذلك بالنسبة لكل ما يوجد به من أماكن وثروات. ويترتب على ذلك ان يكون للمملكة دون غيرها حق وضع النظم والتشريعات التي تكفل تنظيم العلاقات داخلها وخروجهم منها، فضلاً عن حقها في تنظيم علاقاتها الخارجية في مواجهة الدول الأخرى ومع رعايا تلك الدول.

ونظراً لوجود الأماكن المقدسة الاسلامية داخل أراضي المملكة وأهمها الكعبة المشرفة في مكة المكرمة والمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، وقيام المملكة سنوياً باستقبال عدد كبير من الحجيج لاداء مناسك الحج، وكذلك اعداد اخرى غفيرة في مواقيت متفرقة من العام لاداء العمرة والزيارة، فانها تقع تحت وطأة اعداد خدمات خاصة في وقت محدد مع ضرورة اعداد تنظيم جيد يكفل رعاية هؤلاء الحجيج والمعتمرين والزائرين من ناحية، وصيانة أمنهم وتيسير اقامتهم من ناحية اخرى. ويقع تقدير امكانات الرعاية والأمن وتيسير الاقامة على السلطات المحلية. ومن الطبيعي انه لا يمكن أداء هذه الخدمات بكفاءة اذا زادت اعداد الحجاج عن الطاقة الاستيعابية للأماكن المقدسة ذاتها وطاقة أماكن الاعاشة ووسائل النقل والظروف الصحية وغيرها من الاعتبارات المرتبطة.

وفي ضوء هذه الاعتبارات يكون للمملكة العربية السعودية تحديد اعداد الحجيج الذين تستطيع ان تستقبلهم في كل موسم على ضوء ما يتوافر لهم من ظروف معيشية وأمنية مناسبة اثناء أداء المناسك، بما يوفر راحتهم وأمنهم ويعينهم على أداء الفريضة وهي تتمتع بهذا الحق إعمالاً لما تملكه من حقوق

السيادة على أراضيها وفقاً لأحكام قواعد القانون الدولي العام.

أما عن الزعم بتـدويل الأمـاكن المقدسـة الاسلاميـة الموجـودة في الأراضي السعودية، فانما يمثل في الحقيقة ادعاء غير قانوني من جانب، ومطلباً غير واقعي من جانب آخر، ذلك انه يتنافى وحقوق سيادة المملكة على أراضيها، فضلاً عن انه يهدد تهديداً خطيراً الأمن والسلام والحماية والرعاية التي تحققت لهذه الأاماكن وزائريه على مدى التاريخ الطويل، بل وستظل الحاجة الى تنظيم شؤون الحـج والعمرة والزيارة من حيث الاعاشة والنظام قائمة، حتى في ظل فكرة التدويل.

وعليه يتعين عدم المساس بالأوضاع القائمة المستندة الى الأحكام القانونيـة السليمة. ويكون من المفيد الاستمرار فيما جرى عليه العمل في السنوات الأخيرة من قيام الحكومة السعودية بالتنسيق بينها وبين غيرها من الدول الاسلامية، وعلى الأخص من خلال منظمة المؤتمر الاسلامي بتحديد اعداد الحجاج الذين توفدهم كل دولة، وللتعاون في انجاح مواسم الحج بمـا يتفق صالـح الحجيج انفسهم، ويحافظ على سيادة الدولة المضيفة، ويمكنها من اداء التزاماتها ورسالتها التي شرفها الله بها.

واذا كان ذلك هو حكم القانون وما يحتمه الأمر الواقع، فلعله من المناسب ان نلقى مزيداً من الضوء على الحقائق القانونية من خلال تفصيل النقـاط الأربعة التالية:

أولاً: السيادة الاقليمية كمبدأ أساسي من مبادىء القانون الدولي:

تعتبر سيادة أي دولة على أراضيها مبدأ أساسياً من مبادىء القانون الدولي، بل ان هذا المبدأ يمثل، في واقع الأمر، حجر الزاوية لكافة قواعد القانون الدولي. ويجري تنظيم العلاقات الدولية على اساس مبدأ السيادة: فالمجتمع الدولي يقوم على اساس احترام سيادة كل دولة على اراضيها، ويقوم كذلك على اساس احترام سيادة كل دولة في تنظيم علاقاتها مع العالم الخارجي.

وتعد السيادة عنصراً أساسياً من عناصر قيام أي دولة بحيث لا يمكن ان تقوم دولة بدونها. وبمعنى آخر فهي العنصر المميز للدولة عن غيرها من الوحدات السياسية، فلا يكفي توافر عنصري الشعب والأقليم لقيام الدولة، بل يجب ان يخضع الشعب الذي يقيم في اقليم معين، على سبيل الاستقرار، لسيطرة هيئة حاكمة ذات سيادة. وطبقاً لذلك تعني السيادة كعنصر من عناصر الدولة ان يوجد الى جانب الاقليم والسكان سلطة لا تعلوها سلطة اخرى، تستأثر بمباشرة جميع الاختصاصات داخل هذا الاقليم، وتتصرف في الخارج على قدم المساواة مع غيرها من السيادات المماثلة.

ويؤدي تمتع الدولة بالسيادة ان يكون لسلطاتها حق مباشرة اختصاصاتها التشريعية والتنفيذية والقضائية داخل اقليمها، وهذا هو الجانب الايجابي لمبدأ السيادة. اما الجانب السلبي فيعني عدم جواز فرض أي سلطة على الدولة من الخارج، ذلك ان الدول جميعها متساوية في السيادة.

وقد أقر ميثاق الأمم المتحدة مبدأ المساواة في السيادة، فتنص المادة (٢/١) على انه «تقوم الهيئة على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع اعضائها». كما تنص المادة (٧٨) من الميثاق ذاته على ان «...العلاقات بين اعضاء هذه الهيئة يجب ان تقوم على احترام مبدأ المساواة في السيادة». وقد تأكد هذا المبدأ الأساسي بالنص عليه في مختلف مواثيق المنظمات الدولية، ومن الأمثلة ذات الدلالة، في هذا الصدد، ما جاء بالمادة الثانية من ميثاق منظمة المؤتمر الاسلامي التي تقرر ان «تقوم المنظمة على احترام سيادة واستقلال ووحدة أراضي كل دولة من الدول الأعضاء». ويتفق مبدأ المساواة في السيادة التي تقوم عليه منظمة المؤتمر الاسلامي مع أصول الشريعة الاسلامية الغراء ذاتها التي تحفظ على الناس حريتهم وكرامتهم.

وقد أكد القضاء الدولي في مناسبات عديدة على مبدأ سيادة الدول. فعلى سبيل المثال، قضت المحكمة الدائمة للعدل الدولي، في حكمها الصادر في ٧ سبتمبر ١٩٢٧ في قضية «اللوتس»، بأن: «القانون الدولي يحكم العلاقات بين الدول المستقلة، والقواعد القانونية التي تلزم الدول هي تلك القواعد التي توافق عليها هذه الدول

بمحض ارادتها وحريتها، وتعبر عن كامل ارادتها في الالتزام بها بواسطة المواثيق والعرف الدولي الذي يمكن أساسه في التعايش السلمي بين المجتمعات الدولية وبغرض تحقيق الأهداف المشتركة، ولذلك لا يمكن افتراض وجود قيود على استقلال الدول». وفي قضية «مضيق كورفو»، بين كل من بريطانيا والبانيا، قضت محكمة العدل الدولية، في ١٩ ابريل ١٩٤٩، بأن «احترام السيادة الاقليمية للدول المستقلة يعتبر من المسائل الجوهرية والأسس التي تقوم عليها العلاقات الدولية».

وللسيادة مظهران، مظهر داخلي يتعلق بحقوق الدولة بالنسبة لشعبها والمقيمين على اراضيها، ومظهر خارجي خاص بحقوقها في علاقاتها مع باقي الدول:

فسيادة الدولة الداخلية تعني حرية تنظيم الحكومة والمرافق العامة، والقيام بمهمتي التشريع والقضاء، ومباشرة السلطات على كل ما يوجد على اقليمها من أشخاص وأموال.

أما السيادة الخارجية فتعني استقلال الدولة في تنظيم علاقاتها بباقي الدول والهيئات الدولية. ويترتب على ذلك ان القواعد المنظمة للعلاقات الدولية لا يمكن ان تفرض على الدولة، بل على العكس، لا تنشأ هذه القواعد الا برضاها، وفي حدود هذا الرضا، وانه ما من دولة أو هيئة دولية تملك ان تفرض أي قيود على ممارسة الدولة لسيادتها الخارجية الا في حدود ما تكون قد التزمت به من مواثيق ومعاهدات.

ويترتب على ذلك، أيضا، ضرورة الاقرار بحق السيادة لكل دولة من ناحية، واقرار قاعدة المساواة في السيادة بين كافة الدول، من ناحية اخرى.

والسيادة بهذا المعنى لا تعني فوضى العلاقات الدولية، بل هي على العكس، الركيزة التي يقوم عليها القانون الدولي ذاته لتنظيم هذه العلاقات بما يحقق المساواة بين الدول اعضاء المجتمع الدولي، لأن تمتع كل دولة بالسيادة لا يتحقق الا بالاعتراف بمبدأ المساواة في السيادة بين الدول جميعها، بصرف النظر عن التباين بين تلك الدول في تعداد سكانها، أو مساحة أراضيها، أو قدراتها الاقتصادية أو العسكرية.

ثانياً: طبيعة حقوق المملكة العربية السعودية على الأراضي المقدسة:

إعمالاً لمبدأ السيادة تملك المملكة العربية السعودية حقوق مانعة في مباشرة سلطاتها كاملة على اقليمها وعلى ما يشمله من أشخاص وثروات، ولا يجوز لأي جهة أجنبية ان تتدخل في طريقة مباشرتها لتلك السلطات بأي صورة من الصور، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، اذ ان مباشرة الدولة لسيادتها يجب ان تتم طبقاً لرغباتها الذاتية وتعبيراً عن ارادتها الخاصة.

وعلى ذلك، يكون للحكومة السعودية ـ دون غيرها ـ حق تنظيم موسم الحج وزيارة الأماكن المقدسة بأراضيها، في ضوء ما تراه محققاً لراحة الحجيج وسلامتهم والنظام العام في أراضيها، وفي ضوء تقديرها لظروفها الداخلية واستعدادات المرافق العامة في البلاد والأماكن المتاحة لاداء الشعائر واقامة ضيوف الرحمن. ان ذلك كله من اطلاقات حكومة المملكة، وبالتالي فان لهذه الحكومة سلطة تقدير اعداد الحجاج الذين يمكن ان تستوعبهم اماكن الشعائر، والذين يمكن ان تقدم لهم المملكة الخدمات المناسبة في النقل والاعاشة والصحة وغيرها. ولا يجوز لأي جهة خارجية ان تتدخل في السلطة الذاتية في المملكة العربية السعودية بهذا الشأن، طالما ان قواعد القانون الدولي العام تحرم على أية دولة أو هيئة أجنبية ان تتدخل في الشؤون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة من الدول.

وقد أكدت مواثيق وأعمال مختلف المنظمات الدولية على هذا المبدأ الأخير، كما تأكد في تصريحات عدة لمختلف الدول، أكثر من ان تحصى. ففي نطاق هيئة الأمم المتحدة أكدت المادة (٢/٧) من الميثاق على مبدأ عدم التدخل فيما يعتبر من صميم السلطان الداخلي لكل دولة. وجرى العمل في المنظمة على هذه الوتيرة، فقد تضمن مشروع حقوق وواجبات الدول الذي اعدته لجنة القانون الدولي بناء على توصية الجمعية العامة، عام ١٩٥٠، في المادة الثانية، انه: «يجب على كل دولة ان تمتنع عن كل تدخل في الشؤون الداخلية والخارجية لدولة اخرى». وتوالى تأكيد الجمعية العامة لنفس المبدأ في قرارات لاحقة عديدة منها، على سبيل المثال، قرارها رقم

٢٦٢٥ في ٢٤ اكتوبر ١٩٧٠، وقرارها رقم ١٠٣ في ٩ ديسمبر ١٩٨١.

وقد تأكدهذا المبدأ أيضاً في قرارات صادرة عن منظمات دولية أقليمية. ففي عام ١٩٣٣ مثلاً، وافق المؤتمر السابع للدول الأمريكية، بالاجماع، من خلال الاتفاقية التي اضربت في ٢٦ ديسمبر من ذلك العام، على انه: «ليس لأي دول الحق في ان تتدخل في الشؤون الداخلية أو الخارجية لدولة اخرى». وفي اطار التنظيم الدولي الأوروبي ينص المبدأ السادس من اعلان هلسنكي الذي انتهى اليه مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي في اغسطس ١٩٧٥ على ان: «تمتنع الدول الموقعة عن كل تدخل مباشر أو غير مباشر فردياً أو جماعياً في الشؤون الداخلية والخارجية المتعلقة بالاختصاص الوطني لدولة موقعة بغض النظر عن علاقاتها المتبادلة».

وفي اطار منظمة المؤتمر الاسلامي، وهي المنظمة الدولية ذات الصلة الخاصة بالموضوع محل البحث، اعلن مؤتمر وزراء الخارجية، في دورته الاستثنائية بمناسبة الاعتداء السوفييتي على افغانستان في يناير ١٩٨٠ والتي عقدت في اسلام أباد، عدم جواز التدخل في الشؤون الداخلية للدول. ثم اعاد نفس المؤتمر التأكيد على نفس هذا المبدأ، في دورته السادسة العادية في نفس العام. كما ادان المؤتمر التهديد الأمريكي ضد ايران، وأعلن في نفس الدورة السادسة العادية «احترام السيادة والاستقلال السياسي والسلامة الاقليمية لكل الدول، وتأكيد مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول وعدم اللجوء الى استخدام القوة أو التهديد بها في حل النزاعات الدولية وحق كل شعب في أن يقرر بحرية نظامه السياسي والاقتصادي والاجتماعي».

ونظراً لأن مبدأ عام التدخل يعد ركيزة جوهرية في العلاقات الدولية، فقد تضمنته تصريحات المسؤولين الرسميين بكثرة تستعصى على الحصر، ولكننا سوف نكتفي بضرب مثالين لهما دلالة خاصة فيما نحن بصدده، فقد أكدت على هذا المبدأ جمهورية ايران الاسلامية في تصريح صادر عنها في ١٧ يناير ١٩٧٩، أشارت فيه الى عدم جواز التعليق أو التدخل في احداث ظلت ويجب ان تظل مسؤولية الايرانيين انفسهم. وبمناسبة احداث الثورة الايرانية أعلنت الخارجية الأمريكية، في ٢٠

نوفمبر ١٩٧٨، ان الولايات المتحدة لن تتدخل في الشؤون الداخلية لدولة اخرى.

وترتيبا على ما تقدم، فلا يجوز لأي دولة أو هيئة أجنبية ان تتدخل في كيفية مباشرة المملكة العربية السعودية لمسؤولياتهـا في تنظيم مواسم الحـج والعمرة والزيارة، اذ ان اختصاصاتها في هذا الشأن اختصاصات جامعة مانعة، وتتعلق بأمور تدخل في صميم سلطانها الداخلي.

ثالثا: فساد المطالبات الايرانية بتدويل الأماكن المقدسة:

تتردد بعض المطالبات الايرانية بتدويل الأماكن المقدسة الاسلامية الموجودة في المملكة العربية السعودية، وذلك بقصد اخضاع تلك الأماكن لنظام دولي خاص يمارس السيادة بديلاً عن المملكة. وهذه المطالبات ليس لها سند من قواعد القانون الدولي، وليس لها ما يبررها من حيث الواقـع، فضلاً عمـا يمكن ان يؤدي اليه تطبيقها من آثار ضارة خطيرة:

فقد ظهر نظام تدويل بعض المناطق، وعلى الأخص منذ بداية هذا القرن بهدف تسوية بعض النزاعات الدولية بين القوى الكبرى دون احترام لارادة الشعوب التي تسكن تلك المناطق، وفقا لما يحتمه مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها. الأمر الذي أدى الى فشل محاولات التدويل فشلاً تاما، فضـلاً عن ما ادت اليـه من أوضاع غريبة على المجتمع الدولي.

ومن أهم النماذج في هذا الصدد، تدويل مدينـة «دانزيـج» التي تم بموجب معاهدة فرساي عام ١٩١٩، التي يسكنها أغلبية ألمانية، وقد أدى تدويلها الى توتر العلاقات الألمانية البولندية، وانتهى نظامها باحتلال ألمانيا لها عام ١٩٣٩، وكان ذلك بداية الأحداث التي أدت الى نشوب الحرب العالمية الثانية. ومن المدن التي خضعت للتدويل أيضا مدينة «طنجا» المغربية، وكان ذلك نتيجة تضارب المصالح الانجليزية الفرنسية الاسبانية بشأنها منذ عام ١٩٢٣ حيث تقرر تدويلها. وقد انتهى هذا التدويل عام ١٩٥٦، بضمها الى الوطن الأم مراكش (المملكة المغربية)، عقب اعلان استقلال المغرب عام ١٩٥٦. ومن هذه الأمثلة أيضا تدويل مدينـة

«تريسا»، منذ عام ١٩٤٧، عقب هزيمة ايطاليا في الحرب العالمية الثانية، والذي انتهى فعلياً بضم يوغسلافيا للجزء الذي تسكن أغلبيته جالية يوغسلافية منذ عام ١٩٥٤.

ويؤخذ على نظام التدويل ما يلي:

١ ـ انه يعد، بالصور التي تم بها، اهداراً لمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها. اذ ان الحالات التي تم فيها تطبيق هذا النظام قد تمت دون استفتاء لسكان الأقاليم المعنية، ولذلك فشلت كل النماذج فشلاً ذريعاً، بل انها أدت في بعض الأحيان، كحالة تدويل «ذانزيج» الى نشوب حرب عظمى.

٢ ـ انه لا يقوم على اعتبارات قانونية، ولا يستند الى قواعد القانون الدولي ولا تحكمه معايير ثابتة، بل انه يتناقض أصلاً مع مبدأ السيادة.

٣ ـ انه يهدف ـ عادة ـ الى حل النزاعات بين بعض الدول الكبرى المنتصرة، وبذلك فان الهدف منه هو، في الحقيقة، تحقيق اغراض سياسية على حساب الحقوق القانونية الاقليمية لبعض الدول أصحاب السيادة على الأماكن التي يجري تدويلها.

وفي ضوء ما تقدم، لا يكون هناك أي مجال للمطالبة بتدويل الأماكن المقدسة في المملكة العربية السعودية، لأنه لا يوجد نزاع بشأن السيادة عليها. ثم ان هذه المطالبات تعتبر تدخلاً في الشؤون الداخلية للمملكة، بما يهدد سلامة وأمن أراضيها، وبالمخالفة للمبادىء المستقرة في القانون الدولي. هذا فضلاً عن ما نتج من حالات التدويل من فشل تام، على النحو السابق بيانه.

رابعاً: دور المملكة في تنظيم الدخول الى الأماكن المقدسة ومسؤولياتها تجاه الحجاج والمعتمرين والزائرين:

تتمتع المملكة العربية السعودية بحق تنظيم الوصول الى الأماكن المقدسة الكائنة بأراضيها. وهي وان كانت حرة ـ كقاعدة عامة ـ في السماح بدخول أقليمها أو منع الدخول اليه، الا انها في شأن الحج واداء العمر والزيارة تلتزم بالآداب

الاسلامية التي تقضي بحق المسلمين في الوصول الى الأماكن المقدسة، وتلتزم أيضاً طبقاً لقواعد القانون الدولي بحد أدنى لمعاملة زوار الأماكن المقدسة وغيرها، يمكن اجمالها فيما يلي:

١ ـ الحق في الاعتراف لهم بالشخصية القانونية، وما يستتبعه ذلك من الاعتراف بالأهلية القانونية والحق في التصرف.

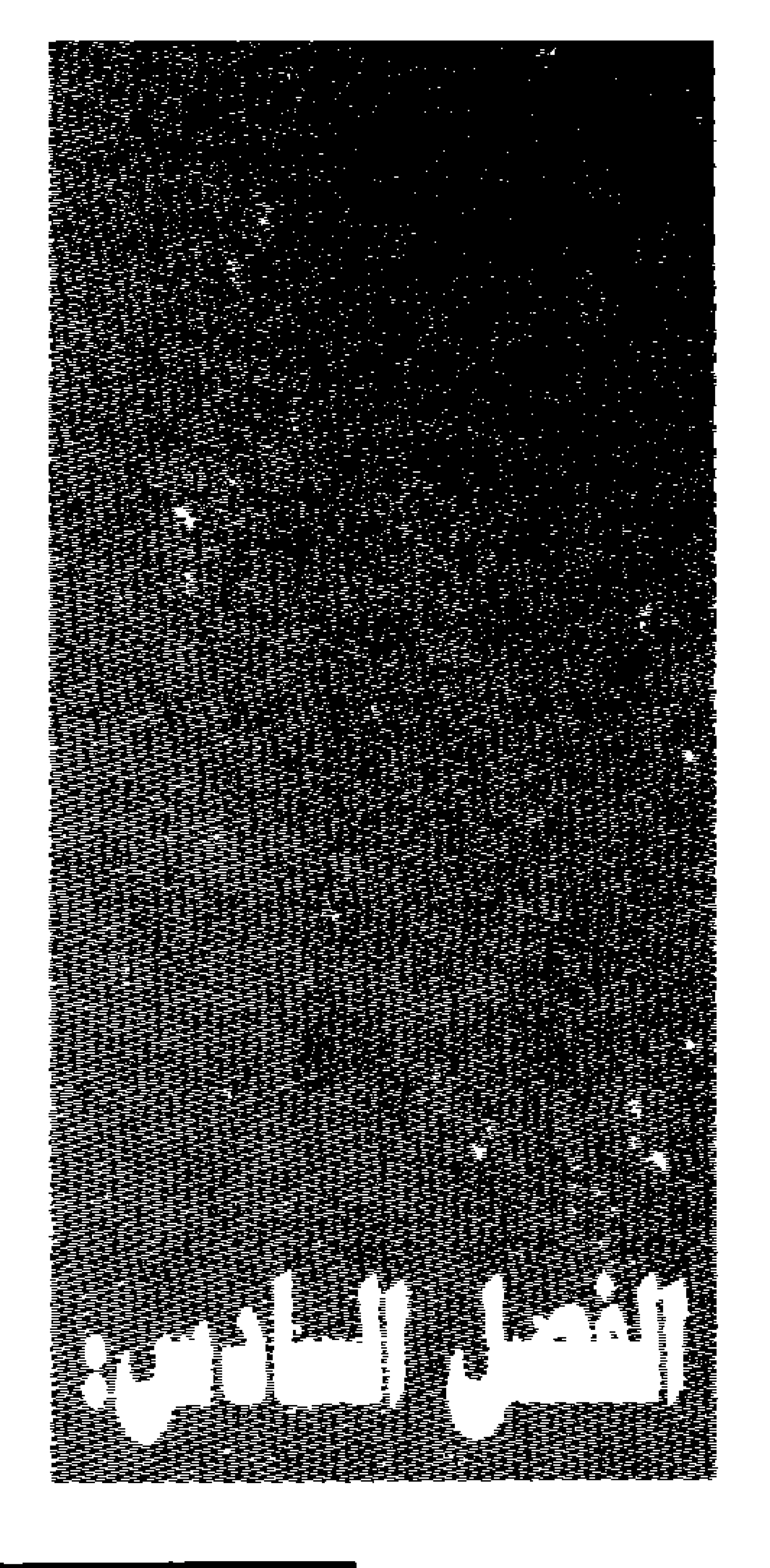
٢ ـ الحق في الاعتراف بحقوقهم المكتسبة التي يكون أحدهم قد اكتسبها في دولته أو في المملكة ذاتها.

٣ ـ الحق في الاعتراف لهم بالحقوق والحريات اللصيقة بالشخصية الانسانية، مثل حرية ممارسة الشعائر الدينية والحريات الفردية، بما لا يخالف النظام العام بالبلاد.

٤ ـ الحق في اللجوء الى القضاء مدعياً عليه.

٥ ـ الحق في التمتع بالحماية الادارية، ويشمل ذلك حماية الزائر من أي اعتداء وتسهيل اقامته وتنقلاته، وحقه في الاتصال بدولته.

ومن زاوية اخرى، تلتزم الحكومة السعودية، وهي في سبيلها لممارسة سيادتها في تنظيم الحج والعمرة والزيارة، بمراعاة كل متطلبات التضامن الاسلامي والأخوة الاسلامية. وهذا ما يجري العمل عليه فعلاً حيث تقوم المملكة، بالتشاور مع الدول الاسلامية الأخرى، في اطار منظمة المؤتمر الاسلامي، بتحديد اعداد الحجاج الذي يسمح لهم باداء الفريضة في كل موسم في ضوء ما تسمح به ظروف الحجيج وما تستلزمه متطلبات رعايتهم. وبناء على ذلك، فأنه يتعين على الدول الاسلامية كافة ان تلتزم بما ينتهي اليه رأي الأغلبية في منظمة المؤتمر الاسلامي بخصوص تحديد اعداد حجاج بيت الله الحرام، وذلك احتراماً لمبدأ السيادة الذي تتمتع به المملكة العربية السعودية على أراضيها من ناحية، ونزولاً على مبدأ التضامن الاسلامي، الذي تجسده منظمة المؤتمر الاسلامي، من ناحية اخرى.



مستقبل الحرمين الشريفين في ظل رعاية الملك فهد بن عبد العزيز:

السياسة العمرانية لخادم الحرمين وتوسيع طاقة استيعاب الأماكن المقدسة في المملكة

اعداد : حيدر صادق

بعد الحديث عن تاريخ الحـرمين الشـريفين في فصـل سابق وعن مشـاريع التحسينات العمرانيـة والتوسيعـات التي حظيا بهـا خلال فتـرة حكم العائلـة السعودية في المملكة، نُفرد فصلاً كاملاً ومفصلاً عن التوسعة التي أقرها جلالة الملك فهد بن عبد العزيز للحرمين الشريفين وشرع العمل فيها وسوف تنجز خلال سنوات قلائل. وأن تخصيص فصل كامل لهذه التوسعة متأتياً عن الأهمية الكبيرة والمتفردة لهذا المشروع الجبار والفريد من نوعه الذي سيكون بأمكان الحرمين الشريفين بعد الأفراغ من انجازه ان يحتويا على ملايين من الحجاج في وقت واحد.

ان المملكة العربية السعودية من خلال هذا المشروع تشهد أكبر عملية توسعة وأعمار عرفهما تاريخ الحرمين الشريفين، وقد قرر خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك فهد بن عبد العزيز منذ ان تولى مقاليد الحكم في المملكة تحقيق هذا الانجاز العملاق وقال منذ اليوم الأول للبيعة: «ان من فضل الله ونعمه علينا ان خصنا بشرف خدمة الحرمين الشريفين ومكننا بعونه وتـوفيقه من بـذل أقصى الجهود وحشد كل الطاقات وتجنيد كافة الامكانات من أجل توفير شتى وسائل الـراحة وخدمة الحجيج»*

ومن هنا فقد حرص جلالة الملك فهد بن عبد العزيز كل الحرص على ان يشرف بنفسه على تنفيذ هذا الانجاز العملاق لراحة ضيوف الرحمن مهما تكلف الأمر من جهد ومال... حيث أعلن عندما سئل عن ميزانية التوسعة وعمارة الحرمين أجاب قائلاً: «انها بلا حدود حتى لو كلفتني عافيتي وولدي». ويعلن خادم الحرمين انه يكفيه شرفاً أن يعيش عمره كله من أجل هذا العمل.

ويمكن عرض التوسعـة التي تجري الآن*، والتي قـررها خـادم الحرمـين

الشريفين جلالة الملك فهد بن عبد العزيـز على الشكـل التالي فهي صـورة حية لتكنولوجيا العصر الحديث في المعمار.. وعلى سبيل الذكـر السلالم الكهـربائيـة المتحركة لنقل المصلين والزوار الى الأدوار العليا لأول مرة.. وكذلك عملية التكييف عبر اقامة أضخم محطة على بعد ٧ كيلومترات من الحرم لتكييف الهواء داخل الحرم النبوي.. والقباب المتحركة للمسجد والتي يتم فتحهـا للمصلين في الجـو المعتدل.. وحماية رؤوسهم من أشعة الشمس الحارقة بغلق القباب وقت الظهيرة..

كما تركزت الدراسات أيضاً في مشروعات تـوسعة الحـرمين عـلى مواجهـة متغيرات الطبيعة من عـوامل بيئيـة.. وفيضانـات.. وزلازل. بحيث يطول عمـر التوسعة آلاف السنين للأجيال القادمة..

ان التقرير الذي سيردُ ذكره في هذا الفصل يروي بالتفاصيل الدقيقة الأعمال الانشائية والمعمارية والزخرفية لمشروعات التوسعة في الحرم المكي الشـريف.. والحرم النبوي من أجل ضيوف الرحمن الذين يتزايدون عاماً بعد عام على الأرض المقدسة..

ويكفي ان نعرف ان مساحة المسجد الحرام بعد التوسعة سوف تستوعب أكثر من ٦٩٥٠٠٠ مصل في الأيام العادية وتصبح مساحة المسجد شاملة مبنى المسجد بعد التوسعة وتمهيد الأسطح وكل الساحات ٣٠٩٠٠٠ متر مربع.

ويتضمن مشروع توسعة المسجد الحرام اضافة جزء جديد على مبنى المسجد العالي من الناحية الغربية في منطقة السوق الصغير بين باب العمرة وباب الملك.

وتبلغ مساحة أدوار مبنى التوسعة ٥٧٠٠٠ متراً مـربعاً مـوزعة عـلى الدور الأرضي والدور الأول والبدروم.. بجانب مساحة السطح التي تبلغ ١٩٠٠٠ متر مربع أي المساجد المضافة والتي تستوعب ١٧٠٠٠٠ مصل جديد يحملها ٧٦٠٠٠ متر مربع.

ويشمل المشروع تجهيز الساحات الخارجية ومنها المساحة المتبقية من جهة السوق الصغير والساحة الواقعة شرق المسعى بمساحة اجماليـة تبلغ ٤٠٠٠٠ متراً مربعاً تستوعب ٩٠٠٠٠ مصل.

وجرى إضافة مبنيين للسلالم المتحركة لتسهيل وصـول المصلين الى سطـح المسجد. احدهما في شمال مبنى التوسعة والآخر في جنوبه مساحة كل منهما ٣٧٥ متراً مربعاً ويحتوي على مجموعتين للسلالم المتحركة طاقة كل مجموعة ١٤٠٠٠ شخص في الساعة، وهذه السلالم المتحركة صممت بطريقة تساعد كبار السن على الصعود الى سطح الحرم. هذا بجانب الادراج الثانية بما يؤدي الى سلامة الحركة وسلامة ضيوف الرحمن وخاصة في اوقات الذروة.

وبذلك يصبح اجمالي عدد مباني السلالم المتحركة خمسة.. تنتشر حول محيط الحرم والتوسعة ويضم مبنى التوسعة مدخلاً رئيسياً جديداً و١٤ مدخلاً عادياً بالاضافة الى مداخل المسجد الحرام الرئيسية والتي يبلغ عددها ٣ مداخل رئيسية و٣٧ مدخلاً عادياً.. وقد روعي في التصميم انشاء مدخلين جديدين اضـافة الى المداخل الأربعة الحالية. كما يتضمن مبنى التوسعة مأذنتين جديدتين بارتفاع ٨٩ متراً متشابهتين في التصميم المعماري مع المآذن السبـع الحاليـة.. وليس هناك أوضح من لغة الأرقام.. حتى نعرف مدى المجهود الضخم الذي بذل لتهيئة كافة السبل لخدمة ضيوف الرحمن.. يبلغ عدد الأعمدة بكل طابق في التوسعة ٤٩٢ عموداً بقطر ٧١ سم للأعمدة المربعة.. وهذه الأعمدة مكسوة بمادة الموازيكو أو الرخام ويختلف ارتفاع الأعمدة باختلاف الأدوار أما قواعد الأعمدة المستديرة فهي مسدسة الشكل وكلها مكسوة بالرخام.. والواجهات الخارجية للتوسعة محلاة بالزخارف ومكسوة بالرخام والحجر الصناعي مما سيجعل التوسعة تبدو وكأنها تحفة معمارية اسلامية.. واعمال الزخرفة لن تختلف عن الزخرفة في التـوسعة السعودية الأولى مع ابراز الجانب الجمالي في الفن المعماري الاسلامي.

وبالطبع فأن التوسعة الجديدة ستجهز بأجهزة كهربائية تتيح انارة قوية في مختلف الأدوار بجانب اذاعة داخلية متصلة بالشبكة القديمة مع ضمان الصوت المنقول.. اما مكبرات الصوت فتكون معلقة على الجدران والأعمدة تغذيها اسلاك ممتدة داخل مواسير مدفونة بالأعمدة والأسقف والأرضيات أما أجهزة الانـارة فهي مشابهة للأجهزة الموجودة حـاليا وهي مكـونة من نفس انـواع النجف أو

الاضاءة بالمصابيح الفلورسنت وهي مركبة في الكرانيش ووحدات الاضاءة المركبة على الأعمدة والجدران والتي سوف تعطي التجهيزات مستوى الاضاءة الموجودة في التوسعة الأولى.

ولأن البدروم يقع تحت منسوب سطح الأرض فسيتم تهويته ميكانيكيا عن طريق دفع الهواء البارد بمراوح مركزية عبر مرشحات هواء تعمل على تنقية الهواء من الغبار. أما الطابقين الأرضي والأول فيتم تهويتهما طبيعيا من خلال فتحات الشبابيك المتقابلة ومن خلال مراوح تقليب الهواء والمركبة على الأعمدة لتقليل الاحساس بالحرارة.. مع تكييف مناطق الخدمات بالبوابة الرئيسية.

وسوف يتم تصميم وتوزيع الخدمات ضمن المناطق الفاصلة بين المسجد الحالي ومبنى التوسعة بحيث تعطي أفضل اداء ويتضمن مشروع التوسعة الأعمال اللازمة لتصريف مياه الأمطار كما سيتم توفير مآخذ لشرب مياه زمزم في جميع الأدوار.

جاء مشروع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز والتي يُعتبر أكبر توسعة للمسجد النبوي الشريف على مر العصور وبلغة الأرقام نستطيع القول بأن المساحة المزادة في هذا المشروع كبيرة جداً حيث ستصل من ١٦,٥٠٠م٢ الى ٦٥٠٠٠٠ مصل في الأيام العادية اما في أوقات العمرة والحج ورمضان فيزداد استيعاب الحرم ليصل الى أكثر من مليون مصل.

ومشروع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز يرمي الى اضافة مبنى جديد لمبنى الحرم الشريف ويحيط به من الشمال والشرق والغرب وبذلك تبلغ المساحة الاجمالية للدور الأرضي للمسجد ٩٨٥٠٠م٢ منها ٨٢ ألف متر مربع بالتوسعة تستوعب حوالى ١٦٧ ألف مصل وسوف يستفاد من سطح التوسعة بمساحة قدرها ٦٧ ألف متر مربع تستوعب ٩٠ ألف مصل أي ان المسجد النبوي الشريف سوف يمكنه استيعاب أكثر من ٢٥٧ ألف مصل ضمن مساحته الاجمالية التي تبلغ ١٦٥٥٠٠ متر مربع.. كما تتضمن الاعمال انشاء بدروم بمساحة الدور الأرضي بالتوسعة لاستيعاب تجهيزات التكييف والتهوية.

والتوسعة الجديدة تتضمن سبعة مداخل رئيسية يتكون كل منهـا من سبع بوابات. كما ان هناك في الناحية الجنوبية مدخلين.. يتألف كل منهما من بوابتين.. أي ان عدد البوابات يصل الى ٥٩ بوابة ويضاف اليها ثماني بوابـات لمداخـل ومخارج السلالم المتحركة المضافة الى السلالم الداخليـة البالغـة «١٨ سلماً» بجانب سلالم الخدمة ومآذن المساجد بعد التوسعة ستصبح عشر مآذن. منها ست مآذن جديدة بارتفاع كل منها ٩٨ متراً يضاف الى ذلك ارتفاع الهلال.. أي ان الارتفاع سيصل الى ١٠٩ أمتار بزيادة ٣٢ متراً عن ارتفاع المآذن الحالية.

يزود المسجد بسبعة وعشرين قبة.. وكل قبة تركب على مساحة ١٨ × ١٨ متر وتركب القبة على ارتفاع ٣,٥٥ متر من منسوب سطـح التوسعـة وعلى ارتفـاع ١٦,٦٥ متر من منسوب الطابق الأرضي بقطر داخلي للقبة ١٧,٣٧٥ متر وارتفاع أربعة امتار.. ويتم فتحها وغلقها كهربائيـاً حتى يتاح الاستفـادة من التهويـة الطبيعية في الفترات التي تسمح فيها ظـروف الأحوال الجـوية وذلـك بطريقـة الانزلاق.

ويبلغ الارتفاع الداخلي للطابق الأرضي بالتوسعة ١٢,٥٥ متر بينما يبلغ ارتفاع الدور السفلي حوالي ٤ أمتار ويبلغ عدد الأعمدة ٢١٠٤ أعمدة بقطـر ٦٤ سم، والارتفاع من منسوب الطابق الأرضي وحتى نقطة بـداية القـوس هو ٥,٦ متـر وتتباعد الأعمدة بعضها عن بعض مسافة ما بين ٦ أمتار و١٨ متراً لتشكل أروقة فنية تنسجم مع الاطار العام للتوسعة وتنفيذاً لتوجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز فقد روعي ان يـوافق التصميم أحدث نُظُمِ المعمـار.. وضرورة انسجام التوسعة وتناسقها مع عناصر المبنى الموجود حالياً.. كما يراعي امكانية بناء دور ثان فوق مبنى التوسعة في المستقبل مع فرش السطح بالرخام ليستخدم في الصلاة في ايام شهر رمضان المبارك.

كما تشمل الأعمال الكهربائية بالمسجد اعمال الانارة ومكبرات الصوت ونظام التحكم اوتوماتيكي وأجهزة التحكم المتعددة والتمديدات والكابلات والمحـولات ولوحات المفاتيح وتركيبات الانارة وشبكات التوزيع ونظـام الكشف عن الحريق

بالبدروم ذو مصدر التغذية بالطاقة في الحالات الطارئة بالاضافة الى نظام تلفزيوني ذو دوائر مغلقة يغطي جميع اقسام المسجد والساحات الخارجية.

وتشمل الأعمال الميكانيكية تمديدات المواسير لمياه الأمطار والصرف الصحي والتهوية ومياه الشرب ونظام مكافحة الحريق بالاضافة الى توفير مياه الشرب ومضخات المياه واعمال تلطيف الهواء.

وبناء على توجهيات خادم الحرمين الشريفين بدراسة تكييف مبنى التوسعة يتم تصميم نظام مركزي لتلطيف الهواء يحافظ على الناحية الجمالية والمعمارية للمسجد ويتم ادخال فتحات خاصة ضمن تصميم قواعد الأعمدة بالتوسعة حيث يتم من خلالها دفع الهواء البارد الى المبنى ليكون أكبر مشروع تلطيف للهواء من نوعه في العالم.

هذا وسوف تتم كسوة جميع قواعد الأعمدة بالرخام.

محطة تكييف الحرم

لتأمين تكييف الهواء داخل الحرم النبوي الشريف بطريقة المياه الباردة يتم الآن انشاء محطة تكييف على موقع مساحته ٧٠,٠٠٠ متر مربع وبأبعاد ٣٥٠ × ٢٠٠ متر ويراعى في اقامة هذه المحطة ان تكون خارج منطقة الحرم لأبعاد الضوضاء عن المسجد وسهولة اجراء اعمال الصيانة والتشغيل في الموقع الذي تم اختياره وتقع المحطة على بعد ٧ كيلو مترات تقريبا غرب المسجد النبوي الشريف وتتألف من عدة مبان منها مبنى معدات التكييف ومبنى المكثفات ومبنى محطة مولدات الطوارىء.

.. وتبلغ مساحة المبنى في هذه المرحلة حوالى ١١,٠٠٠ متر مربع تتضمن ١٥,٠٠٠ متر مكعب من الخرسانة المسلحة وتتضمن الأعمال انشاء انظمة تصريف مياه الأمطار والصرف الصحي والمياه والري ومكافحة الحريق.

اضافة الى تجهيز الموقع وتسويره وانشاء الشوارع الداخلية.. اما معدات التبريد المستعملة في هذه المحطة فعددها ست ماكينات تبريد يتم دائما تشغيل خمسة منها وتكون السادسة احتياطية.. اما طاقة التبريد لكل ماكينة فتبلغ ٣٤٠٠

طن وتكون الطاقة الاجمالية للتبريد ١٧,٠٠٠ طن موجودة واحتياطي قدره ٣٤٠٠ طن كما يتضمن مشروع محطة التكييف سبع مضخات لدفع الماء البارد قوة كل منها ٤٥٠ حصاناً.

ويحتوي مبنى محطة المولدات الكهربائية الاحتياطية على خمسة مولدات طاقة كل منها ٢,٥ ميجاوات كهرباء يتم تشغيل اربعة منها بطاقة اجمالية قدرها ١٠ ميجاوات ويكون الخامس احتياطيا.

ويتم ادخال نظام تحكم اوتوماتيكي للسيطرة على جميع الأنظمة الميكانيكية والكهربائية بالمحطة كما ويتم من خلاله السيطرة والتحكم باداء معدات التهوية الموجودة بالبدروم في مبنى البتوسعة.

نفق لخدمات الحرم

ولأول مرة سيتم نقل الماء البارد من المحطة الى بدروم المسجد عبر نفق الخدمات وهو عبارة عن خرسانة مسلحة بارتفاع داخلي يبلغ ٤,١ متر وعرض ٦,٢ متر ويطول حوالي ٧ كيلومترات ويحتوي النفق على انبوبتين لنقل المياه المبردة ويبلغ قطر كل منهما ٩٠ سم وقد تم الأخذ بعين الاعتبار امكانية اضافة انبوبة اخرى داخل النفق ان دعت الحاجة لذلك مستقبلاً. كما يتم تزويد النفق باحدى وثلاثين غرفة تهوية مزودة بالمراوح اللازمة لذلك «يبدأ النفق من محطة التبريد» ويتجه شرقاً عبر شارع باب السلام باتجاه المسجد النبوي الشريف ويتم حفر النفق باعماق كافية تحت مستوى الشارع لكي لا يكون عائقاً.

يستدعى اتمام مشروع التوسعة تطوير المنطقة المحيطة بالمسجد النبوي الشريف والخدمات العائدة لها وربطها بشكل لائق ببقية أجزاء المدينة.. وتشمل عناصر هذا التطوير ساحات الصلاة المحيطة بالمسجد والطرقات ومواقف السيارات تحت الأرض والمرافق التجارية والحكومية وغيرها.. والتسهيلات المعدة لخدمة زوار المسجد النبوي الشريف الكوانضىء ودورات المياه.

هذا وقد تم تصميم مواقف السيارات تحت الأرض بحيث تحيط بمبنى التوسعة ولتضم الخدمات العامة للمصلين وتعلو هذه المواقف الساحات المبلطة بالرخام

والمحيطة بالمسجد وتحدها من الناحية الجنوبية مباني الأسواق التجارية والادارات الحكومية.

ويشتمل المشروع على أجهزة المراقبة اللازمة مثل نظام المراقبة التلفزيونية لمواقف السيارات الذي يحتوي على كاميرات ثابتة وأخرى متحركة جميعها متصلة بغرفة المراقبة الرئيسية التي يمكنها بواسطة نظام خاص مخاطبة الجمهور بالمواقف والمداخل والمخارج بحيث يمكن لفرقة المراقبة اصدار التعليمات الضرورية لترشيد مستخدمي المواقف.. بالاضافة الى ذلك فقد تم ادخال نظام تحكم بالمرور لتوجيه السيارات بالطريقة الملائمة وهناك أجهزة لاحتساب عدد السيارات على المداخل ويتم تأمين ستة مداخل ومخارج لمواقف السيارات بواقع ثلاثة مداخل ومخارج لكل دور. كما يتم تأمين اتصال حركة السيارات بين الدورين أيضا وذلك لتأمين دخول وخروج العدد الأكبر من السيارات الى المواقف بشكل انسيابي سليم وبدون تحميل شبكة الطرق الحالية والمقترحة أكثر من طاقتها ويتم تصميم هذه المداخل والمخارج والطرق المؤدية اليها بحيث يتم فصل المرور القاصد لمنطقة الحرم عن المرور العابر.

تبلغ مساحة الساحات المحيطة بالمسجد ٢٣٥ ألف متر مربع سوف تغطي كلها بالرخام وفق اشكال هندسية اسلامية وبألوان مختلفة وسوف يستعمل قسم كبير منها للصلاة ايام الجمع وفي المواسم وتبلغ المساحة المخصصة للسلاة حوالى ١٣٥ ألف متر مربع وبأمكانها استيعاب ٦٥٠,٠٠٠ مصل في الأوقات العادية أما في اوقات العمرة والحج وشهر رمضان فيزداد استيعاب الحرم ليصل الى أكثر من مليون مصل.

وتقع ضمن هذه الساحات مداخل للمواضيء وأماكن استراحة الزوار المتصلة بمواقف السيارات والتي ستتواجد في دورين تحت الأرض وسوف تخصص الساحات للمشاة.

ان الأجيال القادمة ستظل تذكر لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز هذا الانجاز العظيم من أجل راحة الألوف من المسلمين.. وبالذات ضيوف

الرحمن سواء كانوا معتمرين أو حجاجاً..

وبانتهاء هذه المشروعان بأذن الله تعالى يكون قد حقق وعده، الذي قطعه على نفسه منذ اليوم الأول للبيعة.. ان التاريخ سيذكر لخادم الحرمين الشريفين هذا العمل العظيم على ارض المقدسات الاسلامية أرض الحرمين الشريفين.

اضافة الى هذه التوسعة والأعمال العمرانية الضخمة والأولى من نوعها للحرمين الشريفين التي قام بها خادم الحرمين جلالة الملك فهد بن عبد العزيز في المسجد الحرام في مكة المكرمة وفي المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، فان التوسعات والتحسينات العمرانية الهائلة لجلالته قد شملت أيضاً المساجد والأماكن المقدسة الأخرى الأقل ضخامة من الحرمين الشريفين، وكمثل على ذلك تلك الاصلاحات والتطويرات العمرانية الهائلة التي تحققت في مساجد المدينة الأخرى مثل مسجد «قباء» ومسجد «القبلتين» ومسجد «ذي الحليفة» وشملت كذلك جميع المرافق الملحقة بها والتي يستخدمها الحجاج في أداء فريضة الحج والتي تعتبر عناصر ومرافق أساسية تكمل البناء العمراني للأماكن المقدسة في المدينة المنورة ويمكن عرض هذه التخوسعات والعمليات العمرانية بما يلي والتي ابتدأت بمسجد «قباء».

وهذا المسجد هو أول مسجد أسس على التقوى ويقع في الجنوب الغربي بالمدينة المنورة وقد أسسه الرسول الكريمﷺ عندما قدم الى المدينة في هجرته اليها وهو أول مسجد أسس في المدينة وعمل فيه الرسول عليه الصلاة والسلام بنفسه، ثم تبعه عثمان بن عفان رضى الله عنه وزاد فيه، ولما اعتراه الخراب جدده من بعده عمر بن عبد العزيز وقت ان كان أميراً على المدينة وهو أول من سهد له مئذنة في الفترة ما بين ٨٧ ـ ٩٣هـ، وفي عام ٤٣٥هـ وضع له المحراب وفي عام ٤٥٥هـ جدد له جمال الدين الاصفهاني ثم جدد عمارته عدة مرات في الأعوام ٦٧١، ٧٣٣، ٨٤٠، ٨٨١هـ، وفي زمن الدولة العثمانية عمر عدة مرات كان آخرها عهد السلطان محمود الثاني وابنه السلطان عبد المجيد عام ١٢٤٥هـ، وقد قامت وزارة الحج والأوقاف في عهد السلطان الزاهد بتعميره وتجديده وفرشه مع الحفاظ على الطراز

المعماري القديم، وتأتي التوسعة الكبرى كأضخم توسعة تاريخية وأروع عمارة تربط الماضي البعيد بالحاضر تحكي اصالة العمارة العربية والاسلامية.

وفي يوم الأربعاء ٢٦ صفر ١٤٠٧هـ افتتح خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله التوسعة الجديدة وتجديد هذا المسجد، وقد بلغت المساحة الكلية المخصصة للمصلين ٦١٠٠ متر مربع تستوعب ٢٠ ألف مصل، وقد اشتمل التكوين الأساسي للمسجد تخصيص الجزء الشمالي العلوي كمكان مخصص للنساء وبمداخل وممرات منفصلة عن مداخل وممرات الرجال. وتقع في كل ركن من اركان التكوين منارة بارتفاع ٤٧ متراً تنطق بروعة الفن المعماري الاسلامي، واما سقف المسجد فهو عبارة عن ٥٦ قبة قطر كل منها ستة أمتار وستة قباب كبيرة قطر كل منها ١٢ متراً تقع احداها فوق المحراب بارتفاع ٢٥ متراً، وثماني قباب متلاقية مع بعضها البعض فوق مداخل المسجد. وللمسجد سبعة مداخل رئيسية منها اثنان لدخول النساء الى أماكن صلاتهن. ويشتمل المسجد على المرافق العامة للرجال والنساء كالمواضىء والحمامات فضلاً عن انشاء مكتبة خاصة بالمسجد.

كما يشتمل المسجد على ست وحدات سكنية للأئمة ومؤذني المسجد.

مسجد القبلتين

يقع مسجد القبلتين في غرب المدينة المنورة ويمثل أهمية تاريخية رفيعة جداً في العالم الاسلامي، فهو يمثل لجميع المسلمين الواقعة التاريخية العظيمة عندما تحول المصلون من القبلة الأولى «القدس» الى مكة المكرمة كقبلة اختارها الله سبحانه وتعالى للمسلمين أجمعين. ويشتمل هذا المسجد على قاعة كبيرة للصلاة تتسع لأربعة آلاف مصل وتشتمل هذه القاعة على شرفة للنساء وعلى دور مرتفع للخلف من القاعة بالاضافة الى ثلاثة صفوف تطل على قاعة الصلاة من أعلى كما يشتمل على صالات للوضوء للرجال والنساء كل على حدة وملحق خاص بالمسجد يضم مسكن الامام والمؤذن والبواب وفناء مزروعا بالاشجار.

مسجد ذي الحليفة

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وفي يوم السبت ١٤٠٧/٣/٢٠هـ قام الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة بوضع حجر الأساس لتوسعة وعمارة ميقات ومسجد ذي الحليفة بآبار علي التي أمر بها خادم الحرمين الشريفين.

وتبلغ المساحة الاجمالية لتوسعة مسجد ميقات ذي الحليفة ٨٨ ألف متراً مربعاً وتبلغ مساحة الأفنية والجزء المكشوف ٢٣٤٠ متراً مربعاً بالاضافة الى ١٤٧٠ متراً مربعاً. ويستوعب المسجد حوالي خمسة آلاف مصل، وبهذا يصبح اجمالي عدد المصلين الذين يستوعبهم المسجد بعد التوسعة قرابة ٧٢٠٠ مصل. ويشتمل المسجد على مئذنتين ارتفاع كل واحدة منهما ٦٤ متراً بالاضافة الى قبة بارتفاع ٢٨ متراً وقطر ١٧ متراً، ويشتمل الموقع على مواقف واماكن للسيارات وتتوفر مساحة كبيرة للحمامات تبلغ ٢٢٣٠ متراً مربعاً للرجال ومساحة ١١١٥ متراً مربعاً لحمامات النساء.

واذا نظرنا الى مشاريع المساجد التي انشئت في الفترة من ١٤٠٠/١٤٠٧هـ نجد انه تم انشاء سبعة مساجد دفعة واحدة وهي مسجد المحطة بالحناكية ومسجد حي الضخيرات بالعلا ومسجد «أبو زرائب» ومسجد قرية الجديدة بالعلا ومسجدان بالمهد في قرية السريحية ومسجد المخطط الغربي ومسجد قرية عرجاء بطريقة المدينة ـ الرياض.

وبلغت تكاليف الانشاء أربعة ملايين وتسعمائة وواحد وعشرين ألف ريال واربعمائة وثلاثة ريالات.

كما تم هدم وانشاء مسجد السطيحي بالمدينة المنورة، وتكلفته بلغت مليونا وخمسمائة وثمانية وعشرين ألفا وستمائة وسبعين ريالاً، وكذا هدم وانشاء مسجد يترب بالمهد وتكلفته مليون وستمائة وثمانية وخمسون ألفا وثلاثمائة وستة وثلاثون ريالاً، وانشاء مسجد خيف أم ذيان بوادي الصفراء وبلغت تكلفته ستمائة وتسعة عشر ألفا وستمائة وسبعة وعشرين ريالاً.

ولا تزال ثمانية مساجد بينبع والقرى التابعة لها تحت الانشاء.

وتم هدم وانشاء واحد وستين مسجداً بتكلفة اجمالية بلغت ٤٤,٨٠١,٨٥٧ ريالاً.

ومن أهم هذه المشاريع بمنطقة المدينة المنورة انشاء مسجد نموذجي بمنطقة سيد الشهداء، وهدم وانشاء مسجد حجاج البر وهدم الدار الكائنة بحي النخاولة وانشاء مسجد على ارضها، وهدم وانشاء مسجد طلال بالحسور وانشاء مسجد هجرة الشقران على طريق المدينة ـ الرياض. وهدم وانشاء مسجد نفجة بالشقرة بالحناكية، وهدم وانشاء مسجد التوحيد بينبع وهدم وانشاء مسجد المربع بالعيص ضواحي ينبع.

ترميم المساجد

ومن أهم أعمال الترميم والتحسينات التي تقوم بها ادارة أوقاف ومساجد منطقة المدينة المنورة ترميم وانشاء دورة مياه لمسجد خلف بن شداد بالأضحية ومسجد محمد عنيزان بالمحضر بضواحي الحناكية وترميم وانشاء دورة مياه بمسجد شلوان بالحرة الشرقية وترميم وتحسين مسجد الغمامة بالمدينة المنورة والقيام بأعمال الترميم والانشاء لدورة مياه مسجد صالح الدبيسي بالمدينة وترميم وانشاء دورة مياه لمسجد الصبح بقباء وترميم المسجد الردادي بحي الشهداء.

وكذلك استكمال الترميمات الخاصة بمسجد محمد بن بشير واستكمال مسجد الحسينية، واستكمال مسجد ضرية الواسطة بوادي الصفراء واستكمال مسجد الفقير بوادي الفرع ومسجد وصل بن محيسن بالمستراح ومسجد الرايس بينبع واضافة جزء الى مسجد الجمعة بالعيص واستكمال انشاء مسجد الكربالوجه وترميم مسجد سيدنا علي رضي الله عنه.

وتشمل اعمال الترميم والتحسين والانشاء حوالى ١٠٢ مشروع بتكلفة اجمالية تبلغ ١٥,٠٩٨,٩٥٣,٧١ ريالاً.

وبلغت جملة المبالغ المنصرفة على مساجد منطقة المدينة المنورة من انشاء وهدم

واعادة انشاء وترميمات وتمديدات واعمال الكهرباء والصيانة كما يلي:

- الأعمال الانشائية ١٧,٣٠٩,٣٥٠ ريالاً.
- اعمال الهدم واعادة الانشاء ٤٤,٨٠١,٨٥٧ ريالاً.
- الأعمال الكهربائية ٣٦٩,٧٧٨,٣٥ ريالاً.
- اعمال الصيانة والنظافة ١,٦٨٢,٧٣٢ ريالاً.

واذا اضيف الى ذلك تكلفة انشاء مسجد قباء ومسجد القبلتين فإن اجمالي المبالغ المنصرفة تصل الى ٢٠٩,٢٦٢,٦٧٠,٦٩ مائتين وتسعة ملايين ومائتين وستين ألف وستمائة وسبعين ريالاً.

ان هذه المشاريع العمرانية التوسيعية داخل الحرمين الشريفين وداخل كل المرافق والملحقات الخاصة بها يجعل المواطن المسلم في كل بقعة من العالم يدرك المستقبل الايجابي والمضيء للحرمين المقدسين وللأماكن القدسة التي يؤدي فيها فريضة الحج... تلك الفريضة التي تحتويها اشرف الأماكن وأقدسها في العالم.

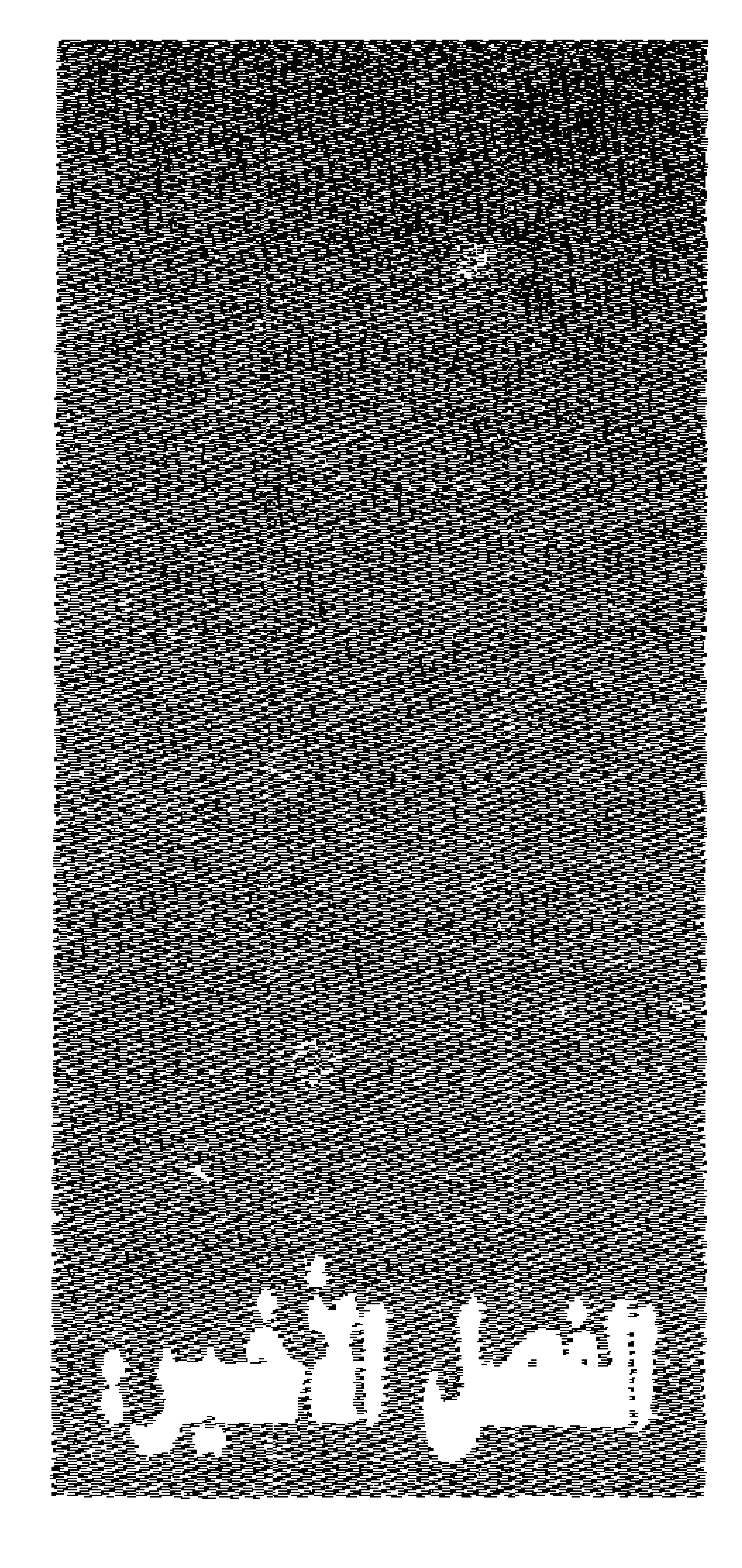
مراجع الفصل السادس:

- «الشرق الأوسط»، العدد ٣٣٨١، الثلاثاء ٥ مارس ١٩٨٨، ص ١٧ .
- «الرياض» الأربعاء ١٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٨ .
- جريدة «الأخبار» المصرية، ١٢ حزيران (يونيو) ١٩٨٨ .

- SANDRA MACKEY: «The Saudis, Inside The desert Kingdom», Ed Houghton Mifflin Company, Boston 1987.

- Docteur Ahmed CHERIF: «Le pélénage de la Mekke». Beyroute 1930.

- Gaudefroy-Demombynes: «Le Pélénage à la MEKKE, Etude d'Histoire Religieuse», Librairie Drientaliste Paul Genthner, Paris 1923.



دعوى «اعلان البراءة»: برهان افلاس

د. أحمد خطاب

لقد أجمعت الغالبية الساحقة من المسلمين على عدالة قراري المؤتمر السابع عشر لوزراء خارجية الدولة الاسلامية الذي انعقد في العاصمة الأردنية في مارس/ آذار ١٩٨٨، ذلك القرار الذي نص على تحديد نسب الحجاج وتوزعها على الدول وفق قاعدة نسبة حاصل قسمة سكان هذه الدولة أو تلك على عدد المسلمين في العالم. وقد أبدت جميع الدول المشاركة بالمؤتمر تفهماً ووعياً بهذا القرار وبالدواعي التي اقتدت اصداره، وكذلك ارتباطه بأعمال التوسعة التي يشهدها الحرمان الشريفان في مكة المكرمة والمدينة المنورة والساحات المحيطة بهما اضافة الى انشاء العمارات الكافية لاستيعاب أكبر كثافة ممكنة من قاصدي بيت الله الحرام وتأمين كافة الخدمات لهم وفق أرفع المقاييس من حيث نوعها وكيفها وكميتها.

.. وحدها ايران خرجت عن الاجماع الاسلامي. وتحت وطأة الاستنكار الواسع الذي لاقاه خروجها هذا عن اجماع الأمة، راحت الأجهزة الايرانية تختلق الذرائع وتبتدع الحجج الواهية هادفة من وراء ذلك الى التشويش على القرار من جهة والابتزاز لتحقيق غاياتها الفئوية من جهة اخرى. وضمن هذا الاطار عملت بأكثر من أسلوب وصعدت من حملاتها مع اقتراب موسم الحج لعام ١٤١٠هـ.

فقد راحت وسائل الاعلام الايرانية تزعم زوراً وتتهم المملكة العربية السعودية بمنع سفر الحجاج الايرانيين لتغطي بذلك أو تقلّل من أهمية اصرار ايران على رفض قرار تحديد نسب الحجاج. وأخذت تدعي بأن على المملكة «ان تترك الحجاج الايرانيين بحريتهم في اداء مناسك الحج طبقاً لفتوى وتوجيهات الخميني»(!)، وذلك وفق ما جاء في رسالة صدرت عن مجلس الشورى الاسلامي في ايران التي

اذيعت في ١٦ رمضان ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م من راديو طهران.

وجاءت تلك الرسالة مليئة بالترهات والأباطيل وبعيدة عن الموضوعية وذكر الحقائق بتجرد.. وهي قبل كل شيء بعيدة عن أصول وروح وتعاليم الاسلام والحج، مما دفع المملكة الى الرد عليها مفنّدة الادعاءات عبر تصريح مصدر رسمي نشر في ٢٠ رمضان من نفس العام.

وقد أوضح التصريح الحقائق وأكد تعنت حكام ايران واصرارهم على زيادة عدد حجاج بلادهم حسب اهوائهم ورغبتهم وكذلك تمسكهم بقيامهم بالمظاهرات الفوضوية والتخريبية على غرار ما جرى عام ١٤٠٧هـ وما قبل.

وكانت المملكة تؤكد لهم موقفها الثابت وتقيدها بقرار وزراء خارجية الدول الاسلامية وعدم السماح باجراء المظاهرات والهتافات ورفع اللافتات لأي شخص كان.

ومع ذلك عادت المملكة وأكدت استعدادها لاستقبال ٤٥ ألف حاج ايراني على ان يتقيدون ويلتزمون بجميع التعاليم والآداب الاسلامية الخاصة بالحج والتي أشار اليها القرار المذكور استجابة لقول الله عز وجل «الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج (**سورة البقرة، الآية ١٩٧**).

وعلى عكس المزاعم الايرانية، أكدت المملكة حرصها على خدمة الحجاج الايرانيين والعناية بهم وتوفير كل وسائل الراحة لهم أسوة ببقية الوافدين الى الأراضي المقدسة.

لكنه لم يكن جائزاً السكوت على دعوى المتعنتين الايرانيين القائلة بحرية الحجاج في «اداء مناسك الحج طبقاً لفتوى وتوجيهات الخميني» الأمر الذي أثار استنكار العلماء المسلمين.

فليس من الاسلام في شيء ان يتبع أي مسلم تعليمات تتعلق بالعبادة من انسان

ما ويترك التعليمات الصادرة من الله عز وجل والتي لا يجب ان تؤول أو تحرف وفق اهواء واغراض خاصة.

لكن الدليل الساطع في وجه المزاعم الايـرانية جـاء، حول هـذه النقطة، من صفوفهم أنفسهم.

ففي الوقت الذي كان فيه «المرشد» الايراني علي خامنئي يلقي خطاباً في ١١ ذو العقدة ١٤١٠ من اذاعة طهران بمناسبة مرور عام على وفاة الخميني ويطلق كلاماً يحاول من خلاله تضليل شعب ايران رافعاً شعار الموت في المنـاسك والمشـاعر المقدسة كأنه من تمام الحج، متغاضياً عن ما سيثيره ذلك من الفتنة بين صفوف المسلمين ويفرّق بين جموعهم في أكثر الأيام حرمة وتعظيماً، في هذا الوقت كشفت المملكة صورة للرسالة البرقيـة التي أرسلتها السفـارة الايرانيـة الى المسؤولين السعوديين بتاريخ ١٣٩٩/١١/٢٣ (راجع صورة الرسالة) وجاء فيها:

لقد أصدر قائد الثورة الاسلامية الايرانيـة الأمام الخميني أمـراً الى جميع الحجاج الايرانيين ناشدهم فيه الحرص على التمسك بالاحكام الدينية والقوانين الحكومية للمملكة العربية السعودية، كما أمرهم بعدم اقامة صلاة الجماعـة في المنازل وقد حثهم على الاشتراك في صلاة الجمعة وجماعة المسلمين، وقد حذرهم من المسح والتقبيل كذلك أمرهم باحكام أهل السنة والجماعة في مناسك الحج».

وكانت وزارة الخارجية السعودية قد تسلمت أيضاً من سفارة ايران بالمملكة مـذكرة تحت رقم ٨٧/١/٢١٢٠ ومؤرخـة في ١٤٠١/١١/١١هـ وجـاء فيهـا بالحرف:

«تتشرف السفارة باحاطة الوزارة الموقرة علماً بأن سماحة الامام الخميني قد أصدر تعليماته الى الحجاج الايرانيين بأن يعملوا على تحقيق الوحدة بين صفوف المسلمين ويتجنبوا أي عمل يسبب الفرقة بين المسلمين. كذلك أمر سماحته الحجاج الايرانيين ان يؤدوا صلاة الجماعة وصلاة الجمعة في المساجـد مقتدين بـأئمة الجماعة من السعوديين».

وفي كل مرة كانت المملكة تضطر فيها الى الرد على المزاعم وعلى تزوير الحقائق،

كانت تعود وتشدد على ضرورة استلهام الأبعاد الحقيقية للحج باعتبـاره عبادة خالصة لله وحده والامتثال لأوامره سبحانه وتعالى والبعد على نواهيه وتدعو حكومة طهران ان لا تتخذ اعلامها مصدراً للتشويش على تقيّد المملكة في مسألة الحصص المحددة.

وقد استطاعت المملكة عبر سياستها الرصينة والحريصة على وحدة صفوف المسلمين ان تستقطب تأييد كافة الدول والجهـات الاسلاميـة التي تهمها تلـك الوحدة. وقد استطاعت المملكة، عبر كشف الحقائق والوثائق من جهة وعبر اجماع العالم الاسلامي بغالبيته الساحقة على عدالة سياستها من جهة اخرى، استطاعت ان تدحض ادعاءات ومزاعم طهران.

والواقع ان الرسالتين، اللتان كشفت عنهما المملكة، كانتا غنيتان بمغزاهمـا حيث انهما يعبران عن نقد واضح للسياسة الخمينية «السابقـة» وعن اعتراف ايراني بحت بفشلها، لا سيما اثر احداث عام ١٤٠٧هـ.

هذا من ناحية. ومن ناحيـة ثانيـة، فان اصـرار المسؤولين الايـرانيين عـلى الاستمرار في هذه السياسة بعد موت الخميني هو أكبر دليل على مدى مراهنتهم على التوظيف السياسي للحج حتى ولو كلفهم ذلك استعداء آراء جميع المسلمين في العالم، الى حد بات معه بعض المراقبين يعتبر ان هذا التوظيف هو شرط لاستمرار النظام نفسه، لا سيما بعد توقف الحرب العراقية ـ الايرانية تطبيقاً لقرار مجلس الأمن الدولي رقم ٥٩٨.

ـ نص رسـالة السفـارة الايـرانيـة وقـرار الخميني المبلّـغ الى المسؤولـين السعوديين ١٣٩٩/١١/٢٣هـ (بعد احداث مكة) ـ

معالي الشيخ عبد الوهاب عبد الواسع الأكرم

وزير الحج والأوقاف جدة:

تحية واحتراماً وبعد،

أرجو التفضل بالعلم بأنه سيتشرف في هذا العام حوالي ثمانون ألف حاج ايراني بزيارة بيت الله الحرام وقد أصدر قائد الثورة الاسلامية الايرانية الامام الخميني أمراً الى جميع الحجاج الايرانيين

ناشدهم فيه الحرص على التمسك بالأحكام الدينية والقوانين الحكومية للمملكة العربية السعودية كما أمرهم بعدم اقامة صلاة الجماعة في المنازل وقد حثهم على الاشتراك في صلاة الجمعة وجماعة المسلمين وقد حذرهم من المسح والتقبيل. وكذلك أمرهم بالتقيد بأحكام المذهب السائد في المملكة وأوصاهم باطاعة علماء وأهل السنة في مناسك الحج لأن اطاعتهم من الواجبات وقد رأى انه من الواجب على الحجاج الايرانيين شرح الانقلاب الاسلامي الايراني لأخوانهم المسلمين ليكونوا على بينة من ان الهدف الوحيد من هذا الانقلاب هو التمسك بتنفيذ الأحكام الاسلامية وايجاد الأخوة وحسن التفاهم بالوسائل الكفيلة. وقد قام ممثل الامام الخميني والمشرف على شئون حج هذا العام الشيخ فضل الله محلاتي بنقل أوامر الامام المذكورة اعلاه الى رئيس المحكمة الشرعية ورئيس الحرم الملكي والأمين العام لرابطة العالم الاسلامي وجميع العلماء بمكة المكرمة وقد كان لها أحسن الأثر والسرور في نفوسهم. وبناء على ما جاء اعلاه أرجو معاليكم التفضل بأصدار أمركم بابداء تسهيلات أوسع وعطف أكبر من قبل المسئولين بالحكومة السعودية للحجاج الايرانيين في هذا العام لتزداد الألفة والمودة بين المسلمين وبتآزرهم وتضامنهم يتحقق لهم رفع راية الاسلام عاليا في جميع انحاء العالم وليتسنى لهم تجديد مجد الاسلام والمسلمين ولكي يعود الحجاج الايـرانيين الى أوطـانهم حاملين معهم أجمل الذكريات. واني لأنتهز هذه الفرصة الطيبة لأعرب لمعاليكم عن أخلص التمنيات بدوام الصحة والتوفيق.

المخلص: **محمد جواد رضوي**

سفير الجمهورية الاسلامية الايرانية

آخر المحادثات:

لقد جاءت الأحداث اللاحقة لتؤكد هذا الاستنتاج «المتكرّر». فبعد فشل الحملة الاعلامية السابقة وما تضمنها من ادعاءات دون ان تتراجع في الوقت نفسه عن مطالبها، دخل عنصر جديد في هذه الحملة، لم يكن يخطر ببال أحد من العلمـاء والفقهاء المسلمين.

وجاء هذا العنصر على شكل «فتوى» ايرانية بأن على الحجاج المسلمين لاتمام حجّهم «اعلان البراءة من المشركين» عبر مسيرة تسمى بمسيرة البراءة. وقالت طهران ان ذلك حدث في زمن الرسول صلى الله عليه وسلّم. ولم تزد على ذلك كلاماً، بل مجرّد اصرار جديد.

ومن جديد أيضاً، وُقبلت «الفتوى الايـرانية» بـاستغراب ودهشـة في العالم الاسلامي ـ وظن البعض ان ذلك لا يعدو الا استهلاكاً اعلاميا لن يطول. لكن الأمر لم يكن كذلك للأسف، كما دلّت المفاوضات بين طهران والمملكة بعيد ذلك بقليل.

ففي شهر شوال ١٤١٠هـ/ الموافق ايار ١٩٩٠، اعربت ايران عن رغبتهـا

باجراء مفاوضات مباشرة مع المسؤولين السعوديين لبحث النقاط الخاصة بالحجاج الايرانيين. وجاءت تلك الرغبة اثر وساطات رسمية عربية حريصة على تسوية الخلافات. وقد تناست السعودية كل ما قيل عنها وحولها انطلاقاً من طهران واثبتت حسن نواياها مرحبة باستقبال وفد ايراني. وجاء النائب الأول لوزير الخارجية الايرانية محمد بشارتي الى المملكة والتقى بوزير الخارجية الأمير سعود الفيصل عدة مرات اضافة الى مفاوضات كثيرة عقدت أثناء تلك الفترة.

وقد كادت المباحثات تفضي الى اتفاق. فقد أعرب الوفد السعودي مجدداً للوفد الايراني ترحيب المملكة باستقبال الحجاج الايرانيين وفق ما أقرّه وأيده العالم الاسلامي من خلال قرار مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية مع التزام الحجاج بتعاليم وآداب الحج وعدم الخروج عنها حتى لا تتكرّر احداث ١٤٠٧هـ وتنفيذاً لأمر الله **«واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا» «وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود»**. صدق الله العظيم.

وأكدت المملكة استعدادها التام لتقديم جميع التسهيلات اللازمة للحجاج الايرانيين.. وأوشك الطرفان على التوصل الى اتفاق على جميع النقاط، إلّا أن الوفد الايراني أصرّ على التمسك بذريعة اعلان البراءة من المشتركين بحجة ان فريضة الحج لا تتم إلّا بهذا الاعلان.

فكان ان توقفت المفاوضات على الأثر ويغادر الوفد الايراني المملكة، فيصدر من طهران بيان عن وزارة خارجيتها تزعم فيه ان المملكة «منعت مسلمي ايران من اداء فريضة الحج لهذا العام» دون الاشارة لما جرى في المفاوضات ولحقيقتها. طبعاً لم يكن ممكناً على طهران ان تقول غير ذلك في ظل الآراء والفتاوى التي صدرت عن العلماء المسلمين حول حقيقة اعلان البراءة.. ولم يكن باستطاعتها ان تقول للشعب الايراني بأنها هي نفسها، أي الحكومة الايرانية لن تسمح بذهاب الحجاج هذا العام لأن «اعلان البراءة غير مسموح به»، فكان واضحاً ان الايرانيين لن يقتنعوا بذلك، فاختارت عندها ان تلقي التهمة على المملكة.

كثيرون توقفوا يومها عند حقيقة الموقف الايراني. البعض قال ان الوفد

الايراني جاء الى المملكة ومعه تعليمات مسبقة بعدم اتخاذ القرار. وآخرون قالوا ان طهران «اخترعت» موضوع البراءة لكي تجعل منه مبرراً لمنع الحجاج الايرانيين من اداء فريضة الحج. والأغلبية قالت بأن ايران تريد استغلال البراءة لتنظيم المظاهرات.

ومهما يكن، فان اقتصار مطالب الوفد الايراني على السماح للايرانيين باعلان البراءة عن أنه يشكل تراجعاً عن المطلب السابق بزيادة حصتهم (بين ٨٠ و١٥٠ ألفا بدل ٤٥ ألفا)، مما يكشف ان ذلك لم يكن سوى حجة لفرض سياسة تخدم غاياتهم وللتهجم على المملكة ومعاندة القرار الاسلامي.. وهو في جميع الأحوال، أي هذا التراجع، يدل على اعترافهم بخطأ هذا المطلب.

أصل البراءة.. وفصلها:

كان لا بد للمطلب الايراني الجديد، أي اعلان البراءة من المشركين، ان يكون لدى صدىً واسعاً في الأوساط الشرعية الاسلامية في طول وعرض العالم الاسلامي. وقد طُرحت نتيجة لذلك عدة تساؤلات منها:

١ ـ لماذا رفع حكام طهران هذا المطلب في هذا الوقت بالذات ولم يرفعوه سابقاً علماً أنهم لم يتأخروا طيلة السنوات السابقة عن استخدام «أي شيء» حتى العنف، لاستغلال موسم الحج؟

٢ ـ لماذا انتظر حكام طهران انتهاء المفاوضات مع المملكة ليعلنوا بعدها فوراً عدم ذهاب الحجاج الايرانيين الى موسم الحج علماً انهم كانوا على علم مسبق بموقف المملكة المرتكز على الاجماع الاسلامي؟

الرد على التساؤل الأخير كان سهلاً من خلال استقراء للاحداث السابقة لقرار المنع، كما أشرنا سابقاً. فبيان الخارجية الايرانية أشار الى «المملكة منعت مسلمي ايران من اداء فريضة الحج لهذا العام». وتجنّب البيان التطرّق لما جرى في محادثات الوفدين، فالأجدى، كان ان يقول بأن المملكة منعت السماح للايرانيين بمسيرات اعلان البراءة، ولهذا فان حكومة طهران لن تسمح للايرانيين بالحج. غير

ان شيئاً من ذلك لم يحدث. والمؤشر الأهم من كل ذلك ان الايرانيين لم يخوضوا نقاشاً على المستوى الاسلامي حول هذه القضية لو أنهم كانوا فعلاً صادقين في دعواهم، وكأنهم أرادوا ان يكون قرار المنع هو نهاية المطاف بعدما أرادوا ان تكون «رغبتهم في اجراء المحادثات» ثم عنادهم أو تعنتهم فيها مخرجاً لهم يعفيهم من استمرار الاستنكار الاسلامي لخروجهم عن قرار تجديد نسب الحجاج وتحويل الانظار نحو مسألة اعلان البراءة «كنوع من الخلاف الشرعي وليس السياسي» وبذلك يرتاحون من ردود الفعل السابقة ويجدون مبرراً لعدم السماح للحجـاج الايرانيين بالذهاب الى مكة للموسم الثالث على التوالي.

وهنا تأتي العودة الى التساؤل الأوّل لتؤكد هذا المنحى. «فأستيقاظ» حكومة طهران فجأة، وبعد ١٤ قرناً من حدوثها، على مطلب اعلان البراءة لا يفسّر الاّ بأنه ذريعة تفيد تعنتهم من ضمن سياسة بحثهم عن كل ما من شأنه الحث على قيامهم بالصخب والمظاهرات والاقتتال.. أي الفتنة أثناء أهم وأشرف مناسبة لجمع شمل المسلمين من كل العالم وذلك كنتيجة حتمية لسعيهم الى توظيف هذه المناسبة في دعايتهم السياسية لمخططاتهم ولزعمائهم متناسين الأهداف السامية التي أرادها الله سبحانه وتعالى من هذا الاجتماع الاسلامي الذي لا يتوفر لأمة أخرى.

ومع ذلك، سارع عدد كبير من العلماء المسلمين، سواءً كانوا فراداً أو في منظمات اسلامية الى توضيح مسألة اعـلان البراءة شـرعاً ودحض دعـواها من طـرف الايرانيين. وقد اجمعوا على التالي:

ان البراءة التي جاءت في القرآن الكريم في «سورة براءة» انما كانت أمراً من الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليـه وسلم لنقض العهد الـذي كان بينـه وبين المشركين حين كان المسلمون مستضعفين، فلما صارت لهم الشوكة، أمر الله نبيه ان يعلن البراءة منهم اعلاناً يحول بينهم وبين دخول مكة معتمرين أو حاجين الاّ ما كان من عهد بينه صلوات الله وسلامه عليه وبين بعض القبائل الذي لم يكن قد انتهت مدته فاعطاهم الرسول أربعة أشهر ثم ينتهي العهد بعدها.

يقول تعالى في كتابه الكريم «يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس، فلا يقربوا

المسجد الحرام بعد عامهم هذا، وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء، ان الله عليم حكيم».

وحدث ذلك في سنة تسع للهجرة. ارسل الرسول صلى الله عليه وسلم علياً في صحبة أبي بكر رضي الله عنهما عامئذ وأمره ان ينادي في المشركين ان يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. فأتم الله ذلك وحكم به شرعاً وقدراً. وهي حدثت بسبب وجود المشركين الذين كانوا يسيطرون في السابق على مكة المكرمة والحرم المكي في أوّل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا يمنعون المسلمين من الصلاة وقراءة القرآن آنذاك.

وخلص العلماء الى ان البراءة انما تكون من المشركين الذين يحادون الله ورسوله ولا يقيمون حدوده في الأرض، وخاصة بعد نكسهم للمواثيق والعهود معهم ومنعهم للمسلمين من القيام بشعائرهم الدينية.

واتفق العلماء على ان البراءة لم تصدر في تاريخ الاسلام كلّه الاّ مرة واحدة.

واجمع العلماء على عدم تكرار اعلانها لعدم وجود ما يدعو اليها.

ولذلك، جاءت اشارة حكومة طهران لها في هذا الوقت مدعاة استغراب شديد.

فالواقع اليوم يؤكد على التالي:

ـ أولاً: انه لا يوجد في مكة المكرمة وما حولها وما جاورها مشرك واحد يستوجب البراءة منه، سواء خلال موسم الحج أو قبله وبعده. أما خلال الحج، فجميع الحجيج الذي يزيد عددهم كل عام عن مليون ونصف، فهم يغدون لاداء هذه الفريضة الاسلامية متجهين الى الله جل جلاله بقلوب خاشعة.

وثانيا: ان المملكة خادمة الحرمين تطبّق شرع الله وحدوده وتلتزم أيضاً نصاً وعملاً بقوانين الشريعة الاسلامية ولا تسمح لأي وجه من وجوه الشرك على أراضيها، فكيف هو الحال في الحرمين الشريفين؟

اذن، ونظراً لأن الغاية الشرعية من «اعلان البراءة» غير قائمة بتاتاً، بات واضحاً ان الاصرار الايراني على التمسك باعلان البراءة هدفه الوحيد هو القيام بمظاهرات واحداث الشغب والاخلال بالنظام والعبث بالأمن في موسم الحج، وهو

أمر لا يمكن التهاون امامه وفق ما أمر به عز وجل، بل تتطلب اقفال كل أبـواب الفتنلا واثارة البلبلة من أجل توفير أنسب الأجواء للحجاج حتى يؤدوا فريضتهم.

وفي المقابل كان قرار طهران بمنه مسلمي ايران من اداء الحج هو بمثابة شذوذ جديد عن اجماع الامة ودليل ساطع على ان الحكومة الايرانية لا ترغب بالتقيد بآداب وتعاليم الحج وفق تعاليم القرآن والسنة النبوية. وما كل ذلك الاّ مشهدا جديداً من سلسلة استغلال موسم الحج والأماكن المقدسة التي بدأتها ايران مع «المرحلة الخمينية»، ووصل امعانها في هذا الطريق الى حـد منع عبـاد الله من مواطنيها من اداء هذه الفريضة لأنه لم يسمح لها بالاستمرار في هذا الاستغلال. لقد كان ذلك أوضح صورة من صور توظيفها الدين لغايات سياسيـة سلطويـة بالمعنى «الضيّق» للكلمة.

خاتمة

بعد اطلاعنا على هذا المستوى العالي من التنظيم لفريضية الحج ولكل ما يتعلق بمرافقها من اماكن مقدسة متمثلة بالحرمين الشريفين وببقية الملحقات الضرورية من سقاية وأمن ورعاية صحية ومسؤولية عمرانية وتأمين مواصلات برية وجوية وتلفونية وغيرها، ينبغي التساؤل عن مدى امكانية اية دولة اسلامية اخرى على القيام بمثل هذه الرعاية وتحمل مثل هذه المسؤولية الكبيرة والفذة فيما يخص فريضة الحج. ونخص بالذكر هنا ايران، هذه الدولة التي رفع حكامها الخمينيون فكرة تدويل الحرمين الشريفين لاخراج هذين المكانين المقدسين من تحت سيطرة الدولة الشرعية الأم وهي المملكة العربية السعودية.

وقد اتضحت لنا الدوافع التي تنطوي عليها مثل هذه الفكرة التي رفعها حكام طهران، ولكن في الوقت نفسه ومن خلال عرضنا لواقع الحرمين الشريفين وسبل صيانتهما ورعايتهما من قبل الدولة السعودية يتبدى لنا عجز اية دولة اسلامية اخرى عن القيام بمثل هذا العمل الضخم والمتطور والمتقدم تكنولوجيا ووفق الالتزام الديني الاسلامي العالي المستوى الذي يتصف به قادة المملكة.

فالحرمين الشريفين كما اتضح من الفصول السابقة يتمتعان بصيانة متقدمة بل ان السياسة السعودية لا تتوقف فقط عند حدود تقديم الصيانة والرعاية للاماكن المقدسة بل تعمل على تطويرها عمرانيا وفق مشاريع ضخمة وهائلة هي الأولى من نوعها في اية أماكن مقدسة في العالم. كما ان التطويرات الحديثة جداً وادخال احدث الوسائل العلمية لاماكن الحج ومرافقه الهامة عملية لا تتأتى بسهولة لاية دولة كانت.

ومن هنا فان المملكة العربية السعودية تمتلك ثلاث مميزات تؤهلها لأن تنظم وترعى موسم الحج بهذه الصورة المنظمة والفريدة من نوعها على الرغم من التزايد الطردي الضخم في عدد الحجاج القادمين الى ارض المملكة كل عام، الميزة الأولى هي الخبرة من خلال طول الممارسة التي تتمتع بها الدولة السعودية من خلال اشرافها على عملية الحج خلال فترة طويلة من الزمن.

والميزة الثانية هي القوة الاقتصادية الضخمة للمملكة. فالدولة السعودية تتمتع بثراء كبير بفضل الغنى الهائل في اقتصادها الوطني. وان عملية الحج وما تتطلبه الاماكن المقدسة من صيانة ورعاية يقتضي توفر قدرة اقتصادية ضخمة بالنسبة للدولة المشرفة على هذه الاماكن وعلى عملية ضخمة مثل تأدية فريضة الحج. اما الميزة الثالثة فهي التماسك الداخلي الكبير الذي تتمتع به المملكة العربية السعودية فهي دولة يسودها الاستقرار السياسي والاجتماعي ويسودها الرفاه الاقتصادي لمواطنيها ويتمتع المجتمع السعودي بتوازن صلب بفضل القاعدة الدينية الروحية التي تسود فيه وبفضل الشريعة الاسلامية المطبقة فيه وما تتميز به منعدالة ووئام. وكل هذا الاستقرار والتماسك القوي للدولة السعودية يؤهلها على القيام بالمهمات العسيرة والصعبة التي تتطلب قدراً عاليا من التنظيم والفعالية الاشرافية بكل جوانبها الامنية والادارية وغيرها. ومن هنا كانت القيادة السياسية في المملكة مؤهلة لان تنظم موسم الحج على احسن وجه كل عام.

فاين ايران من كل هذه المميزات التي تتمتع بها الدولة السعودية، بل اننا حتى لا نرى دولة اسلامية اخرى تمتلك هذه الدعائم والمقومات الايجابية التي تؤهلها لان تشرف على مهام ضخمة مثل ادارة فريضة الحج او امتلاك وحماية الاماكن المقدسة. فعلى الرغم من ان ايران كانت تهدف من وراء فكرة التدويل سرقة الحرمين الشريفين لصالحها ولصالح الهيمنة الفارسية الشيعية الا انها رفعت زيفاً ادعاء بأن تكون الاماكن السعودية المقدسة تحت اشراف اسلامي مشترك، الا ان مثل هذا الاشراف «الاسلامي» الذي طالبت به ايران لم يكن مؤهلا ولو بحد ادنى لان يقدم الحماية والصيانة اللازمتين للحرمين الشريفين في مكة والمدينة

علاوة على عجز مثل هذا الاشراف المشترك عن تنظيم وادارة عملية معقدة وضخمة مثل عملية الحج.

ان ايران خلال حكم الخميني لها من عام ١٩٧٩ وحتى عام ١٩٨٩، لم تطرح للعالم الا صورة مشوهة عن ثورة سمتها القيادة الخميني بـ«الثورة الاسلامية».. فان الوضع الداخلي قد دمرته الخلافات والصراعات بين رجال السلطة الخمينية انفسهم فقد هرب منهم من هرب الى خارج البلاد وطلب اللجوء السياسي في بلدان اوروبا الغربية او في الولايات المتحدة الاميركية كما صفي الكثير منهم جسدياً على يد الخميني، واقيل اخرين من مناصبهم. اضافة الى ان المعارضة الداخلية لنظام الخميني كانت فعالة وعنيفة فقد نجح حزب «مجاهدين خلق» اليساري باجراء عدة تفجيرات في العاصمة الايرانية كما نجح مرتين في اغتيال رئيس الجمهورية الخمينية كان اضرهما «آية الله» بهجتي.

اما من ناحية الاقتصاد الوطني الايراني فان ايران لم تشهد في تاريخها كله مرحلة انهيار اقتصادي وتضعضع في ميزان المدفوعات مثلما شهدته في عهد الخميني. وان الانهيار الاقتصادي هو انعكاس للانهيار والتصدع السياسيين الذي تعيشه سلطة الخميني.

كما ان الحرب التي اندلعت بين النظام الخميني من جهة والعراق من جهة اخرى والتي دامت مدة ثماني سنوات كانت سببا في توليد انهيار اجتماعي واخلاقي داخل ايران، فان هذه الحرب قد سببت للشعب الايراني جراح ومعاناة تاريخية فريدة من نوعها اذ قدمت فيها ايران حوالي المليون قتيل من شبابها.

وازاء هذا الوضع المتدهور والمتصدع داخليا يمكننا الجزم بأن ايران الخميني ليست عاجزة فقط عن ادارة عملية ضخمة مثل عملية الحج او الاشتراك في الاشراف على اقدس الاماكن في الاسلام مثل الحرمين الشريفين بل انها عاجزة تماما حتى عن حماية نفسها وامنها الوطني او ابسط الاماكن الدينية داخل اراضيها مثل المساجد الصغيرة العادية التي تعرضت لمرات عديدة لعمليات تفجير من قبل المعارضين للسلطة الخمينية.

وتبقى نقطة اخيرة ينبغي التطرق لها هي مدى مشروعية الاسلام الخميني، فان الخميني يمثل اتجاها غير اصيل في الدين الاسلامي، وان الكثير من افكاره وفتاوية مضادة لروح الدين الاسلامي نفسه ومن ذلك التأويل أو الفكرة الشاذة التي رفعها والمسماة بـ«مسيرات البراءة» التي نظمها «الحجاج» الخمينيون اثناء مواسم الحج وذلك بالاعتماد على فتوى للخميني وتأويل خاص به لآيات القرآن الكريم هذا التأويل الذي اثار تقزز علماء الدين المسلمين في كافة الدول الاسلامية لمروق هذا التأويل عن تعاليم الاسلام الحنيف كما وردت في القرآن الكريم او في الاحاديث النبوية او السنة النبوية الشريفة. وملخص ذلك هو ان الرسول الكريم ﷺ قد طرح فكرة «البراءة» أو «مسيرات البراءة» في مرحلة هامة من مراحل الدعوة الاسلامية وهي التي تبعت فتح مكة اذ انتشر الدين الاسلامي في بقاع الجزيرة العربية وغدا هو دين الدولة الاسلامية الفتية وعندما قرر الرسول بأن الحجاج الذين يؤدون فريضة الحج ويطوفون حول البيت الحرام ينبغي ان يكونوا من المسلمين وان لا يسمح للمشركين بالطواف حول الكعبة. ولذلك فان المسلمين الذين يطوفون حول الكعبة عليهم ان يرددوا ادعية تبوئهم من المشركين، وان براءة الرسول من المشركين هذه كانت تتجسد في طواف المسلمين حول البيت الحرام وترديدهم لعبارة «لبيك اللهم لبيك».. وقد جاء الخميني بتفسيرات وتأويلات فاسدة لكل ما هو مسلم كما هي عادته على الدوام ودعى الحجاج الايرانيين لتنظيم «مسيرات براءة» اثناء الحج، ولكن هذه البراءة ممن؟... الجوحاب مضحك وقد اثار تقزز علماء الدين المسلمين في كل مكانه لأنه يحرف تعاليم الاسلام وسنة الرسول واحاديثه الشريف، اذ اعلن الخميني ان تكون البراءة من اميركا وليس من المشركين، وهذا لأمر مضحك ومسيء للاسلام لان البراءة ينبغي ان تتم من المشركين الذين ارادوا الطواف حول الكعبة وليس مواطنين اميركان يطوفون حول الكعبة فنحن نعرف بأن اميركا ومواطنيها لا يساهمون في موسم الحج ، فمن اين اتى الخميني بهذه التلفيقات معتمدا على السنة النبوية والحديث الشريف كما يدعي. كما ان مسيرات البراءة كما حصلت في عهد الرسول ﷺ وفي عهد الخلفاء

الراشدين مثل ابي بكر الصديق والامام علي بن ابي طالب رضي الله عنهما كانت تكتفي بالدعاء الى الله سبحانه وتعالى وترديد عبارة «لبيك اللهم لبيك» فلم تكن هنالك صور ولا ملصقات سياسية ولا شعارات عدائية لبقية الدول الاسلامية ولا اي شيء من الممكن ان يشكل بدعة ويحيد عن الغاية الاسلامية الاصيلة لكن الخميني ضمن «اسلامه» الخاص يجيز كل الافعال التي استنكرها كبار علماء دين الاسلام وفي طليعتهم شيخ الجامع الازهر فضيلة الامام الشيخ جاد الحق علي جاد الحق حيث قال في المحاضرة القيمة التي القاها في «مؤتمر الدعوة الاسلامية» الذي انعقد في شهر آذار/ مارس ١٩٨٨ في القاهرة، حول مسيرات البراءة الايرانية: «ان هذه المسيرات في الحرم صد عن دين الله وعبارته، وشغل للحجاج والمعتمرين عن الانصراف والاستغراق فيما قصدوا اليه من عبارة الله في حرمه».

كما استنكر هذه المسيرات علماء اسلاميين اخرين في كل بقاع العالم الاسلامي، وأعتبروا مثل هذه المسيرات كفراً ومروقا عن الاسلام لانها تعتمد على تأويلات كافرة وخاطئة للدين الاسلامي ولتعاليمه المتمثلة في القرآن الكريم وفي السنة والحديث النبويين الشريفين.

لكن ينبغي في الختام ان نذكر بأن مسيرات البراءة المفتعلة هذه من قبل الخمينيين لم تكن بدافع اسلامي وانما بدافع شعوبي طائفي سبق ان وضحناه في فصل مستقل خاص من هذا الكتاب، وان مثل هذه الدوافع الشاذة كانت هي المحركة دائما للسياسة الخمينية سواء اثناء حياة الخميني او بعد وفاته، حيث تتبع سلطة الملالي الحاليين في ايران الاتجاه الخميني الفارسي والشيعي نفسه حفاظا منها على مناصبها ومصالحها الشخصية في الحكم، لأنها قد تسلقت الى هذه المناصب بفضل ادعائها ومزايداتها في تأييد الخميني اثناء حياته فاوصى لهم بالمناصب السياسية بعده، وينبغي ان ننتظر من هذه الثلة التي تحكم طهران استفزازات اخرى على صعيد العالم العربي الاسلامي والمزيد من الاقلاق لاوضاع العالم الاسلامي لأن الطموحات الشعوبية الطائفية مازالت قائمة والواقع الاسلامي العربي صلباً متماسكا الامر الذي يقلق كثيراً اهداف حكام طهران.

الفهرس

المحتويات

الخمينيون
والاستخدام السياسي للحج

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

دار الصلاح للدراسات والانتاج الاعلامي
باريس

طبع و توزيع جاماكو - فرنسا

السعر ٩٠ ف.ف



الطبعة الاولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م